L.Frank Baum

The Tin Woodman of Oz

12

ل.فرانك باوم

الحطَّاب الصَّفيح في أوز

مكتبة الطفل

ترجمة

طه عبد المنعم

المحروسة

أهم ملحمة خيالية في تاريخ أمريكا وزعت أكثر من ٤ مليون نسخة

12

الحطَّاب الصَّفيح في أوز

ل. فرانك باوم

رسوم: چون أر. نيل

ترجمة: طه عبد المنعم

مكتبة الطفل

t.me/book4kid

إحدى قنوات

مكتبة

عنوان الكتاب: الحطّاب الصّفيح في أوز
The Tin Woodman of Oz
المؤلف: ل. فرانك باوم L. Frank Baum
رسوم: چون أر. نيل John R. Neill
ترجمة: طه عبد المنعم
مراجعة لغوية: محمود شرف
إخراج داخلي: رشا عبدالله

مركز المحروسة
للنشر و الخدمات الصحفية و المعلومات

قطعة رقم 7399 ش 28 من ش 9 – المقطم – القاهرة
ت، ف: -28432157 02 002

mahrousaeg
almahrosacenter
almahrosacenter
www.mahrousaeg.com
info@mahrousaeg.com
mahrosacenter@gmail.com

رئيس مجلس الإدارة: فريد زهران
مدير النشر: عبدالله صقر

رقم الإيداع: 14622/ 2023
الترقيم الدولي: 978-977-313-971-1

جميع حقوق الطبع والنشر باللغة العربية
محفوظة لمركز المحروسة
2023

الحطّاب الصّفيح في أوز

ل. فرانك باوم

رسوم: چون أر. نيل

ترجمة: طه عبد المنعم

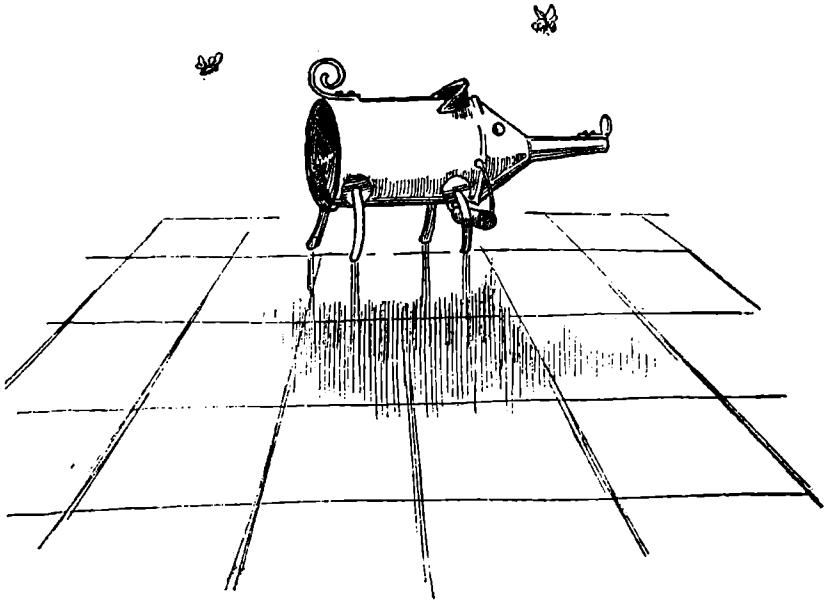

مكتبة الطفل

t.me/book4kid

إحدى قنوات

مكتبة

بطاقة فهرسة

فهرسة أثناء النشر إعداد إدارة الشئون الفنية

باوم، ليمان فرانك، 1856 - 1919

الحطاب الصفيح في أوز/ ل. فرانك باوم؛ ترجمة طه عبد المنعم.- ط1

القاهرة: مركز المحروسة للنشر والخدمات الصحفية والمعلومات، 2023.

247 ص؛ 14.5×21.5سم

تدمك 978-977-313-971-1

1 - القصص الامريكية

أ - عبد المنعم، طه (مترجم)

ب - العنوان

823

رقم الإيداع 14622/ 2023

إهداء المترجم
إلى هدى...
بنت نعمات محمد وعبد
المنعم أبو العلا

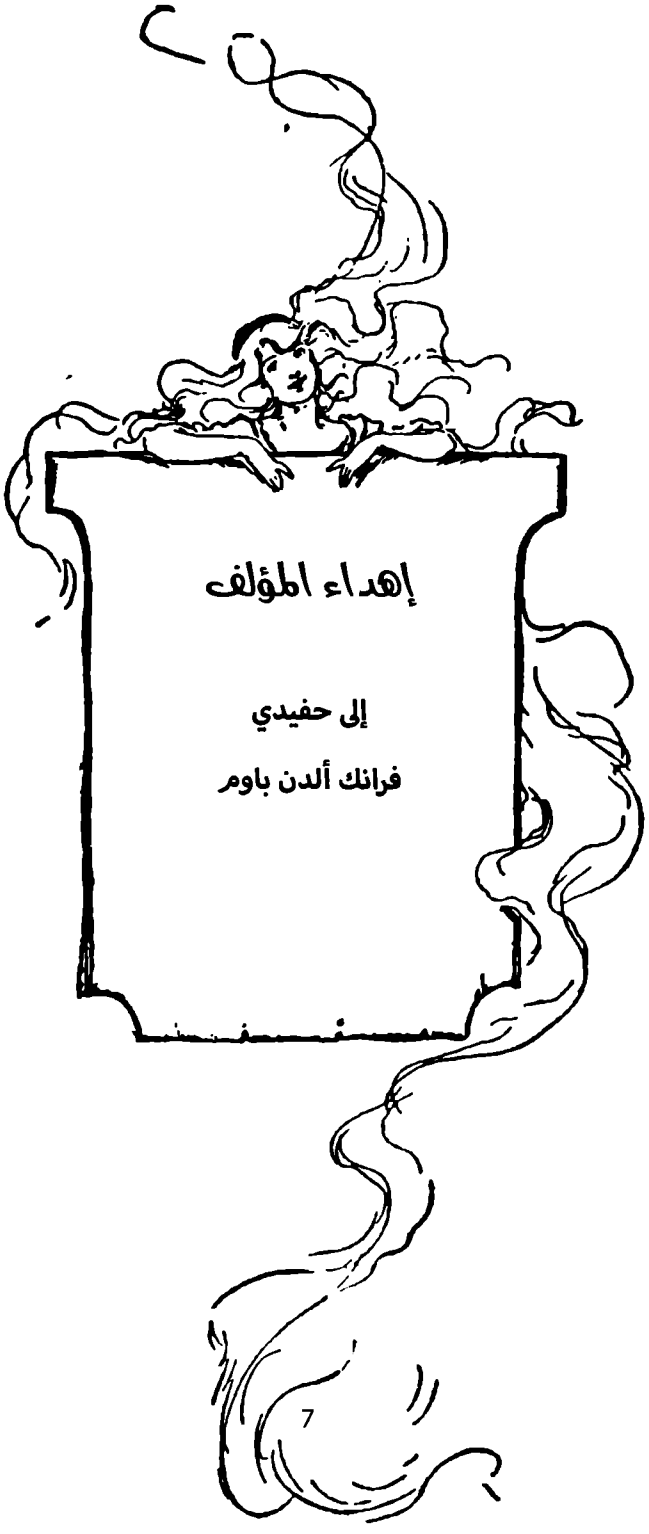

إهداء المؤلف

إلى حفيدي

فرانك ألدن باوم

Woot
in court dress

المحتويات

	إلى قرّائي..	11
1	واتي الرَّحَّال	31
2	قلب الحَطَّاب الصفيح	23
3	المنعطف	31
4	المنتفخون من بلدة المتكبِّرين	39
5	السيدة يووب العملاقة	55
6	سحر اليوكوهوتو	67
7	مئزر دانتيل	81
8	تهديد الغابة	87
9	التنانين المشاكسة	99
10	تومي سريع الخطى	10
11	مزرعة **چينچر**	117
12	أوزما ودورثي	127
13	الاستعادة	135
14	القرد الأخضر	147
15	رَجُلٌ من صفيح	153
16	كابتن فلاير	161
17	ورشة كليب	167
18	الحطاب الصفيح يكلم نفسه	173
19	البلد المحجوب	189
20	الليلة الأخيرة	207
21	سحر بوليكروم	215
22	نامي نام	223
23	عبر النفق	229
24	وانسدل الستار	233
	الخاتمة	237

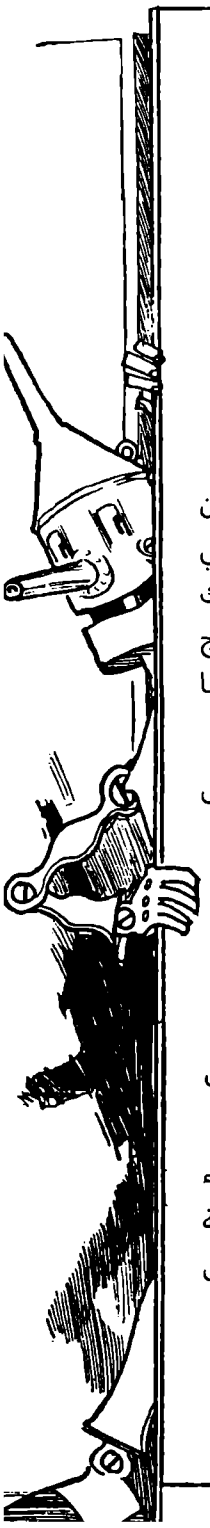

إلى قرّائي..

أعـرف أن كثيـرًا منكـم ينتظـر هـذه الحكايـة عـن الحطَّـاب الصفيـح منـذ مـدَّة؛ لأن كثيـرًا منكـم سـألوني عنهـا، وطالبونـي بهـا مـرارًا وتكـرارًا. مـاذا حـدث لتلـك الفتـاة الموشـيكينية الجميلـة التـي كان ينـوي نيـك الـزواج بهـا، قبـل أن تسـحر السـاحرة الشـريرة فأسـه؛ ممَّـا يتسـبَّب فـي اسـتبدال لحـم جسـده بالصفيـح.

أنـا، أيضًـا، كنـت أتسـاءل مـا حـلُّ بهـا، لكـن حتـى وقـت أن ورَّط واتـي الرَّحَّـال نفسـه فـي تلـك المسـألة، لـم يكـن يعـرف الحطـاب الصفيـح أكثـر ممَّـا نعـرف نحـن عنهـا. ومـع ذلـك، عثـر عليهـا، بعـد العديـد مـن المغامـرات المثيـرة، كمـا نكتشـف مـن قراءتنـا لهـذه القصـة.

يسـعدني دائمًـا الاهتمـام المسـتمر بقصـص أوز مـن الصغـار والكبـار.

مؤخَّـرًا، سـألني أسـتاذ جامعـي مثقَّـف: "مـا عمـر القُـرَّاء الذيـن تُوجِّـه لهـم كتبـك؟"، حيرتـني محاولـة إيجـاد إجابـة مناسـبة علـى هـذا السـؤال، حتـى تطلَّعـتُ لعـدد الرسـائل المهـول التـي أتلقَّاهـا علـى مـدار السـنوات السـابقة.

إحداهـا مكتـوب فيهـا: "أنـا أبلـغ مـن العمـر خمـس سـنوات، وأحببـت قصصـك عـن أوز. أختـي، التـي تكتـب هـذا الخطـاب لـك، هـي مَـن تقـرأ لي قصصـكَ. أتمنـى أن أكبـر كفايـة لأتمكـن مـن قـراءة القصـص بنفسـي". رسـالة أخـرى مكتـوب فيهـا: "أنـا بنـت كبيـرة أبلـغ مـن العمـر 13 عامًـا، أعتقـد أنـك سـتندهش حيـن أخبـرك أنني لـم أكبـر قـطُّ علـى قـراءة قصـص أوز". وإليكـم رسـالة أخـرى: "منـذ كنـت طفلـة صغيـرة، لـم يفُتنـي كتـاب مـن كتبـك كل كريسـماس. أنـا حاليًّـا متزوجـة، لكـن مـا زالـت لـديَّ لهفـة لقـراءة قصـص أوز مثـل زمـان". ودعونـا نقـرأ رسـالة أخـرى: "أنـا وزوجتـي، نبلـغ مـن العمـر فـوق السـبعين عامًـا، نوقـن أننـا نجـد مُتعـةً حقيقيـة بقـراءة كتـب أوز عـن أي كتـب أخـرى قرأناهـا".

بالاعتبـار لتلـك التصريحـات، كتبـت للأسـتاذ الجامعـي المثقـف أن كتبي مُعَـدَّة لهـؤلاء الذيـن يحملـون داخلهـم قلوبًـا شـابَّة، مهمـا كانـت أعمارهـم.

وبينمـا أتحـدث عـن هـذه الرسـائل، أتذكَّـر أن عـددًا كبيـرًا مـن الذيـن يرسـلون لـي رسـائل يتجاهلـون وضـع طابـع بريـدي يبلـغ ثمنـه 3 سـنتات في مظـروف الخطـاب؛ للحصـول علـى إجابـة علـى رسـائلهم. إنـك ترسـل رسـالة واحـدة فقـط، كمـا تعلـم، بينمـا أتلقَّـى أنـا مئـات مـن الرسـائل، لدرجـة أن الدفـع المسـبق للطوابـع البريديـة علـى جميـع ردودي علـى خطاباتكـم لـن يكـون عبئًـا صغيـرًا علـى عاتقـي.

أعتقد أنني سـأفي بوعدي بأنه سـيكون هناك بعض الاكتشافات المذهلة حول كتابي القادم "سحر أرض أوز"، الذي سيصدر العام القادم.

دائمًا صديقكم المحب والودود.

فرانك باوم

المؤرِّخ الملكي لأوز.

"أوزكوت"

في هوليوود في كاليفورنيا، 1918.

الفصل الأول

واتي الرَّحَّال

قَعَـدَ الحطَّـابُ الصفيـح علـى عرشـة المتلألـئ فـي قاعـة الاسـتقبال الصفيح البديعة، في قلعة الصفيح المبهرة، في مقاطعة الوينكلز، شرق أرض أوز، بجانبه على كرسي من القش المنسوج، أفضل أصدقائه؛ خيال المآتة. كانا يدردشان عن الأشياء الغريبة التي رأياها، والمغامرات العجيبة التي خاضاها منذ بداية لقائهما على طريق الطوب الأصفر الشهير، مع دورثي، حتى اليوم، تلك المغامرات جعلتهم رفقاء إلى الأبد.

منذ لقائهما الأخير للبحث عن الأميرة أوزما، والتي لم تُسفِر إلَّا عن عثورهما على الصينية الذهبية المرصَّعة بالماس[1]، قرَّرا قضاء مزيد من الوقت لاستكمال مناقشاتهم، لكن في

(1) راجع مغامرة الرواية السابقة الحادية عشرة بعنوان "أميرة أوز المفقودة".

أوقات كثيرة، كانا جالسَيْن صامِتَيْن؛ لأن هذه الأحاديث تبادلاها عدَّة مرَّاتٍ فيما بينهما، لدرجة أن لم تَعُد هناك تفاصيل أو نقاشات يمكن أن تُقال ثانية، وبمرور الوقت اكتشفا أنهما راضيان عن مجرد كونهما معًا، إلا أنهما يتحدَّثان بين الحين والآخر بجُمَل قصيرة لإثبات أنهما منتبهان للموضوع محور حديثهم. واستمرَّ الحال كذاك، يومان كاملان، لم يحتاجا للنوم أو لتناول الطعام، وبالطبع أنتم تعرفون، أن خيال المآتة والحطاب الصفيح لا ينامان أو يأكلان أبدًا.

والآن، حينما غربت الشمس الصفراء على ربوة خضراء فوق أرض الوينكلز، صابِغةً أبراج الصفيح لقلعة الإمبراطور بألوان الشفق الرائعة، يمكنك أن تشاهد شابًّا يتمشَّى الهوينى على طول طريق متعرِّج مؤدٍّ للقلعة، حتى قابل عند مدخل القلعة خادمًا من الوينكلز.

خَدَمُ الوينكلز يرتدون خُوَذ صفيح، وواقيات صدرية من الصفيح، وأزياؤهم مُغطَّاة بصفائح رقيقة من الصفيح مغزولة بمهارة في القماش الفضي؛ ممَّا أضفى على هيئتهم رونقًا وأناقة متماشية مع تَلألُئ القلعة كلها.

اقترب الشاب الجوَّال من الخادم الوينكليزي، وتطلَّع للقلعة الجميلة والبديعة، ثم وجَّه كلامة للحارس: "مَن يعيش هنا؟".

"إمبراطور الوينكلز؛ الحطاب الصفيح الشهير".

"حطاب صفيح! كم هذا غريب؟".

"حسنًا، ربما يكون إمبراطورنا شخصًا غريبًا. ولكنه حاكِمٌ طيِّب وأمين وصادق كما ينبغي لمعدن القصدير المصنوع منه. ونحن، الذين نقوم بخدمته عن طيب خاطر، مُلزَمون بإغفال أنه ليس مثل البشر العاديين، ونعامله بكل تقدير واحترام".

صمت الشاب الجوال دقيقةً ليفكر، ثم قال للخادم: "أيمكنني مقابلته؟".

"لو سمحت بالانتظار قليلًا، سأذهب وأخبره بقدومك ورغبتك في مقابلته".

ذهب الخادم للقاعة حيث يجلس الحطَّاب الصفيح مع رفيقه، وأخبره بقدوم غريبٍ، ورغبته في مقابلة صاحب القلعة. فرح الرفيقان لوصول زائر غريب؛ فهذا سيعطيهم موضوعًا جديدًا يتحدَّثون فيه؛ لذا سمح الحطاب الصفيح بإعطاء الإذن للشاب الغريب للمثول أمامه.

لم يهرع الشاب لدخول القاعة بسرعة، بل مرَّ بهدوءٍ ورَويَّة في الممر الكبير المزيَّن بالتُّحف المصنوعة من الصفيح، وعَبَرَ تحت قوس من الصفيح المزخرف بأبهى التصميمات المميَّزة، والتي تصوِّر وتحكي قصص لقائه بأصدقائه ورفاقه ومغامراته. حتى دخل قاعة العرش، وانحنى انحناءة خفيفة أمام الإمبراطور، وقال بلهجة احترام وتقدير: "أقدِّم أبلغ وأسمى التحيات لفخامة جلالة الامبراطور المعظَّم، ويسعدني أن أكون في خدمتك ومَعيَّتِك".

أجاب الحطاب الصفيح بصوتٍ مَرِح مبتهج: "حسنًا، هذه تحية رائعة. لكن أخبِرني مَن أنتَ ومن أين أتيت؟".

"أنا واتي الرَّحَّال، وحضرتُ إلى هنا بعد رحلات وجولات وسفريات كثيرة من موطني الأول في أبعد رُكن من مقاطعة الجليجان".

تدخَّل خيال المآتة بتعليقٍ مفاجئ: "آه... إذن أنتَ ترتحل من مكان لمكان. أنتَ تغامر بمواجهه المخاطر والمصاعب، خصوصًا على شخص مصنوع من لحم وعظم مثلك. ألم يكن لديك أصدقاء في مقاطعة الجليجان؟ ألم يكن منزلك مريحًا هناك؟".

فوجئ واتي الرَّحَّال بشخصٍ، خيال مآتة، يتكلَّم، لم يكن يتوقَّع ذلك، والمدهش أنه يتكلم بلباقة وبشكل جيد، حدَّق فيه للحظات، ثم تنبَّه إلى أن التحديق فيه أمرٌ فيه كثير من السخافة، إذا كان حطَّاب صفيح يتكلم، فما المانع من هيئة محشوَّة بالقشِّ تتكلَّم أيضًا؟ استعاد تفكيره السليم وردَّ على أسئلة خيال المآتة: "نعم، لديَّ أصدقاء ومنزلي مريح في مقاطعة الجليجان، ولكني سرعان ما اكتشفتُ كم هُم مُملُّون. لم يكن هناك في هذا الركن البعيد من أرض أوز ما

يثير اهتمامي، لم يكن هناك شيء جيد على الإطلاق. أعتقد أن أماكن أخرى من أرض أوز مهمَّة ومثيرة وممتعة وجذَّابة؛ لذا أعددتُ نفسي للسفر والترحال، لأستكشف أماكن أخرى. استمرَّت رحلاتي لما يقرب من عام كامل، حتى وصلت إلى قلعتكم الرائعة".

قال الحطاب الصفيح: "إذن، أفترض أن خبرات وتجارب هذا العام المليء بالسفريات والرحلات زادت من حكمتك وارتقت بتفكيرك".

تأمَّل واتي الرَّحَّال قليلًا، ثم قال: "لا. أنا لا أدَّعي أني حكيم. أؤكِّد لك يا جلالة الامبراطور. كلَّما امتدَّت رحلاتي واتَّسعت سفرياتي؛ كلَّما شعرتُ بضآلة ما أعرفه. ففي أرض أوز كثير من الحكمة غير المكتشَفَة، وأشياء عديدة لم أرها من قبل، وتحتاج مني وقتًا كبيرًا لتعلُّمها".

استفسر خيال المآتة متعجِّبًا: "التعلم أمرٌ بسيط. ألا تسأل أسئلة؟".

"بالطبع أطرح العديد من الأسئلة بقدر ما أستطيع. لكن بعض الناس يرفضون الإجابة على أسئلتي".

"هذا ليس لطيفًا على الإطلاق. إذا لم يطلب المرء معرفة معلومة، فهو غالبًا لا يتلقَّاها، ويظل جهولًا عنها. عن نفسي، أضع مبدأ في حياتي أن أجاوب عن أيِّ سؤال يُوجَّه إليَّ".

وافق خيال المآتة على كلام صديقة وقال: "وأنا أيضًا.".

قال واتي الرحال: "أنا سعيدٌ بسماع ذلك؛ فهذا يجعلني أتجرَّأ على طلب طعام؟".

صاح إمبراطور الوينكلز: "بورِكتَ أيُّها الصبي، كم أنا مهمِل لكي أنسى أن البشر ينبغي عليهم تناول الطعام بصفة دورية، وأيضًا كواجب ضيافة! سوف آمر بتقديم الطعام لك".

وعلى الفور، نفخ في صفارة من الصفيح مُعلَّقة في سلسلة على رقبته، فحضر الخادم الوينكليزي وقدَّم انحناءة تحية للإمبراطور. تلقَّى أوامر عاجلة بتجهيز مأدبة مَلكيَّة للغريب، وفي خلال دقائق معدودة،

وضَّب ورتَّب الخادمُ عدَّة أطباق على طاولة من الصفيح المزخرف، كما وضع خادمٌ آخر كرسيًّا أمام مائدة الطعام حتى يستريح عليها واتي أثناء تناوله الطعام.

كانت الأطباق عامِرةً بما لذَّ وطاب، فرغم أن الحطاب الصفيح وخيال المآتة لا يأكلون، إلا أن صاحب القلعة الملكية عيَّن طبَّاخًا حين بنى القلعة. وقال: "كُلْ يا أيها الصديق الرَّحَّال، أنا واثق أن تلك المأدبة سوف تحوز على رضاك. بالرغم من أنني مصنوع بطريقة تجعلني لا أحتاج للطعام لأكون على قيد الحياة، وكذلك صديقي خيال المآتة، إلَّا أننا نعرف أن البشر من لحم ودم وعظم يحتاجون للطعام، فلدينا أصدقاء كثير منهم، كما أن رعاياي من الوينكلز مخلوقون من لحم وعظم أيضًا. وبصفتي إمبراطور الوينكلز، فلديَّ مطبخ لا يخلو من الطعام استعدادًا لاستقبال الضيوف والغرباء".

تناول الصبي الطعامَ في صمت، فقد كان جائعًا حقًّا، ولكن بعدما أكل ما يكفي ليسدَّ جوعه، لم يستطع كتم أسئلة تدور في عقله، وأخيرًا قال: "كيف يا جلالة الإمبراطور تكون على قَيْد الحياة وأنت مصنوع بالكامل من الصفيح؟".

"هذه هي قصة يطول شرحها".

"القصة الطويلة هي قصَّة ممتعة. هل تتفضَّلون بالسماح بحَكْيها".

"إذا كنتَ ترغب في ذلك حقًّا"، ثم اتَّكأ بمرفقة الصفيح على مسند كرسي العرش، ووضع رِجل صفيح فوق الأخرى، وبدأ كلامة بتهنيدة: "أنا لم أحكِ تلك القصة منذ فترة طويلة؛ لأن الجميع هنا تقريبًا يعرفونها مثلما أحفظها عن ظهر قلب. لكنَّكَ، بما أنك غريب عن المنطقة، فلا شكَّ أن الفضول يُحفِّزك لتعرف كيف أصبحت كما أنا عليه الآن. سأحكي لك ما حدث منذ البداية".

"... كلِّي آذان مصغية".

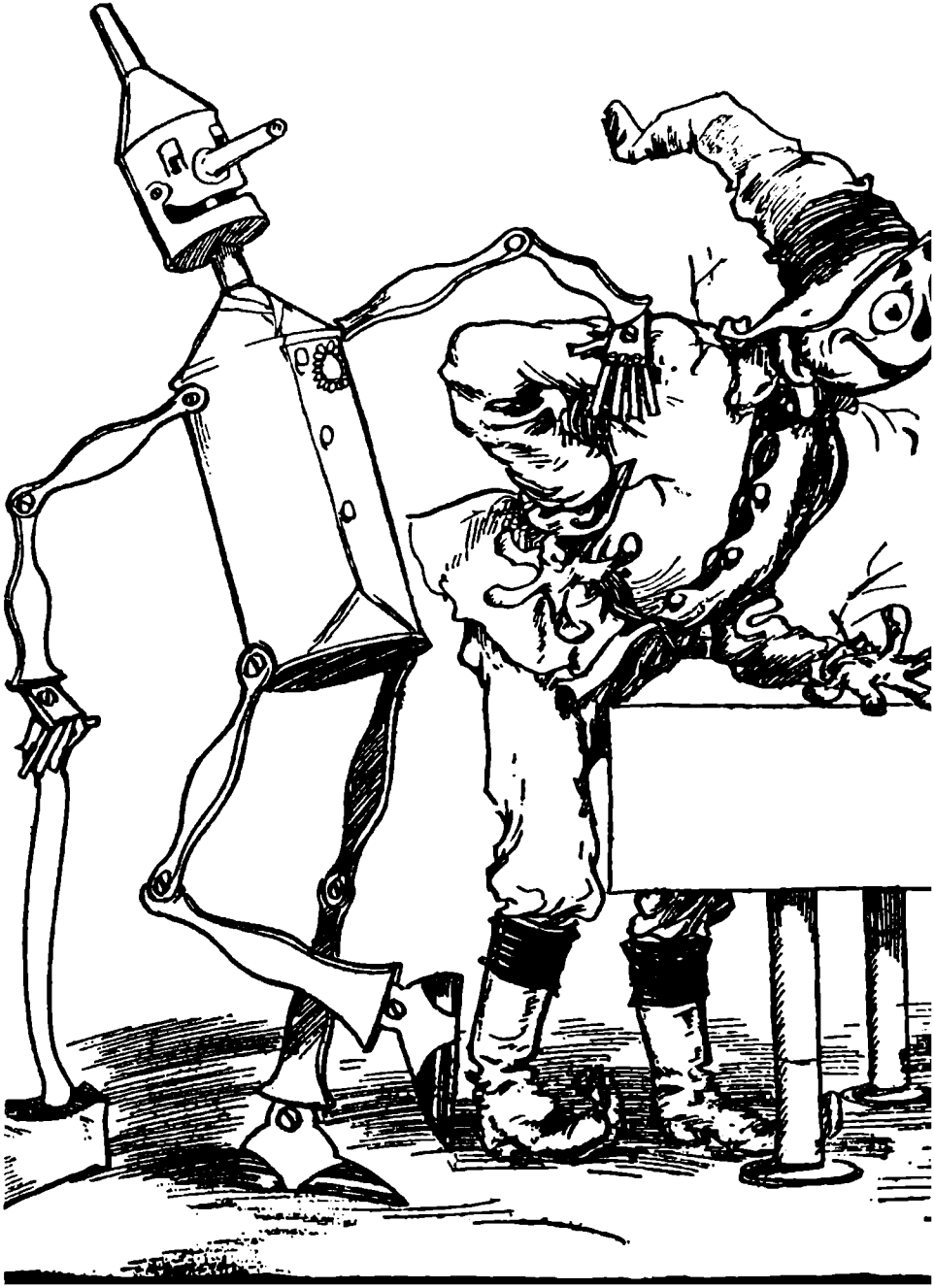

"أنا لم أكن دومًا مصنوعًا من الصفيح، لقد كنتُ يومًا رجلًا من لحم وعظم، وتجري في عروقي دماء. كنت أعيش في مقاطعة الموشكين، وأمتَهِن مهنة قاطِع الأخشاب. أساهم في بناء مجتمع أوز بتقطيع أشجار الغابة لصنع الحطب اللازم للتدفئة والطهي وأغراض أخرى كثيرة. منزلي كان كوخًا صغيرًا على أطراف الغابة، وحياتي كانت مستقرَّة وراضية، حتى أحبَبتُ فتاة موشيكينية جميلة تعيش على بُعد مسافة ليست كبيرة؟".

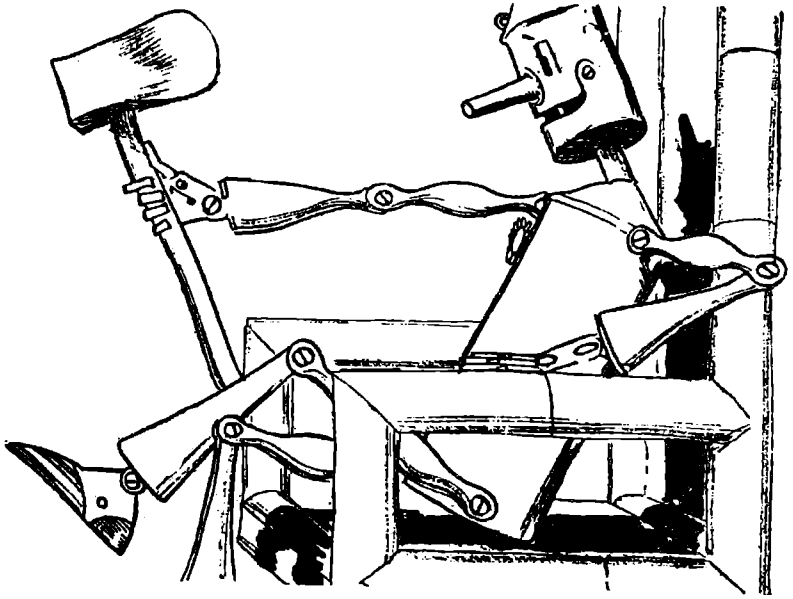

"ماذا كان اسم تلك الفتاة؟".

"نامي نام. تلك الفتاة جميلة لدرجة أن الشمس تنكسف حين تسقط أشِعَّتُها البرَّاقة على وجهها الصبوح. كانت تعيش مع ساحرة قوية، دائمًا ما ترتدي حذاءً فضِّيًّا، أجبَرَت الفتاة المسكينة أن تعيش معها كعبدة. اضطرَّت نامي نام للعمل منذ الصباح الباكر حتى غروب الشمس بدون راحة عند ساحرة الشرق الشريرة، تطبخ طعامها،

وتغسل ملابسها، وتنظِّف منزلها، حتى إنها أجبرتها على تقطيع خشب أيضًا [1]. حتى قابلتُها ذات يوم في الغابة ووَقَعتُ في غرامها، فقُمتُ بتقطيع خشب بدلًا منها، وأعطيتها الحطب اللازم، فقد بَدَت مُرهَقَةً للغاية، ولا تستطيع القيام بذلك العمل المضني، ومن يومها أصبحنا مُقرَّبين. بعد فترة، طلبت الزواج منها، ووافَقَت، لكن للأسف، سَمِعَتنا الساحرة الشريرة، وغضبَت بشدَّة؛ فهي لم تُرِد أن تتخلَّى عن عبدتها. اعترَضَت طريقي بعدها بيومٍ وحذَّرَتني من الاقتراب منها، فقلت لها إنني سيِّدُ نفسي، وليس لها أن تأمرني أو تهدِّدني بشيء. كنتُ أحمقَ؛ فلم تكن تلك طريقةً سليمة للتحدث لساحرة قوية شريرة؛ فازدادت عداوتها وغضبها مني شخصيًّا.

في اليوم التالي، حينما كنتُ أقطع خشب الأشجار في الغابة، سحرت الساحرةُ الشريرة بَلطَتي؛ فانزلَقَت من بين يدي وقطَعَت رِجلي اليسرى".

"كم هذا مرعب؟".

"نعم، بدا الأمر سوءَ حَظٍّ وقتها، فحطَّابٌ ذو رِجلٍ واحدة يصبح قليل الفائدة في مهنة تقطيع الأشجار. ولكني لم أكن لأسمح تلك الساحرة الشريرة أن تنتصر عليَّ. كنت أعرف سمكريًّا ماهرًا يعيش على الجانب الآخر من الغابة، ذهَبتُ إلى ورشته، وطلبت مساعدته. لم يمرَّ وقت طويل حتى صنع لي رِجلًا من الصفيح، وثبَّتها بمهارةٍ في

(1) حكاية حبيبة الحطاب الصفيح مختلفة قليلاً عن الحكاية التي حكاها في الرواية الأولى ساحر أوز العجيب؛ فقد قال: "... كانت الفتاة تعيش مع سيدة عجوز لم تكن تريد لها أن تتزوج بأي شخص؛ لأنها كانت عجوزًا كسولًا، وتريد الفتاة لتخدمها وتطبخ لها وتقوم بأعمال البيت، فذهبت العجوز إلى الساحرة الشريرة من الشرق، ووعدتها بخروفين وبقرة لو هي منعت الزواج..."، من الممكن أن تعتبرها خطأ استمراريَّة من المؤلف. أو تعتبر أن الذكرى تغيَّرَت في عقل الحطاب الصفيح بعد كل تلك السنوات. أو أن العجوز الكسولَ هي الساحرة الشريرة، والحطاب ظنَّ وقتها أنهما شخصان مختلفان. في أيٍّ من تلك الحالات، فسنرى مع تقدُّم الحكاية كيف استفاد المؤلف من علاقة حبيبة الحطاب الصفيح من ساحرة الشرق الشريرة.

جسدي المصنوع من اللحم. تلك الرِّجل بها مِفصَل في الركبة، وكاحل، وقَدَم؛ بالإضافة إلى أنها مريحة تمامًا مثل رِجلي التي فقدتها".

"هذا السمكري يجب أن يكون ميكانيكيًّا بارعًا وحاذِقًا للغاية".

"نعم هو كذلك. السَّمكَرَة هي مهنته التي يعمل بها منذ زمن، فهو يستطيع صُنعَ أي شيء من الصفيح. عندما عُدتُ إلى نامي نام، فرحت حبيبتي برجوعي، وقابَلَتني بالأحضان، وطبَعَت قُبلةً مليئة بالشوق، وأخبرتني كم هي فخورة بي لأني تغلَّبتُ على الساحرة الشريرة. للأسف، تلك الساحرة رأت القُبلةَ وازدادت غضبًا، وحينما عُدتُ للعمل في تقطيع الخشب بالغابة، سَحَرَت البلطةَ مرَّةً ثانية، لتقطع رِجلي الأخرى. مرَّة ثانية ذهبت إلى صديقي السمكري، وصنع رِجلًا يُمنى من الصفيح، وركَّبَها في جسدي. وحين عدتُ إلى نامي نام، تعهَّدَت أنها ستقوم بتزييت مفاصلي والاعتناء بها، ومرَّة ثانية ازداد غضب الساحرة؛ فسحَرَت البلطة، وتسبَّبَت في قطع ذراعي اليمنى. لم أيأس، وذهبت لصديقي السمكري ليصنع لي ذراعًا جديدة. لم أفقد الأمل لأن نامي نام أعلنت بوضوح أنها ستظل تحبُّني وتُخلِص لي".

مكتبة الطفل

t.me/book4kid

إحدى قنوات

مكتبة

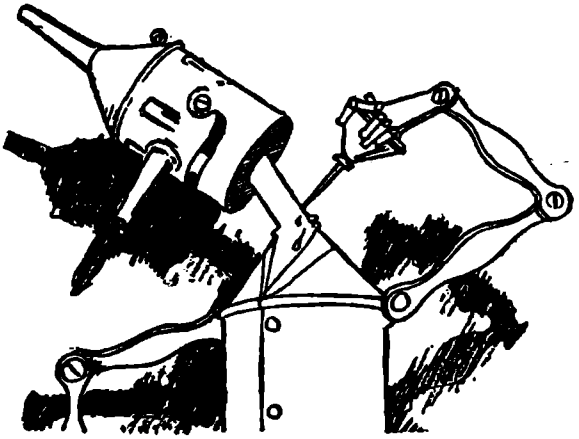

الفصل الثاني

قلب الحَطَّاب الصفيح

توقَّف الحطاب الصفيح عن الحكي قليلًا، ليتناول المزيتة من على رَفٍّ بجانب العرش، وبكل حرصٍ زَيَّت مفاصله، واهتمَّ بشكل خاص بحنجرته الصفيح؛ فصوته كان قد بدأ يتحشرج قليلًا من كثرة الكلام. عملية التزييت أثارت اهتمام واتي الجوَّال، الذي انتهى من تناول طعامه. راقب الفتى تلك العملية الدقيقة، وأخيرًا حثَّه على استكمال بقية الحكاية.

"الساحرة ذات الحذاء الفضي كرهتني أكثر وأكثر لأني تحدَّيتُها، واستمرَّت في العناد، وأصرت على عدم تزويجي الفتاة التي أحبُّها. لعَنَت تلك الساحرة البلطةَ بالسِّحر الأسود؛ ممَّا تَسبَّب في قطع ذراعي اليسرى. مدفوعًا بحبي نامي

نـام ذهبـتُ إلـى صديقـي السـمكري، الـذي اسـتبدل الطـرف المقطـوع بطـرف تعويضي مـن الصفيـح. وهكـذا أصبحـت أطرافـي الأربعـة كلهـا مـن الصفيـح. وهنـا جُـنَّ جنونهـا؛ فقـد شـاهدتني أذهـب للغابـة لأمـارس مهنتـي كالعـادة، حينهـا انقضَّـت عليَّ بنفسـها، وقبَضَـت علـى بلطتـي، وقطعـت صـدري وبطنـي لقِطَـعٍ صغيـرة، ثـم فـرَّت هاربـة، مُعتَقِـدةً أنهـا دمَّرَتنـي.

قلقـت نامـي نـام لغيابـي، وذهبـت للبحـث عنـي فـي الغابـة، وحيـن عثـرت عليَّ، لملمـت أشـلائي فـي قُفَّـة، ونقلتنـي إلى ورشـة السـمكري، الذي لـم يَدَّخِـر وقتًـا أو جهـدًا فـي صناعـة جسـد مـن الصفيـح النقـي المصقـول. تجلَّـت مهـارة وبراعـة الميكانيكـي فـي توصيـل وتثبيـت أطرافـي الأربعـة بالجسـد الصفيـح، ووضـع رأسـي فـي علبـة صفيـح لحمايتـه. أصبحـتُ فـي حـال أحسـن مـن ذي قبـل، لـم يَعُـد جسـدي يتعـب أو أُصـاب بالصـداع أو الألـم، بالإضافـة إلـى مظهـري وهيئتـي الجديـدة، فأنـا جميـلٌ وبـرَّاق، ولا أحتـاج لملابـس؛ فالملابـس شـيء مزعـج، بِغَـضِّ النظـر عـن الحيـرة فـي انتقـاء الملابـس واختيارهـا، فهـي تتمـزَّق وتَبلـى، وتحتـاج إلـى اسـتبدالها. لكـن كل مـا يحتاجـه جسـدي الصفيـح هـو التزييـت والتلميـع.

لـم تتخـلَّ نامـي نـام عنـي، وحيـن رأت مـا صنـع السـمكري، أعلنتهـا صريحـة، سـأكون ألمـعَ زَوجٍ لهـا فـي كل العالـم، وظلَّـت متمسِّـكةً بـي رغـم أعمـال السـاحرة الشـريرة. لـم تنهـزم بعـدُ، فمـا زال سـحرها الشـرير يسـتحوذ علـى البلطـة. وحيـن ذهبـت للغابـة فـي اليـوم التالـي، انزلَقَـت البلطـة مـن يـدي وأطاحـت برأسـي، وكان هـذا هـو الجـزء اللحمـي الوحيـد الباقـي منـي. لـم تتـردَّد السـاحرة حيـن رأت رأسـي الجريـح النـازف يتدحـرج، وأسـرَعَت بخطفـه وخبَّأتـه فـي مـكان مظلـم.

توقَّعَـت نامـي نـام أن أذى السـاحرة الشـريرة لـم ينتـهِ؛ فأسـرَعَت للغابة، وعثَـرَت علـى جسـدي مقطـوع الـرأس، أسـير بـدون هُـدًى، بـلا حـول ولا قـوة، مُتخبِّطًـا بيـن الأشـجار، فقادتنـي إلـى ورشـة صديقـي السـمكري، وهنـاك صنـع التُّحفـة الميكانيكيـة البارعـة؛ وهـي رأس صفيـح بالكامـل، وركَّبه بدلًا من الذي سرقته الساحرة الشريرة. وهو الرأس الذي أرتديه الآن،

يجب أن تكون واثِقًا أنني أعتبر ذلك الرأس أرقى وأفضل بكثير من الرأس المصنوع من اللحم. وافَقَت فتاتي على رأي السمكري أن جسدي كله مصنوع من الصفيح أفضل من جسد مصنوع من مواد مختلفة. بالإضافة أنه كان فخورًا بصناعة الجسد الصفيح، مثلما كنت فخورًا تمامًا. الآن، بما أنني أصبحت بالكامل من الصفيح؛ فلم يَعُد لديَّ خوفٌ من أذي الساحرة الشريرة، ولن يقف عائق أو حائل لزواجي من نامي نام، التي طلَبَت إسراع الإتمام بالزواج، حتى تنتقل للعيش معي في كوخ الغابة لتعتني بلمعاني وبريقي".

قال واتي الرَّحَّال: "أعتقد أنها فتاة ظريفة وحبوبة جدًّا. لكن أخبِرني، لماذا لم تُقتل عندما قُطِّعتَ إلى قِطَع؟".

أجاب الامبراطور: "في أرض أوز، لا يمكن أن يُقتل أي شخص. المرء بساق خشبية أو ساق صفيح هو نفس الشخص، وأنا فقدتُ أجزاء من جسدي على مراحل ودرجات؛ لذا أنا سأظل نفس الشخص الذي كُنتُه في البداية، على الرغم من أنه لم يَعُد في داخلي أي جزء من اللحم على الإطلاق".

قال واتي الرَّحَّال بعد تفكير: "فهمتُ... لكن هل تزوَّجتَ نامي نام؟".

أجاب الحطاب الصفيح: "لا. لم أفعل. لقد قالت إنها ستظل تحبني، لكني اكتشفت أنني لم أَعُد أحبها. جسدي الصفيح لا يحوي قلبًا، وبدون قلب لا يمكن أن أحب. للأسف، انتصَرَت عليَّ الساحرة الشريرة في النهاية. وحين غادَرتُ بلاد الموشكين، كانت الفتاة المسكينة ما زالت عبدةً عند ساحرة الشرق الشريرة".

سأل واتي الرَّحَّال: "أين ذهَبتَ؟".

"في البداية، ذهبتُ للبحث عن قلب؛ لأستعيد حبي للفتاة الموشيكينية. لكن القلوب هي أشياء مقدَّسة أكثر ممَّا نظن. ذهبت لمكان متطرِّف ناءٍ من الغابة، وانشغلت عن حزني بالعمل. فقضيت

وقتًا طويلًا بدون تعب، ونسيت خطر هبوب عاصفة مطرية، والتي مرَّت فجأة وتسبَّبَت في تَحجُّر مفاصلي وأصابتها بالصدأ.

لم أستطع تحريك أجزاء وأطراف جسدي؛ فتوقَّفتُ كتمثال صامت، مرَّت أيام وليالٍ حتى حضرت دورثي وخيال المآتة، وأنقذتني؛ فقد أحضَرَت علبة التزييت من كوخي وزيَّتَت مفاصلي وحرَّرَتني، ومن يومها عاهدت نفسي ألَّا أصدأ أبدًا".

استفهم واتي الرَّحَّال: "مَن هي دورثي؟".

"فتاة صغيرة تَصادَف أن حمل إعصارٌ منزلها أثناء وجودها داخله من كانساس إلى أرض أوز، وبالتحديد في مقاطعة الموشكين، سقط منزل دورثي على ساحرة الشرق الشريرة".

استدرك خيال المآتة قائلًا: "قالت دورثي إن سقوط المنزل على الساحرة الشريرة حوَّلَها إلى تراب، والرياح بعثرتها في كل اتجاه".

استكمل الحطَّاب الصفيح: "ذهبتُ معهم إلى مدينة الزمرد، حيث أعطاني ساحر أوز العجيب قلبًا، لكن مخزون القلوب عند الساحر كان قليلًا، فقدَّم لي قلبًا طيبًا بدلًا من قلب مُحِبٍّ؛ وبالتالي ظللت لا أحمل عاطفةَ الحب للفتاة نامي نام مثلما كنت بدون قلب".

"ألم يكن في مقدور الساحر أن يعطيك قلبًا طيبًا ومحبًّا في نفس الوقت؟".

"للأسف، لا... لقد طلبتُ ذلك، لكنه قال إن لديه نقصًا في القلوب، في ذلك الوقت، لم يكن هناك غير قلب واحد عنده، ولم يكن أمامي غير قبول ذلك القلب أو لا شيء على الإطلاق، وينبغي أن أعترف أن ذلك القلب الطيب هو قلبٌ جيِّد للغاية".

"أعتقد أن الساحر خدعك. هذا القلب لا يمكن أن يكون قلبًا طيِّبًا!".

"لماذا؟".

"لأنه قَسَا عليك عندما سمح له بهجران الفتاة التي أحببتَها، والتي كانت مُخلِصةً وفيَّةً لك كلَّما وقَعتَ في المشاكل. لو كان صحيحًا أن القلب الذي وهَبَه لكَ هو قلب طيِّب حنون؛ فسترجع إلى موطنك وتتزوَّج فتاة الموشكين الوفيَّة، وبعد ذلك تجلبها معك إلى إمبراطوريَّتِكَ وتكرمها بالعيش معك في هذا القصر الباذخ الرائع".

صُدِمَ الحطَّاب الصفيح بهذا الخطاب الصريح، لدرجة أن الدهشة عقدت لسانه ولم يتفوَّه بكلمة، بل ظل يحدِّق في الصبي الرَّحَّال، حتى قال خيال المآتة بلهجة مؤيِّدة للصبي:

"الصبي على حقٍّ. أنا نفسي في بعض الأحيان تساءلتُ لماذا لم ترجع ثانيةً وتبحث عن فتاة الموشكين المسكينة".

أدار الحطَّابُ رأسه الصفيح لصديقه الجالس بجانبه، وحدَّق فيه لفترة، ثم أخيرًا قال لهما:

"ينبغي أن أعترف لكما أنه لم يخطر ببالي أبدًا قبل الآن أن أذهب للبحث عن نامي نام وأُنصِّبَها امبراطورة على الوينكلز؛ بما أنها ستصبح زوجة الإمبراطور. أنا متأكد أن لم يَفُت الأوان؛ فتلك الفتاة ما زالت، بالتأكيد، تعيش في أراض الموشكين. وبما أن الرَّحَّال الغريب ذكَّرَني بحبِّي القديم نامي نام؛ أعتقد أن من واجبي حاليًّا أن أبحث عنها. بلا ريبٍ، ليس ذنب الفتاة أنني لم أَعُد أحبها. إذا كان في استطاعتي أن أجعلها سعيدة؛ فمن اللائق والواجب أن أفعل ذلك، بطريقة تكون مُكافأةً على إخلاصها".

قال خيال المآتة مبتهجًا: "عين العقل يا صديقي".

سأل الإمبراطور: "هل سترافقني في هذه المهمَّة؟".

أجاب: "بالطبع".

قال واتي الرَّحَّال متلهِّفًا: "هل ستصطحبني معك؟".

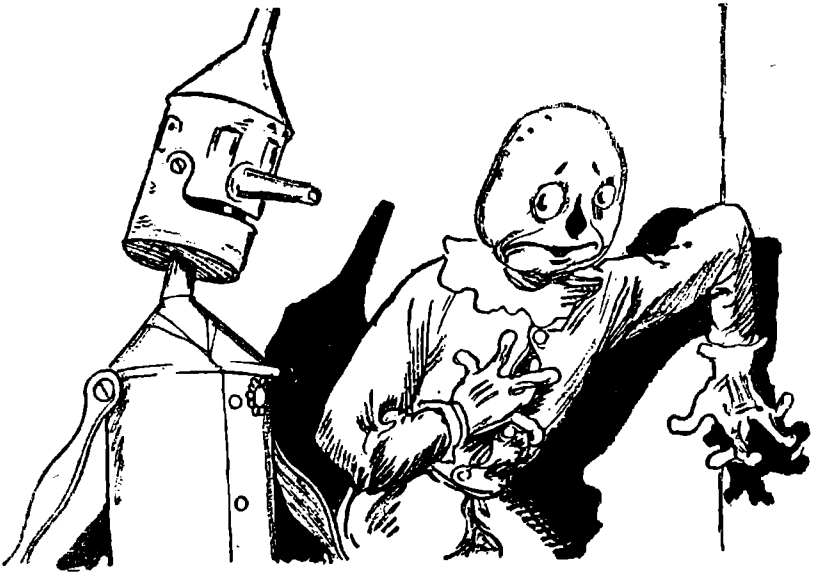

قال الحطَّاب الصفيح: "بالتأكيد... إذا كنتَ مُهتمًّا بالانضمام لنا؛ فأنت أول مَن نبَّهني لواجبي تجاه نامي نام. وأحب أن تعرف أيُّها الرَّجَّال الغريب أن نيك الساطور، المعروف بالحطَّاب الصفيح، إمبراطور الوينكلز، لا يتنصَّل أبدًا من واجبه".

قال واتي مسرورًا بفكرة المغامرة: "سيكون من دواعي سروري، كما هو من واجبنا، خاصَّة إذا كانت مَهمَّتنا في سبيل فتاة جميلة".

أيَّد الحطاب الصفيح ما قاله واتي: "الأشياء الجميلة تستحق اهتمامنا وحبنا. الأزهار، تلك الأشياء الجميلة، على سبيل المثال، لا نميل للزواج منها. لكننا ننزع إلى تلبية نداء الواجب، سواء في استطاعتنا القيام به أم لا. في هذه الحالة دافعي للمغامرة هو نداء الواجب".

استفسر خيال المآتة، الذي كان سعيدًا دائمًا بخوض غمار مغامرة جديدة: "متى نبدأ؟ متى نذهب؟".

أجاب الإمبراطور: "بمجرد الاستعداد. سأنادي على خدمي على الفور وأطلب منهم تحضير ما يلزم لرحلتنا".

الفصل الثالث

المنعطف

قضى واتي الرَّحَّال تلك الليلة في القصر الصفيح لإمبراطور الوينكلز الحطاب الصفيح، ونام وارتاح من تعب أسفاره على سرير من الصفيح، لم يتوقَّع أن يكون وثيرًا. في الصباح الباكر نهض وتمشَّى في حدائق القصر، حيث شاهد نوافير بديعة من الصفيح، وحقول زهورٍ زاهية من صفيح، وطيورًا من الصفيح تجثم على أفرع شجر صفيح وتغني ألحانًا تشبه صفارات الصفيح. كل تلك الأعاجيب صنعها سمكرية الوينكلز المهرة. وهناك خَدَمٌ مخصوصون يلفُّون زمبلك الطيور الصفيح كل صباح حتى تتحرَّك وتغني بين أشجار حدائق القصر.

بعد الإفطار ذهب الصبي إلى قاعة العرش، هناك شاهد خادم يُزيِّت المفاصل الصفيح في جسد الإمبراطور بهمَّةٍ وعناية وحرص، بينما خَدَمٌ آخرون يحشون قَشًّا طازجًا طيبًا في جسد خيال المآتة. راقب واهتمَّ بتفاصيل تلك العملية بشكل دقيق، فلم يكن جسد خيال المآتة سوى بدلة من القماش محشورة بالقشِّ.

أزرار معطف البدلة مُحكَمة الغلق لكيلا يفلت القشُّ المحشوُّ من جسد خيال المآتة، بالإضافة لحزامٍ متين مضبوط على الوسط ليمسك هيئة الجسد منتصبة ويمنع القش من التدلِّي لأسفل، أمَّا رأس خيال المآتة فكان عبارة عن كيس قماشي مستدير صغير مليء بالنخالة، ومرسوم عليه الأذن والعيون والأنف والفم. يداه عبارة عن قفازين من القطن الأبيض محشوَّين بأجود وأنعم أنواع القش. لاحظ واتي أنه حتى لو أن هيئة خيال المآتة مُحكَمة ومثبتة ومترابطة، إلَّا أنه أخرق في تحرُّكاته، وخطواته تتأرجح وتتمايل باستمرار، جعل ذلك الصبيَّ يُفكِّر ويتعجَّب إذا كان في استطاعة خيال المآتة السفر معهم على طول الطريق بين الغابات حتى بلاد الموشكين.

التحضيرات والاستعدادات لهذه الرحلة المهمة كانت غاية في البساطة. أعطى الخدم حقيبة ظهر مليئة بالطعام إلى واتي الرَّحَّال ليحملها على ظهره؛ فالطعام لاستخدامه الشخصي فقط. حمل الحطاب الصفيح بَلطَته على كتفه، والتي اهتمَّ الخدم بتلميعها وتشذيبها لتكون حادَّة وقاطعة، أمَّا خيال المآتة فقد وضع علبة مَزيَتة الإمبراطور في جيب معطف البدلة، فربما يحتاج صديقه لتزييت مفاصله في الطريق.

سأل واتي الرَّحَّال: "مَن سيتولى مسؤولية الحكم في بلاد الوينكلز أثناء غيابك؟".

أجاب الامبراطور: "ها... البلاد ستحكم نفسها بنفسها. في واقع الأمر، لا يحتاج شعبي إلى إمبراطور؛ لأن الأميرة أوزما تسهر على رفاهية شعب أوز بالكامل ليل نهار، بما في ذلك رعايا الوينكلز. مثل العديد

مـن الملـوك والأباطـرة، لـديَّ لقـبٌ فخـم وكبيـر، وسُـلطة ونفـوذ قليـل؛ ممـا يتيـح لـي وقتًـا للتسـلية والترفيـه عـن نفسـي بطريقتـي الخاصـة. شـعب أوز لديهـم قانـون واحـد: 'كـن مؤدبًـا'؛ لـذا مـن السـهل عليهـم الالتـزام بهـذا القانـون، فأنـت بالتأكيـد تلاحـظ أنهـم يتصرفـون بـأدب ولياقـة.... ألـم يحـن الوقـت لنـا بالرحيـل! هيـا بنـا، فأنـا متشـوِّق للبـدء فـي تلـك الرحلـة، فأنـا أشـعر أن فتـاة الموشـكين المسـكينة تنتظرنـي بفـارغ الصبـر".

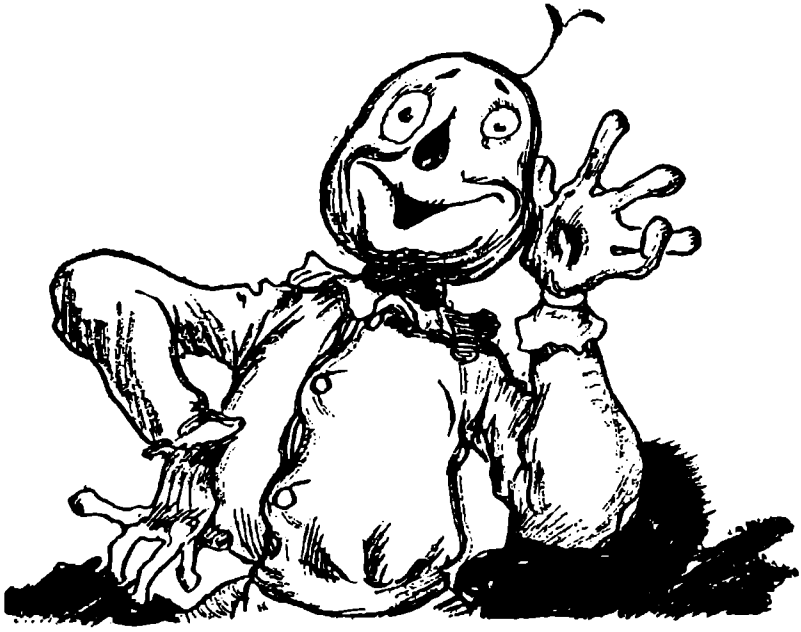

قـال خيـال المآتـة: "أعتقـد أنهـا انتظـرت وقتًـا طويـلًا"، ردَّ الحطـاب الصفيـح: "نعـم. صحيـح. لكنـي لاحظـت أن آخـر فتـرة مـن الصبـر، مهمـا كان الصبـر طويـلًا، هـي الأصعـب؛ لـذا ينبغـي عليَّ المحاولـة لإسـعاد نامـي نـام بأسـرع مـا يكـون"، قـال خيـال المآتـة مؤيِّـدًا: "هـذا يثبـت أن قلبـك قلـب طيـب"، عقَّـب واتـي الرَّحَّـال: "مـن المؤسـف أنـه ليـس قلبًـا مُحبًّـا. هـذا الرجـل الصفيـح سـوف يتـزوج فتـاة لطيفـة جميلـة بدافـع الطيبـة وليـس بدافـع الحـب. بشـكل مـا، هـذا الوضـع لا يبـدو صحيحًـا".

كان خيال المآتة ذكيًّا ولماحًا بالنسبة لرجل من القش، فقال: "حتى ولو... أنا واثق من أن هذا الوضع سيكون الأفضل للفتاة. فزوج مُحبٌّ ليس دائمًا طيبًا، لكن زوج طيب هو بالتأكيد سيجعل الفتاة سعيدة راضية".

قال الحطاب الصفيح بفخر: "نامي نام ستصبح إمبراطورة. عندي لها تاج فاخر من الصفيح مصنوع خصيصًا لها، به الكثير من الكشكشات والثنيات الصفيح الدقيقة البارعة، وأيضًا سيكون لديها خفٌّ من الصفيح الفاخر، وحلقان وعقود وإكسسوارات متنوِّعة من الصفيح. أنا واثق أن نامي نام ستكون سعيدة بتلك الأشياء؛ فكل الفتيات يحببن التأنُّق".

اعتبر خيال المآتة الحطاب الصفيح قائدَ مجموعتهم، فسأله: "هل سنذهب إلى مقاطعة الموشكين عن طريق مدينة الزمرد؟"، أجاب: "لا أعتقد. نحن نخوض غمار مغامرة حساسة، نحن نبحث عن فتاة تخشى أن يكون حبيبها السابق نسيها وهجرها. سيكون من الصعب عليَّ -يجب أن أعترف لكم بذلك- أن أواجه نامي نام بعد كل ما حدث وأطلب منها أن تتزوجني؛ لأن من واجبي أن أفعل ذلك؛ وبالتالي كلَّما قَلَّ عدد مَن يشهدون لقاءنا كان ذلك أفضل لكلينا. بعد أن أعثر على نامي نام، وإذا تمكَّنتُ من الحصول على موافقتها لِلَمِّ شملنا، سآخذها إلى مدينة الزمرد وأقدِّمها للأميرة أوزما ودورثي وبيتسي بوبين وتروت وجميع أصدقائنا الآخرين؛ ولكن إذا كان -على حسب ما أتذكر- ما يزال لديها لسان حاد سليط عندما تغضب، وقد تكون غاضبة جدًّا مني، في البداية؛ لأني أتيت إليها بعد فترة طويلة".

قال واتي بجدية: "أستطيع أن أتفهَّم ذلك. ولكن كيف يمكننا الوصول إلى ذلك الجزء من بلاد الموشكين حيث تعيش دون المرور عبر مدينة الزمرد؟".

أكَّد الحطاب الصفيح: "هذا سهل".

تعجَّب الصبي وأصرَّ قائلًا: "لديَّ خريطة أوز في جيبي، وهي تُظهِر أن مقاطعة الوينكلز، مكاننا حاليًا، تقع غرب أراضي أوز، أمَّا مقاطعة الموشكين فتقع شرق أراضي أوز، ومباشرة بينهما تقع مدينة الزمرد".

فسَّر الحطاب الصفيح مسارَ رحلتهم: "هذا صحيح تمامًا؛ لذا سنتوجَّه شمالًا، في بداية رحلتنا، إلى مقاطعة الجليجان، ونلتف حول مدينة الزمرد".

ردَّ واتي الرحال: "لكن هذا مسار خطير. سابقًا كنت أعيش في أعلى ركن من مقاطعة الجليجان، بالقرب من مملكة أوغابو[1]. وكان دائمًا ما يُقال إن الجزء الشمالي من الجليجان يسكنها ناس خطيرون ومتوحِّشون؛ لذا كنت دائمًا ما أحرص على تجنُّب المرور بتلك المنطقة؛ حتى لا أقابلهم".

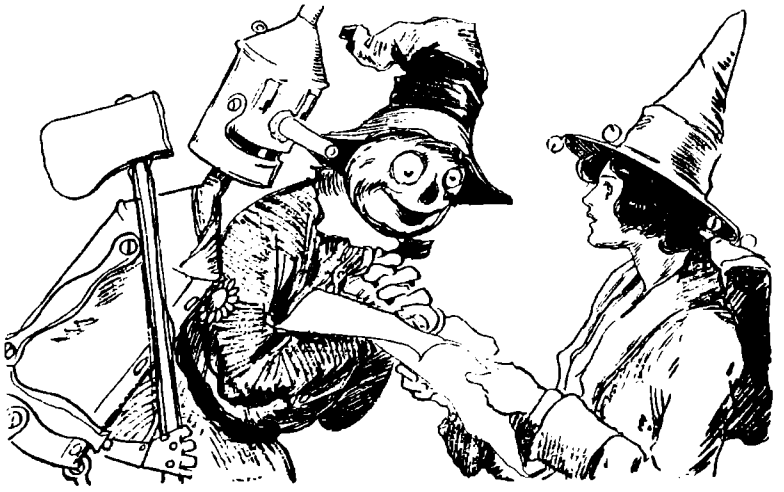

(1) حيث بدأت أحداث الرواية الثامنة بعنوان تيكتوك في أوز. لا تذكر الرواية الثامنة أين تقع تلك المملكة بالضبط. لكننا سنناقش في خاتمة الرواية الرابعة عشرة بعنوان جليندا ساحرة أوز؛ آخر روايات فرانك باوم، تلك التفصيلة حول مكان أوغابو. للعلم، نحن لم نَزُر مقاطعة الجليجان منذ الرواية الثانية.

علَّق خيال المآتة، الذي كان يتمايل بطريقة مضحكة وعشوائية، ولكنه ما زال يحافظ على خطوات مشيتهم ومسيرتهم خروجًا من حدائق القصر: "الرحال لا ينبغي أن يخاف من لقاء الغرباء".

احمرَّ وجه واتي الرَّحَّال وردَّ ببطء: "الخوف لا يَصِم المرء بالجبن. لكني أعتقد أنه من الأسهل تجنُّب المخاطر بدلًا من التغلب عليها. الطريق الآمن هو أسلم وأفضل طريق، حتى للمسافر الشجاع والمصمِّم على الارتحال عليه".

قال الحطاب الصفيح: "لا تقلق، فنحن لن نتوغَّل كثيرًا في الشمال. هدفي هو تجنُّب المرور على مدينة الزمرد، بدون الانحراف عن طريقنا أكثر ممَّا يلزم. بمجرد الالتفاف حولها سنتوجه جنوبًا إلى مقاطعة الموشكين، حيث أنا وخيال المآتة لدينا أصحاب ومعارف كثيرون".

قال خيال المآتة: "لقد سافرت في بعض مناطق مقاطعة الجليجان. ويجب أن أعترف لكم أني قابلت أناسًا غرباء هناك، شديدي الغرابة في الواقع. لكن لحسن الحظ لم يصبني أذًى منهم".

قال واتي الرَّحَّال، بنبرة استهجان متصنَّعة: "حسنًا، لا فرق عندي. الأخطار، حين لا يمكن تجنُّبها، تصبح مثيرة ومشوقة للغاية. وأنا على استعداد لخوض المغامرات التي ستخوضونها. لا مشكلة إطلاقًا".

يجب أن تنتبه عزيزي القارئ أن تلك المحادثة الشيقة حدثت أثناء مشيهم المتمهل لمغادرة القصر والخروج من البوابة الصفيح وسلوك الطريق شرقًا، لكن بعد استقرارهم على قرار الالتفاف حول مدينة الزمرد، انحرفوا لسلوك الطريق الشمال الشرقي، تجاه مقاطعة الجليجان.

على مدار اليوم، كانوا ما يزالون في مقاطعة الوينكلز، ويجب أن تعرف، بعد قراءتك كل تلك المغامرات السابقة، أن تلك المنطقة القريبة من مدينة الزمرد، منطقة غنية وخصبة، فبعد تنصيب الحطاب الصفيح إمبراطور الوينكلز، جرت إصلاحات كثيرة في تلك المنطقة؛

ممَّا جعل الكثيرين يستعمرون تلك المنطقة، وهؤلاء لم يتأخَّروا عن تقديم التحية لإمبراطورهم الصفيح، وتمنَّوا له الحظ الطيب في رحلته. وبحلول الليل، توقَّفوا عند منزل، قدَّم لهم واجب الضيافة، والتي لم يستمتع بها إلَّا واتي الرَّحَّال، بعشاء شهي وسرير وثير.

كان بالطبع في مقدور الحطاب الصفيح وخيال المآتة استكمال رحلتهم في الظلام أثناء الليل، لكن لأن رجُلًا من لحم ودم يرافقهم فينبغي عليهم التوقُّف ليلًا ليرتاح ويأكل. فعلى حدِّ قول خيال المآتة: "اللحم يتعب، بعد يوم طويل سفر على الطريق، على عكس الصفيح والقش التي لا تتعب ولا تصاب بالإرهاق. وهذا يثبت، والكلام ما زال على لسان خيال المآتة، أنهم، أي هو والحطاب الصفيح، كائنات أرقى من البشر المصنوعين بالطريقة العادية والشائعة".

لم ينكر واتي أنه مُرهَق من السفر، واستغرق في النوم فور أن لامس جسده السرير الوثير، حتى طلوع شمس صباح اليوم التالي، ولم يتأخر أهل المنزل عن تقديم إفطار ساخن تتصاعد منه روائح شهية فور استيقاظه.

وعندها قال لرفقاء رحلته، بكل ثقة، وبفم ما زال يلوك طعام الإفطار اللذيذ: "تفوتكم متعة كبيرة بعدم تناول الطعام"، ردَّ خيال المآتة: "نعم، ما تقوله صحيح، يفوتنا أيضًا معاناة الشعور بالجوع حينما لا نملك طعامًا، يفوتنا وجع البطن حينما يكون الطعام فاسدًا أو سيئًا"، ووافقه الحطاب الصفيح بإشارة موافقة برأسه.

الفصل الرابع

المنتفخون من بلدة المتكبِّرين

طوال اليوم التالي، ساروا بثبات واستقامة على الطريق، ومع غروب الشمس، اكتشف المسافرون أنه لم يعد هناك طريق واضح يسيرون عليه. تدرُّجات اللون الأرجواني للعشب والأشجار نبَّهتهم أنهم حاليًّا في مقاطعة الجليجان، في منطقة يعيش فيها أناس غرباء غير معروفين لباقي سكان أرض أوز.

الحقول برية وغير محروثة، ولم تكن هناك منازل أو بيوت من أي نوع يمكن رؤيتها على مرمى البصر، لكن أصدقاءنا استمرُّوا في السير

حتى بعدما غربت الشمس، على أمل العثور على مكان جيد كفاية لينام ويرتاح فيه واتي الرحال، لكن حينما ساد الظلام، أمسى الصبي مُرهَقًا ومتعبًا من السير المستمر الطويل. فلم يجدوا مفرًّا سوى التوقُّف في منتصف حقل قاحل ليستريح الصبي، وإفساح فرصة مناسبة ليتناول عشاءه من الطعام الذي يحمله في حقيبة الظهر.

تمدَّدَ خيال المآتة على الأرض حتى يستخدم واتي الرحال جسده المحشوَّ بالقش كمخدَّة، بينما وقف الحطاب الصفيح بجانبهم منتصبًا حتى لا تصيبه رطوبة الأرض بالصدأ أو تفسد مظهره اللامع. رغم ذلك كلما نزل ندى الليل على جسده الصفيح قام بمسحه بعناية بقطعة قماش، وهكذا حين طلع الصباح، ما زال الإمبراطور يتمتع بمظهر لامع مُشرِق تحت أشعة شروق الشمس.

أيقظ خيال المآتة الصَّبيَّ حين عمَّ نور النهار، وقال:" هيا استيقظ... لقد اكتشفنا شيئًا غريبًا... ونريد أن نجتمع لنتشاور ونتباحث فيه". نهض واتي وفرك عينيه من النوم العميق، وتثاءب ثلاث مرات حتى يُثبِت له ولهم أنه استيقظ تمامًا، وهو يسأل: "ماذا اكتشفتم ؟".

قال الحطاب الصفيح: "لافتة، وممرٌّ آخر". استفسر الصبي: "ما المكتوب على تلك اللافتة؟".

كانت عيون خيال المآتة مرسومة حديثًا؛ فاستطاع قراءتها بسهولة، وقال: "على جميع الغرباء الحذر بعدم اتباع الممر المؤدي إلى بلدة المتكبِّرين". فتح الصبي حقيبة الظَّهر ليخرج بعض الطعام لتناول الإفطار، وقال في لا مبالاة: "في هذه الحالة دعونا نتخذ طريقًا آخر".

لكن، على ما يبدو، هذا الرأي لم يُرضِ رفقاءه.

فقد علَّق الحطاب الصفيح: "أرغب في رؤية تلك البلدة؟"، وقال خيال المآتة: "حينما يكون المرء على طريق سفر، يكون من الحمق أن يضيع رؤية مكان مثير مثل تلك البلدة".

احتجَّ واتي الرَّحَّال: "لكن الإنذار على اللافتة يعني خطرًا، وأنا مؤمن أن من الحصافة والحكمة تجنُّب الخطر قدر المستطاع". لم يَردَّ أيٌّ منهم على حجَّة واتي، وبعد نصف دقيقة صمت قال خيال المآتة: "لقد فررت من مخاطر كثيرة، طوال حياتي، ولم أعُد أخشى من أي شيء خطير يمكن أن يحدث لي". عقَّب الحطاب الصفيح بحزم: "وأنا أيضًا".

لوَّح الحطاب الصفيح ببلطته بحركة أكروباتية حول عنقه بتفاخُر، وأكمل: "أشياء قليلة يمكنها أذية الصفيح، وبلطتي الحادَّة هي سلاح قوي ضد أي عدو يجرؤ على مواجهتنا. لكن صديقنا البشري يمكن أن يصاب بأذية من هؤلاء المنتفخين. إذا كانا خَطِرين كما يتوقَّع؛ لذا أقترح أن ينتظرنا هنا بينما أنا وأنت يا صديقي خيال المآتة نذهب لنزور المدينة المحرمة لهؤلاء المتكبرين".

ردَّ واتي بهدوء وشجاعة: "لا تقلقا بشأني. أي مكان ترغبون بالذهاب إليه، أنا على استعداد للذهاب معكما إليه. بل أنا مُتَأهِّب لمشاركتكم الأخطار. خلال رحلاتي وأسفاري اكتشفت أن من الأفضل الابتعاد عن الأخطار بدلًا من الخوض فيها. لكن هذه المرة، أنا لست وحدي، لديَّ اثنان من الأصدقاء الأقوياء في استطاعتهم حمايتي".

لـذا تـمَّ حسـم الأمـر، فـور أن انتهـى مـن تنـاول الفطـور، انطلـق الثلاثة فـي الممـر المـؤدي لبلـدة المتكبريـن. قـال خيـال المآتـة أثنـاء اقترابهـم مـن الغابـة الكثيفـة: "نحـن مقبلـون علـى مـكان لـم أَزُره مـن قبـل. لا أعـرف إذا كان سـكانه مـن البشـر أم مـن الحيوانـات. لكـن مهمـا كان شـكلهم أو هيئتهـم أنـا واثـق أنهـا سـتصلح قصـة مثيـرة أحكيهـا للأميـرة أوزمـا والأميـرة دورثـي حينمـا نرجـع مـن سـفرتنا هـذه".

كان الممـرُّ يـؤدِّي لغابـة كثيفـة، أشـجارها كبيـرة وعملاقـة وتنمـو بالقـرب مـن بعضهـم البعـض لدرجـة أن أفـرع الأشـجار متشـابكة فـي الأعلـى والشـجيرات فـي الأسـفل متلاصقـة، حتـى إنهـم اضطـروا لفـكِّ التشـابك فـي كل خطـوة لكـي يسـتطيعوا التقـدُّم علـى الطريـق.

بالطبـع سـتتوقعون أن يكـون الحطـاب الصفيـح هـو مَـن يتقدمهـم ليفسـح ويفـكَّ التشـابك ببلطتـه الحـادة، وبالفعـل كانـت البلطـة حـادة لدرجـة أنهـا أدَّت مهمتهـا بكفـاءة، بالإضافـة طبعًـا لقـوة ذراعَـيْ الصفيـح للحطـاب. واتـي جـاء تاليًـا ليزيـح الأفـرع المتشـابكة المقطوعـة جانبًـا بيديه، وتـلاه خيـال المآتـة.

انشـغل الحطـاب الصفيـح فـي تقطيـع العوائـق الشـجرية فـي طريـق تقدُّمهـم، وفجـأة كاد يتدحـرج ويتعثـر فـي مسـاحة خاليـة داخـل الغابـة، فالبلطـة نزلـت فجـأة فـي الهـواء، وكشـفت عـن مـكان فسـيح دائـري هائـل، الغريـب أن الأفـرع العلويـة للأشـجار تَشـابَكت صانِعـةً مـا يشـبه القبـة، لتكـون سـقفًا علـى المسـاحة الكبيـرة المكتشـفة، الأغـرب أن الظـلام لـم يكـن ينتشـر فـي هـذه القاعـة الطبيعيـة داخـل الغابـة، بـل ضـوء مبهـر أبيـض قـويٌّ جـاء مـن مصـدر غيـر مرئـي.

فـي هـذه القاعـة الطبيعيـة احتشـدت عشـرات مـن المخلوقـات الغريبـة، أذهلـت الحطـاب الصفيـح، فتجمَّـد فـي مكانـه للحظـة، اضطـرَّ فيهـا واتـي إلـى أن يزيـح جسـده المعدنـي جانبًـا حتـى يـرى مـا أذهلـه، كانـت تلـك اللحظـة كافيـةً أيضًـا ليصطـدم بهـم خيـال المآتـة، فيزيحهـم جانبًـا ويصبـح وجهًـا لوجـه مـع المشـهد الغريـب لهـؤلاء المخلوقـات الغريبـة.

هـؤلاء المخلوقـات منتفخـة فـي كل شـيء؛ الأرجـل والأذرع منتفخـة، الأيـدي والأقـدام منتفخـة، الأجسـاد مسـتديرة ومنتفخـة، وبالطبـع الـرؤوس مسـتديرة ومنتفخـة. الشـيء الوحيـد غيـر المسـتدير هـو الجـزء الأعلـى مـن الـرأس، ويظهـر أن بـه تجويفًـا طفيفًـا؛ ممَّـا يجعلهـا علـى شـكل صحـن بـدلًا مـن شـكل قبَّـة. لـم يرتـدوا ملابـس، ولا يوجـد حتـى شَـعرٌ علـى أجسـادهم المنتفخـة. لـون جلودهـم رمـادي فاتـح، عيونهـم مجـرد بقـع أرجوانيـة، وأنوفهـم منتفخـة مثـل كل شـيء آخـر فيهـم.

لاحـظ خيـال المآتـة أن حركتهـم هـي كالقفـز والتنطيـط، ولاحـظ أيضًـا أنهـم أخـف مـن الهـواء كالبلاليـن، فقـال مندهشًـا: "هـل هـم مـن المطَّـاط؟"، أجـاب واتـي الرَّحَّـال: "مـن الصعـب الجـزم بذلـك، فعلـى مـا يبـدو أجسـادهم منتشـر عليهـا البثـرات والثآليـل بكثـرة".

كان المنتفخـون -هكـذا يطلقـون علـى أنفسـهم- مشـغولين بعديـد مـن الأمـور حينمـا فاجأهـم الحطـاب الصفيـح، بعضهـم كان يلعـب، آخـرون كانـوا يقومـون ببعـض المهـام، وآخـرون متجمِّعـون للحديـث والدردشـة، لكـن صـوت تكسـير الأخشـاب الغريـب، تَـرَدَّد صـداه عاليًـا فـي المسـاحة الخاليـة، جعلتهـم كلهـم يسـتديرون وينظـرون فـي اتجـاه واحـد، وهـو اتجـاه الدُّخَـلاء، اتجـاه صـوت تكسـير خشـب الاشـجار. ثـم فـور ظهـور أصدقائنـا الثلاثـة اندفعـوا عليهـم كأنهـم كتلـة واحـدة فـي سـرعة هائلـة.

فوجـئ الحطـاب الصفيـح بتلـك الاندفاعـة غيـر المتوقَّعـة، ولـم يتمالـك نفسـه أو يحصـل علـى وقـت كافٍ ليرفـع البلطـة ليدافـع عـن نفسـه أمـام اندفاعـة المنتفخيـن. لوَّحَـت القبضـات المنتفخـة -التـي تشـبه قفـازات الملاكمـة- فـي وجـوه الدخـلاء، وضربتهـم بأقصـى قـوة مـن كل جانـب.

كانـت القبضـات ناعمـة ولـم تـؤذِ أصدقاءنـا إطلاقًـا، لكـن الانقضـاض المفاجـئ عليهـم أربكهـم، وفـي فتـرة وجيـزة، تمـدَّد الثلاثـة علـى الأرض مُكوَّميـن بفعـل القبضـات الملاكمـة.

بمجرد سقوطهم، سارع بعض هؤلاء المنتفخين بالقبض عليهم بالجلوس فوقهم؛ لمنعهم من النهوض مرة ثانية، بينما آخرون قطعوا جدائل من الأشجار على شكل حبال ليفية، وسارعوا بربط الأسرى من أرجلهم وأيديهم؛ ممَّا جعلهم عاجزين عن الحركة.

صاح أكبر منفوخ فيهم: "أهاا... لقد قبضنا عليهم بسهولة. هيا بنا نعرضهم على الملك بانا، نحكم عليهم وندينهم ونثقبهم".

كان عليهم جَرُّ الأسرى على الأرض؛ لأن أوزانهم ثقيلة، مقارنة بالمنفوخين. حتى خيال المآتة خفيف الوزن المحشو بالقش كان أثقلَ من أكبر المنفوخين. أخيرًا تمَّ جَرُّ الأسرى إلى منتصف القاعة الطبيعية داخل الغابة، حيث منصَّة دائرية عليها كرسي كالعرش، واسع وعريض. الغريب فيه أن مسند الكرسي مربوط فيه خيط موصول للأعلى حتى سقف القاعة.

تمَّ رصُّ السجناء بجانب بعض في مواجهه كرسي العرش الفارغ، ثم صاح أكبر المنفوخين: "جيد. الآن نحضر مليكنا ونجعله يحكم على هؤلاء السجناء الذين أسرناهم بشجاعة".

فور أن قال ذلك تَقدَّم عدد من المنفوخين وأمسكوا بالخيط وشدوه لأسفل، بهدوء ورويَّة ظهر من بين أوراق الأشجار التي تصنع سقف القبة أكبر المنفوخين على الإطلاق، لم تكد تَمرُّ دقيقتان حتى ثبت نفسه على كرسي العرش العريض؛ لكيلا يطفو مرة ثانية.

غمز الملك بعينة الأرجوانية وقال: "أهلًا.. ما الذي يحدث حاليًّا؟"، ردَّ أكبر المنفوخين: "غرباء يا صاحب السمو.. إنهم غرباء وأسرناهم وأصبحوا سجناءنا". صاح الملك بينما يتفحص الثلاث سجناء: "يا للهول... أنا أراهم بوضوح... أراهم بمنتهى الوضوح... يا لهم من حيوانات غريبة عجيبة... هل هم خَطِرون؟ هل تعتقد ذلك يا عزيزي بانتا؟".

أجاب بانتا: "للأسف هم خَطِرون يا جلالة الملك. بالطبع ربما لا يكونون خَطِرين. لكن لا يجب أن نغامر، يكفي ما أصاب المنفوخين المساكين. نصيحتي أن تحكم عليهم بالإدانة وتثقبهم بأسرع ما يكون". قال الملك بلهجة متكبرة: "احتَفِظ بنصيحتك لنفسك! مَن تظنُّ نفسك؟ هل أنت الملك أم أنا؟".

تمشَّى بانتا جيئة وذهابًا في المساحة بين عرش الملك والسجناء، وقال بلهجة متكبرة ومتعجرفة: "نحن نصَّبناكَ ملكًا علينا لأنك أقل واحد فينا فطنةً وحَصَافَة ليَزِنَ الأمور. كان بإمكاني أن أصبح أنا الملك، لو أردتُ، لكنني لم أهتم بالعمل الجاد والمسؤولية".

بدا للسجناء أن حشد المنفوخين حولهم مُعجَبٌ بتحدِّي بانتا للملك، لكن هذا لم يَدُم طويلًا؛ ففجأة صدرت فرقعة حادَّة واختفى بانتا من أمامهم. ممَّا أثار دهشة خيال المآتة والحطاب الصفيح وواتي الرَّحَّال هو مشاهدتهم لكومة من الجلد المترهِّل والمتجعِّد كأنه بالون مطاطي مُفرقَع يقع في المكان الذي كان يقف فيه بانتا.

صاح الملك مقهقهًا: "ها هو... هذا ما توقَّعتُه.. هذا الوغد المغرور سينفخ نفسه حتى يصبح أكبر مني. وهذا هو جزاء نفختَه الكذَّابة. هيا هاتوا المضخَّة وانفخوه مرَّة ثانية".

اقترح أحد المنفوخين في الحشد حولهم: "يجب أوَّلًا إصلاح الثقب يا جلالة الملك"، زمجر الملك وقال: "حسنًا... حسنًا... أحضِروا بانشا لتصلح الثقب"، بينما لاحظ السجناء الثلاثة أن أيًّا من المنفوخين من الحشد انزعج من الحادث الأليم للمنفوخ بانتا.

سارع اثنان منهم لإطاعة أوامر الملك، وذهبا لإحضار بانشا، عادا وتبعتهما سيدة منفوخة ترتدي تنورة مطاطية ضخمة، كما أن لديها ريشة أرجوانية مثبتة في ثؤلول أعلى رأسها. وعلى خصرها حزام تتدلَّى منه ألياف تشبه الأوتار. قال لها الملك: "ابدئي العمل يا بانشا. لقد انفجر بانتا".

تفحَّصَت بانشا كومة الجلد المترهل، حتى عثرت على الثقب الذي تسبَّب في الانفجار. ثم سحبت خيطًا من حزامها وخاطت به الثقب. ما ظنَّه أصدقاؤنا بثرات وثآليل هو أثر خياطة السيدة بانشا. وحين انتهت من مهمَّتها وهمَّت بالرحيل، اصطدمت بالسجناء المكبلين أمام منصة عرش الملك، فتوقفت وصاحت: "يا إلهي! ما هذه المخلوقات المخيفة؟ من أين أتيتم بها؟".

أجاب واحد من المنتفخين: "لقد أسرناهم!"، استفسرت بانشا: "وماذا ستفعلون بهم؟"، أجاب الملك: "ربما سندينهم ونثقبهم"، نظرت بانشا لهم نظرة متفحِّصةً وقالت: "حسنًا... حسنًا... لا أظن أنه يمكن ثقب هؤلاء المخلوقات. هيا لنحاول ونرى".

واحد منهم ذهب لأطراف الغابة وعاد بقضيب طويل خشبي على شكل الحربة. تَطلَّع المنفوخ للملك ينتظر إشارة، فأومأ الملك برأسه إيماءة خفيفة بالموافقة. فتوجَّه المنفوخ بالحربة ناحية السجناء ونغز رجل خيال المآتة. لم يصدر من خيال المآتة أي صوت، وبالكاد ابتسم، فالحربة لم تُسبِّب له أي أذًى على الإطلاق.

توجَّه بعدها المنفوخ إلى الحطاب الصفيح ونغزه في رجله، لم يحدث شيء له أيضًا سوى أن الطرف المدبب من الحربة انكسر من الصفيح.

صاحت بانشا: "كما توقَّعتُ تمامًا"، لكن ذلك لم يمنع المنفوخ ذا الحربة من نغزه الصبي واتي الرَّجَّال في رجله. رغم أن الحربة كان طرفها المدبَّب مكسورًا، ولكنها ما زالت حادَّة كفاية لتصيب الصبي بالألم، فصرخ: "أأأأه".

نفض الصبي رجله من الألم بعنف لدرجة أن الروابط الضعيفة التي تُقيِّده انخلعت، وفي نفس الوقت اصطدمت بالمنفوخ ذي الحربة. جاءت الركلة في البطن المنتفخ للمنفوخ فطار في الهواء، وعندما أصبح عاليًا في الهواء، انفجر وسقط جلده المترهل المنفجر على الأرض.

نظـر الملـك للصبـي خائفًـا: "أعتقـد أن بانتـا كان علـى حـق. هـؤلاء السـجناء خطـرون فعـلًا. هـل أحضرتـم المضخَّـة؟"، جـاءت ماكينـة كبيـرة يجرُّهـا أربعـة منفوخيـن، محمولـة علـى أربـع عجـلات، واسـتقرَّت أمـام منصـة العـرش. واحـد مـن الأربعـة منفوخيـن تنـاول خرطومًـا عريضًـا منهـا ووضعـه فـي جلـد بانتـا المترهـل، وشـرع الآخـرون فـي تحريـك رافعـة بشـكل رتيـب لضـخِّ الهـواء فـي الخرطـوم، وبالتالـي فـي جسـد بانتـا.

بعـد نفـخ بانتـا بحجـم مناسـب، صـاح الملـك: "توقَّفـوا"، ولكـن بانتـا، الـذي أصبـح قـادرًا علـى الـكلام، صـرخ: "لا... لا... أنـا لسـت منفوخًـا كفايـة... انفخـوا ثانيـة... هيـا اسـتمروا".

قـال الملـك بحـزم:" أنـت منفـوخ ومتكبِّـر كمـا ينبغـي لـك أن تكـون. قبـل انفجـارك، كنـت أكبـر منفـوخ فينـا، انظـر مـاذا فعـل نفخـةٌ وتكبُّـر قليـل زائـد عـن الحـد؟ أنـت الآن فـي وضـع وحجـم مناسـب. ربَّمـا يُعلِّمـك ذلـك قليـل مـن التواضـع".

اسـتمر صـراخ بانتـا: "انفخونـي... انفخونـي... اسـتمروا بضـخِّ الهـواء. إذا لـم تفعلـوا سـتحطِّمون قلبـي!"، ردَّ الملـك بهـدوء: "وإذا فعلنـا سـنمزِّق جلـدك!".

أطـاع العُمَّـال أوامـر الملـك وتوقَّفـوا عـن الضَّـخِّ. بالفعـل أصبـح بانتـا أكثـر تواضُعًـا، فقـد انسـحب إلـى الخلـف، ولـم يَعُـد يتفاخـر ويتكبَّـر كمـا كان فـي السـابق. أمـر الملـك العُمَّـال بضَـخِّ الهـواء فـي المنفـوخ بانفـا -وهـو المنفـوخ الـذي فرقعـه واتـي بـدون قصـد- فقـد أنهـت السـيدة بانشـا إصـلاح الثقـب فيـه، وأصبـح جاهـزًا للنفـخ.

أثنـاء الدقائـق الماضيـة، أثنـاء إصـلاح ونفـخ بانتـا وبانفـا، لـم ينتبـه أحـد للسـجناء المقيديـن، فقـد اسـتطاع واتـي الرحـال تحريـر قدمـه وزحـف إلـى الحطـاب الصفيـح المقيَّـد، وحـكَّ قيـد يديـه فـي السِّـنِّ الحـاد للبَلطَـة حتى قطعها وأصبح حُرًّا بالكامل.

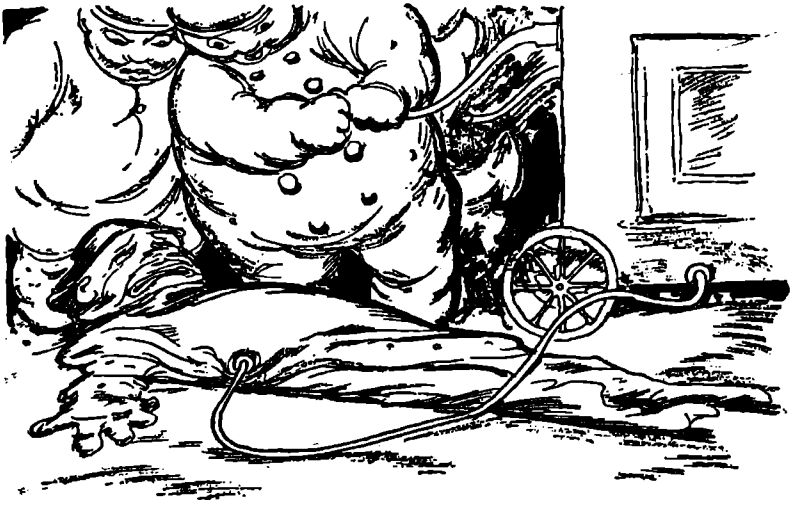

رأى الصبي الحربة التي نُغِز بها مرميَّةً بإهمال على الأرض، فقد وقعت من المنفوخ بانفا حين انفجر. تناول واتي الحربة، وبينما الجميع مشغولون بمشاهدة عملية الضخ. اندفع الصبي في الحشد كأنه محارب في حرب ضروس ضد أعداء مغاوير.

"بوم"-"بوم"... "بوم"، انفجر ثلاثة منفوخين، والصوت المفاجئ جعل بقية الحشد يستدير، ليرى المحارب واتي ينغزهم ويُفجِّرهم من الخلف، كان الخطر مُحدِقًا بكل منفوخ فيهم، ولم يستطيعوا فعل شيء سوى الصراخ والعويل والتَّشتُّت في كل اتجاه، لكن هذا لم يمنع واتي من مطاردتهم باستماتة ليُشتِّتهم ويبعدهم عن أصدقائه المقيدين.

في غمرة اندفاعه، اندهش واتي من أن فرقعة هؤلاء المنفوخين عملية سهلة، بل وغاية في السهولة، فور أن تلمسهم الحربة، يخرج الهواء منهم بـ "فسس"، ويتساقطون على الأرض، مجرَّد جلد مترهِّل مُفرقَع بلا حول ولا قوة.

بانشا واحد ممَّن استطاعوا الإفلات من المصير المرعب للفرقعة، ومعظمهم هرب إلى أعلى، وجدوا ملجأ لهم على أفرع الأشجار العالية. حين انفضَّ الجمع من حوله هربًا من السن المكسور للحربة، توقَّف واتي ليلتقط أنفاسه من تعب المطاردة.

عاد إلى أصدقائه المقيَّدين ينهج، فقال الحطاب الصفيح: "أحسنتَ أيها الرَّحَّال. الآن لم يَعُد علينا أن نخاف من هؤلاء المنفوخين المتكبرين. من فضلك فُكَّ قيودنا لكي نستكمل رحلتنا". قطع واتي القيود بمنتهى السهولة، لدرجة أنه ظن أنه لا داعي ليطلب الحَطَّاب الصفيح منه ذلك، فبإمكانه فكها بنفسه. لكن حتى ولو كان هذا صحيحًا، فما زال خيال المآتة يحتاج للمساعدة ليقف على رجليه مرة ثانية.

شاهد خيال المآتة المنفوخ الوحيد الذي ظلَّ بعد هجوم واتي، وهو الملك بانا، فقد كان ما زال مُقيَّد إلى العرش يحدِّق مذهولًا في رعاياه وهم يُفرقَعون، الواحد تلو الآخر، ويفرون لأعلى، إلى أبعد مكان. مال واتي على خيال المآتة يسأله: "هل أثقب الملك؟".

لا بُدَّ أن الملك بانا سمع هذا السؤال، لأنه تخبَّط في ذلك القيد الذي يثبِّته في العرش، وتمكَّن من الإفلات، وطار لأعلى حتى اختفى عن الأنظار، ولكن واتي أخبرهم أن الخيط الذي يربطه بكرسي العرش ما زال موجودًا، بمعنى أنهم يستطيعون سحب وشدَّ الخيط حتى يُنزلوه من أعلى، إذا أرادوا ذلك.

قال خيال المآتة: "دعك منه، أعتقد أنه يقوم بمنصب الملك على نحو جيد لهؤلاء المنفوخين". واقترح الحطاب الصفيح: "وبعد رحيلنا سيكون لديه كثير من المهام للإشراف على ضخ الهواء في هؤلاء المنفوخين الذي ثقبهم واتي".

تحسَّس واتي مكان الألم في رجله وقال غاضبًا: "كل واحد فيهم يستحقُّ الفرقعة من تلك النفخة الكدابة".

قال الحطاب الصفيح: "لا... هذا ليس عدلًا... أعتقد أن لهم الحق في القبض علينا، فنحن لم يكن لدينا الحق في التدخُّل في شؤونهم بعدما قرأنا التحذير خارج بلدتهم. هذه بلدتهم وليس بلدتنا. وبما أن تلك المخلوقات المسكينة لا تستطيع مغادرة هذا المكان الفسيح داخل الغابة؛ فإنهم لا يمكن أن يؤذوا أحدًا إلا مَن يغامرون بالدخول هنا بدافع الفضول، كما فعلنا".

وافقه خيال المآتة: "حسنًا يا صديقي. لم يكن من الصواب إزعاج سلامهم وراحتهم؛ لذا دعونا نرحل من هنا".

لم يكن من الصعب العثور على المدخل الذي اقتحموا منه مكان المنفوخين، نزع الحطَّاب الصفيح جذع شجرة مكسور وتبعه خيال المآتة. نظر واتي الرَّحَّال للمكان الذي شهد أحداث الفرقعات، قبل أن يتبع أصدقاءه، فرأى المنفوخين ينظرون لهم من أعلى أفرع الأشجار ينتظرون رحيلهم، فقال: "على ما يبدو أنهم مسرورون برحيلنا".

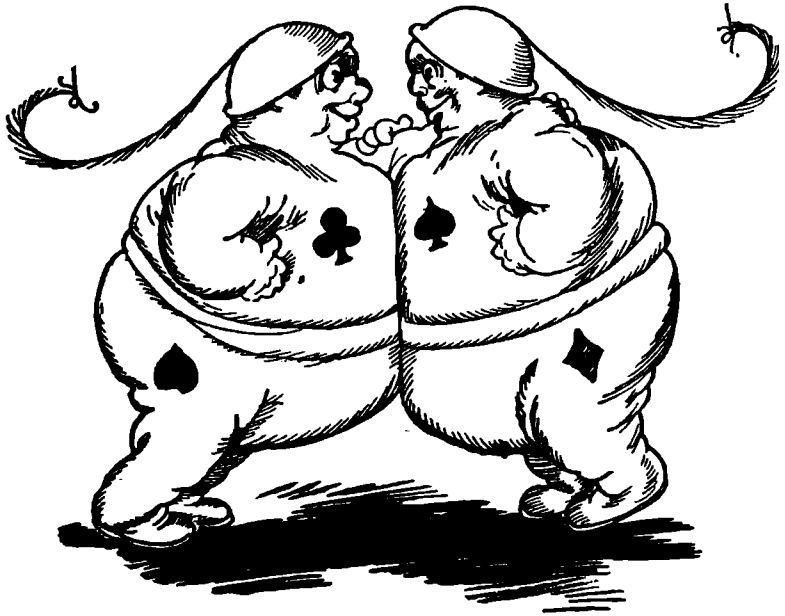

الفصل الخامس

السيدة يووب العملاقة

عندما وصلوا لنهاية الممر حيث شاهدوا اللافتة التحذيرية أول مرة، انطلقوا يخترقون مقاطعة الجليجان في الاتجاه الشرقي. لم يمضِ وقت طويل حتى بلغوا منطقة الأراض المتموجة، وهي عبارة عن سلسلة من التلال والوديان، حيث التَّسلُّق لأعلى والنزول لأسفل مطلوب باستمرار. أصبحت مسيرتهم مُملَّة؛ لأنه عند تسلُّق كل تل، لم يشاهدوا أمامهم في الوادي الذي يقع تحته شيئًا سوى الأعشاب أو الحجارة.

استمر صعودهم وهبوطهم لساعات، دون أي شيء يُخفِّف من رتابة المناظر الطبيعية.

أخيرًا، عندما وصلوا إلى قمة تلٍّ أعلى من التلال السابقة، اكتشفوا واديًا على شكل كوب في وسطه استقرَّت قلعة ضخمة، مبنية من الحجر الأرجواني.

القلعة عالية وواسعة وطويلة، لكن لم يكن بها أبراج من أي نوع. بقدر ما يمكنهم رؤيته من قمَّة التل، لم يكن هناك سوى نافذة صغيرة واحدة وباب كبير على كل جانب من جوانب المبنى الهائل.

تأمَّل خيال المآتة القلعة وقال كأنه يحادث نفسه: "هذا غريب. لم أكن أعرف أنه في مقاطعة الجليجان مبنى بهذه الضخامة. مَن يا ترى يعيش فيه؟".

قال الحطاب الصفيح كأنه يسترسل على أفكار رفيقه: "من موقعي هنا، أستطيع القول إنها أضخم قلعة رأيتها في حياتي. إنها أضخم من أي شيء يمكن أن يعيش فيها؛ فهذه الأبواب لا يمكن غلقها أو فتحها بدون استخدام سُلَّم للوصول للرَّتَّاج والمزلاج المقفول".

اقترح واتي: "ربما لو اقتربنا قليلًا، سنكتشف ما إذا كان أحد يعيش هناك أم لا. عن نفسي، أعتقد أنه لا أحد يعيش هناك".

حينما وصلوا لمنتصف الوادي الذي على شكل كوب، حيث تستقرُّ القلعة الهائلة، بدأ يحلُّ الظلام، فتردَّدوا قليلًا فيما يجب أن يفعلوا، حينها نبَّههما واتي الرَّحَّال وقال بجدية: "لو كان من يعيش هناك أشخاصًا ودودين، فبالطبع سأكون سعيدًا لو عرضوا عليَّ سريرًا وعشاء. أمَّا لو أن من يسكن هذه القلعة أشخاصٌ أشرار، فأنا أفضِّل بالطبع قضاء ليلتي على الأرض، وتناول عشاء جافٍّ من حقيبة ظهري".

أضاف خيال المآتة: "أمَّا لو لم نجد أحدًا يسكن هناك، فسندخل ونستولي على المكان ونقعد هناك كأنه منزلنا".

بينما يتشاورون فيما يجب عمله، اقترب خيال المآتة من الباب الذي كان أكبرَ ثلاث مرات من أكبر باب رآه، فلاحظ على لافتة حجرية مثبَّتة بجانب الباب، كلامًا محفورًا مكتوبًا، فقرأه، رغم الضوء الخافت للقمر: "قلعة يووب"، سكت لحظة ثم صاح: "آه... تذكَّرتُ... إنه على الأغلب منزل السيد يووب. إنه عملاق رهيب، رأيته من قبل[1]... إنه مُدانٌ في قفص... على مسافة بعيدة من هنا... أعتقد أن القلعة خالية لأنه محبوس في مكان بعيد من هنا".

قال الحطاب الصفيح: "نعم، نعم، تذكَّرتُ السيد يووب. ألم يكن أسيرًا في قفص داخل الجبل! لكن كيف سندخل تلك القلعة المهجورة؟ مقبض الباب في منتصف الباب، أعلى من رؤوسنا. ولا أحد يمكنه الوصول إليه".

بادر واتي بتقديم حلٍّ لتلك المشكلة فقال: "لو وقفت على كتفك. أعتقد أنه يمكنني الوصول لمقبض الباب"، وافق الحطاب الصفيح وقال: "نعم... هيا... اصعد على كتفي"، وحين اعتلى الصبي الجسدَ الصفيح للحطاب استطاع الوصول لرِتَاج الباب ورفع المزلاج.

على الفور، تأرجحت درفة الباب للداخل وانفتحت بوابة القلعة، أصدرت مفصَّلات الباب صريرًا مزعجًا كأنها تحتجُّ على ما حدث. قفز واتي من على كتفي الحطاب الصفيح ونزل ليرافق أصدقاءه إلى داخل القلعة.

بمجرد دخولهم، سمعوا صوت الصرير الرهيب للمفصَّلات مرة ثانية، فقد أغلق الباب نفسه، كأنما حدث ذلك بفِعل السحر، فلم يلمسه أي واحد منهم. علاوة على ذلك، كان المزلاج من الخارج،

---

(1) قابل خيال المآتة العملاق يووب الأسير في الفصل العشرين من رواية فتاة قصاقيص القماش، حينما كان في صحبة دورثي وأوجو وفتاة قصاقيص القماش، كان ذلك على الحدود الشمالية لمقاطعة الجودلينج.

وخطر ببال كل واحد منهم أنهم أصبحوا الآن سجناء في هذه القلعة المجهولة.

غمغم خيال المآتة: "حاليًّا، لسنا مسؤولين عمَّا يحدث لنا، ما بيدنا حيلة فيما سيحدث؛ لذا هيا بنا نتقدَّم بشجاعة ونستكشف ما يمكننا رؤيته".

عمَّ الظلام في ممر المدخل، بعد أن أُغلِق الباب من تلقاء نفسه، فمشى الأصدقاء ملتصقين ببعض في المدخل الحجري، غير مدركين للخطر المحدق بهم.

فجأة بزغ وهج ناعم، ظلَّ يكبر ويمتدُّ، حتى تمكَّنوا من رؤية ما يحيطهم بوضوح. فقد وصلوا لنهاية ممرِّ المدخل، وظهر أمامهم باب ضخم آخر، انفتح أمامهم بدون ضوضاء، وأيضًا من تلقاء نفسه، بدون تدخُّل منهم، ومن مكانهم قبل دخول ذلك الباب، لاحظوا أنه يؤدي إلى غرفة كبيرة، جدرانها مبطنة بصفائح من الذهب الخالص، المصقول بعناية.

كانت الغرفة مضاءة، رغم أن أحدًا منهم لم يرَ مصابيح، وفي منتصفها طاولة ضخمة تجلس بجوارها امرأة عملاقة على مقعد حجري ضخم ليتحمل حجمها الهائل.

ارتَدَت العملاقةُ رداءً فضِّيًّا مُطرَّزًا بتصميمات مبهجة، وفوق تلك الثياب الرائعة لبست مئزرًا من الدانتيل المشغول المتقن، لم يكن ذلك المئزر متناسقًا مع ثوبها الأنيق، ولكنها ارتدته على أي حال.

كانت الطاولة أمامها مفروشة بمفرش أبيض كبير عليه عدَّة أطباق ذهبية، فخمَّن الأصدقاء أن دخولهم على العملاقة كان أثناء تناولها العشاء. لم تكن تواجه الأصدقاء، بل كان ظهرها لهم، ورغم ذلك لم تلتفت لهم، بل تناولت بسكويتًا من الطبق أمامها ودهنته بالعسل، وقالت في صوت عميق وضخم: "لماذا لا تدخلون وتدعون الباب يُغلق نفسه؟ أنتم تتسبَّبون في دخول تيار هوائي، والتيار الهوائي

يتسبَّب في إصابتي بالبرد، والبرد يتسبَّب في أني أعطس، وحينما أعطس يتعكَّر مزاجي، وحين يتعكَّر مزاجي فلست مسؤولة عن الأشياء الشريرة التي أفعلها. ادخلوا أيها الحمقى الغرباء. هيا ادخلوا".

بعد كلامها الذي حثَّهم على الدخول، أطاعوها ودخلوا الغرفة، ثم أغلق باب القاعة نفسه في صمت. تمشَّوا حتى وقفوا أمام الطاولة في مواجهة العملاقة، التي واصلت الأكل، وابتسمت بفضول حين رأتهم يقتربون خائفين. لاحظ واتي أن الباب أغلق نفسه وراءهم بصمت، وهذا لم يجعله مرتاحًا على الإطلاق لما يحدث.

قالت العملاقة: "حسنًا... حسنًا... ما العذر الذي ستقدِّمونه لي؟".

قال خيال المآتة: "لم نكن نعرف أن أحدًا يعيش هنا، يا سيدتي؛ لذا بما أننا مسافرون وغرباء عن تلك الأنحاء، فكُنَّا نرغب في مكان يصلح لينام فيه صديقنا؛ فغامرنا بدخول القلعة".

تناوَلَت العملاقة بسكويتًا آخر ودهنته بالعسل وقالت: "أنتم تعرفون أن هذه ملكية خاصة. أليس كذلك؟".

"لقد رأينا المكتوب على اللافتة أمام الباب الخارجي، مكتوب عليها 'قلعة يووب'، ولكننا نعرف أن السيد يووب مسجون في قفص في مكان بعيد من هنا، في أرض أوز، فافترضنا أنه لا أحد يعيش هنا، وقرَّرنا أن نستخدم المكان لقضاء الليلة حتى الصباح".

هزَّت العملاقة يووب رأسها وابتسمت مرة ثانية، بطريقة جعلت واتي يرتجف وقالت: "حسنًا... حسنًا... فهمت... أنت إذًا لا تعرف أن السيد يووب متزوج، أو تعرف أنه بعدما وقع أسيرًا استقرَّت زوجته هنا وسكنت القلعة، فجئتَ إلى هنا على أمل أن ترتاح كأنه بيتك. أليس كذلك؟".

حاول واتي استجماع شجاعته والنظر للسيدة يووب، وسألها: "مَن أسر السيد يووب؟".

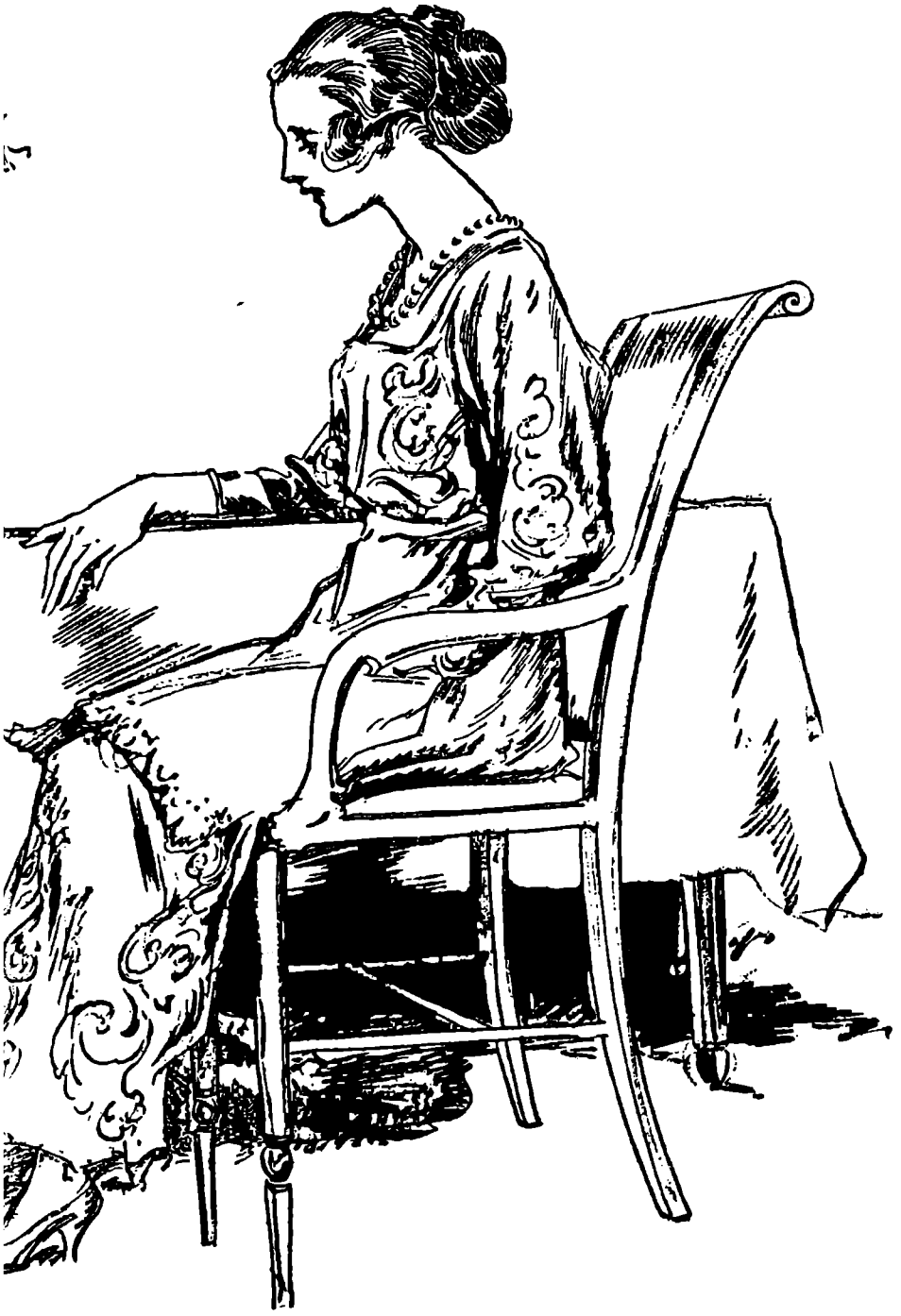

"أعـداء أشـرار. نـاس اعترضـوا بأنانيـة علـى أن السـيد يـووب يأخـذ أبقارهـم وأغنامهـم ليأكلهـا. صحيـح أنـي أعتـرف أن السـيد يـووب لـه مـزاج سـيئ، فقـد اعتـاد علـى دكٍّ بعـض المنـازل التـي تقـع فـي طريقـه بيـن الحيـن والآخـر، حينمـا يكـون غاضبًـا. فـي أحـد الأيـام، جـاء حشـد منهـم ونجحـوا فـي أَسْـر زوجـي يـووب، قبضـوا عليـه وأودعـوه فـي قفـص داخـل أحـد الجبـال. لا أعـرف مكانـه، ولا يهمُّنـي؛ فقـد كان يعاملنـي بطريقـة سـيئة، لقـد كان يركلنـي فـي بطنـي فـي كثيـر مـن الأوقـات بـدون سـبب، متناسـيًا الاحتـرام الـذي يُكنُّـه الـزوج لزوجتـه؛ لـذا أنـا سـعيدة أنـه 'غـار فـي داهيـة".

علق واتي: "أنا مندهش أنهم لم يقبضوا عليك أنتِ أيضًا!".

انفجـرت العملاقـة فـي ضحكـة مفاجئـة، وتسـبَّب نَفَسٌ خـرَجَ مـن فمهـا غـي دفـع خيـال المآتـة القشـي ليطيـر فـي الهـواء، لـولا أن تشـبَّث بصديقـه الحطـاب الصفيـح ليسـتعيد توازنـه ووقوفـه مـرَّةً أخـرى، وقالـت: "حسـنًا... لقـد كنـتُ أذكـى منهـم، فحيـن رأيـت هـؤلاء الأشـرار يقتربـون أحسسـت أنهـم مُقدِمـون علـى عنـف، فحوَّلـتُ نفسـي إلـى فـأر واختبـأت فـي خزانـة، وبعـد أن قبضـوا عليـه ورحلـوا أعـدتُ نفسـي إلـى هيئتـي مـرة ثانيـة، وعُـدتُ للقلعـة أسـكنها وأعيـش فـي سـلام".

"هل أنتِ ساحرة؟".

"حسـنًا... ليـس بالضبـط... أنـا خبيـرة فـي فـن التَّحـوُّلات. بعبـارة أخـرى: أنـا يوكوهوتـو أكثـر مـن كونـي سـاحرة عاديـة. أنـت بالطبـع تعـرف أن اليوكوهوتـو أذكـى سـحرة فـي العالـم".

التـزم المسـافرون الصمـت لفتـرة مـن الوقـت، مـع عـدم الارتيـاح لهـذا التصريـح، والـذي سـيؤثر علـى مسـتقبلهم فـي هـذه القلعـة. بـدون شـكٍّ تَعمَّـدَت العملاقـة أن يكونـوا أسـراها، ومـع ذلـك تُحدِّثهـم بمـرح شـديد، بصوتهـا العميـق، وحتـى هـذه اللحظـة لـم يخامرهـم أي انزعـاج علـى الإطـلاق.

رويـدًا رويـدًا سـألها خيـال المآتـة: "هـل نعتبـرك صديقتنـا، يـا سـيدة يـووب، أم تعتزميـن أن تكونـي عدوَّتَنـا؟".

قالـت بنبـرة كأنهـا تُقـرُّ أمـرًا واقعًـا: "لـم يكـن لـي أبـدًا أصدقـاء؛ فهـم يصبحـون ودوديـن أكثـر مـن الـلازم، ودائمًـا مـا ينسـون أن عليهـم عـدم التَّدخُّـل فـي شـؤون الآخريـن. لكنـي حتـى الآن لا أعتبركـم أعـداء. بالطبـع أنـا سـعيدة أنكـم حضرتـم؛ فحياتـي أصابهـا السـأم، ولـم يَعُـد لـديَّ أي أحـد لأدردش معـه منـذ حوَّلـت بوليكـروم، ابنـة قـوس قـزح، إلـى طائـر كنـاري".

قـال الحطـاب الصفيـح مندهشًـا: "كيـف فعلـتِ ذلـك؟ بوليكـروم جنيـة قوية"[1].

قالـت السـيدة يـووب العملاقـة: "حسـنًا... كانـت... كانـت جنيـة قويـة... الآن هـي طائـر كنـاري... يومًـا مـا بعـد هطـول المطـر، رقَصَـت بوليكـروم علـى قـوس قـزح حتـى وصلـت للأرض. وهنـا غَفَـت قليـلًا فـي الـوادي، فـي مـكان قريـب مـن قلعتـي. سـطعت الشـمس وذهـب قـوس قـزح بعيـدًا، قبل أن تَصحـو مـن غفوتهـا، تسـلَّلتُ وحوَّلتهـا إلـى طائـر كنـاري، وحبسـتها فـي قفـص ذهبـي مُرصَّـع بالمـاس. طبعًـا القفـص كيـلا تطير بعيـدًا وتظـل معي. توقَّعـتُ أن تغنـي ونتحـدث ونقضـي أوقاتًـا طيبـة، لكنهـا لـم تُفضِّـل رفقتـي علـى الإطـلاق، فمنـذ لحظـة تحوُّلهـا، رفضـت أن تنطـق كلمـة واحـدة".

استفسـر واتـي: "وأيـن هـي الآن؟"، فقـد سـمع حكايـات عـن الجنيـة الحبوبـة بوليكـروم، وأظهـر اهتمامًـا بهـا. تناوَلَـت العملاقـة بسـكويتًا آخـر، وقالـت بـدون اهتمـام: "القفـص مُعلَّـق فـي غرفـة نومـي".

اسـتولى علـى المسـافرين شـعور بالقلـق والشـك فـي نوايـا العملاقـة أكثـر مـن ذي قبـل. إذا كانـت بوليكـروم، ابنـة قـوس قـزح، الجنيـة الحقيقية،

(1) (ظهـرت بوليكـروم أول مـرة في مغامـرة الروايـة الخامسـة الطريـق إلى أوز، ومغامـرة الروايـة الثامنـة تيكتـوك في أوز، صحيح لم تخـض بوليكـروم مغامـرة مـع خيـال المائـة أو الحطـاب الصفيـح.. لكنهـا حـضرت احتفـال عيـد ميـلاد أوزمـا في مدينـة الزمـرد في مغامرتهـا الأولى في أوز).

تحوَّلَت واستعبدتها تلك المرأة الضخمة، التي تدَّعي أنها من عرق اليوكوهوتو، فما الممكن أن يحدث لهم؟

استجمع خيال المآتة نفسه وقال: "هل تعرفين مَن نحن يا سيدة يووب؟".

"حسنًا... بالطبع... رجل من القش ورجل من الصفيح وصبي".

قال الحطاب الصفيح: "نحن رجال مهمُّون للغاية".

"هذا سيجعل الوضع أفضل؛ فسأستمتع بصحبتكم أكثر بهذه الصفة، كونكم رجالًا مهمِّين... حسنًا... أعتزم الاحتفاظ بكم طوال حياتي، لتقوموا بتسليتي حينما أشعر بالوحدة"، ثم أضافت ببطء: "وأنتم تعرفون بالطبع أن لا أحد يموت في أرض أوز، وهنا في الوادي يوجد كثير من الوحدة والعُزلة".

كلامها، ونبرة صوتها لم يعجبا أيًّا من الأصدقاء. عبس خيال المآتة، ولكن السيدة يووب ابتسمت، ورمقها الحطاب الصفيح بنظرة شراسة، ولكن السيدة يووب ابتسمت، أمَّا الصبي واتي الرَّجَّال فقد كشَّر، مُحاولًا أن يُظهر غضبه، ولكن السيدة يووب ابتسمت.

قال الحطاب الصفيح بلهجة وعيد وتحذير: "لنا أصدقاء أقوياء ومهمون سيهرُّون لإنقاذنا".

ردَّت في نبرة تهكُّم: "حسنًا... دعهم يأتوا، فحين يحضرون إلى هنا، لن يجدوا صبيًّا أو رجلًا من القش أو رَجُلًا من الصفيح، ففي الصباح الباكر، سوف أحوِّلكم إلى أشكال أخرى، لن يتعرف عليكم أحد".

أصابهم هذا التهديد بالفزع. كانت العملاقة أكثر فظاعة ممَّا كانوا يتصورون. يمكنها أن تبتسم وأن ترتدي ملابس جميلة، وفي نفس الوقت تكون أكثر قسوة من زوجها الشرير. حاول الحطاب الصفيح وخيال المآتة التفكير في طريقة للهروب من القلعة قبل الصباح، لكن يبدو أنها قرأت أفكارهم، وقالت: "لا تتعبوا عقولكم في التفكير في

الفرار من هنا، لا يمكنكم ذلك حتى لو فكَّرتم في مليون طريقة. ما فائدة الهروب؟ سأعطيكم هيئات وأشكال أفضل بكثير من هيئاتكم تلك. كونوا راضين بمصيركم؛ فعدم الرضا يؤدي للاستياء، والاستياء يؤدي للتعاسة، والتعاسة هي أكبر الشرور التي نقع فيها".

سأل واتي بجدية: "ما هي الأشكال التي تنوين أن تحوِّلينا إليها؟".

"لم أقرِّر بعدُ. سأحلم بذلك أثناء نومي. وغدًا أكون حسَمتُ الرأي حول الشكل الذي سأحوِّلكم عليه. على فكرة، من الممكن أن أدعكم تختارون الشكل الذي ستصبحون عليه".

قال واتي: "لا... أنا أُفضِّل أن أظلَّ كما أنا".

"هذا ظريفٌ حقًّا. أنت ضئيل وضعيف، كما أنت. وأنت على حالك تلك لا أحد يعمل لك حسابًا. أفضل شيء فيك هو أنك على قيد الحياة؛ لذا سيكون من الأسهل أن أُحوِّلك إلى كائن حي، سيكون تطوُّرًا وتَحسُّنًا كبيرًا من شكلك الحالي".

تناوَلَت قطعة بسكويت أخرى وغمستها في وعاء مملوء بالعسل، وبهدوء قضمت منه، ولاحظ خيال المآتة أن عشاءها كله عبارة عن بسكويت وعسل، فقال: "لا يوجد حقول ذرة في الوادي، فمن أين تأتين بالطحين الذي تصنعين من البسكويت؟".

"حسنًا... رِفقًا بي... هل تظن أني أشغل نفسي بصناعة بسكويت من الدقيق؟ هل تظنُّ أن يوكوهوتو مثلي يزعج نفسه بالطحين والعجين؟ كل ما في الأمر أن مصيدتي صادت الكثير من فئران الحقول أمس، وبما أني لا أحب أكل الفئران، فقد حوَّلتُهم إلى بسكويت ساخن طازج. أمَّا العسل في هذا الوعاء فقد كان يومًا ما عُشَّ دبابير، حوَّلته إلى عسل حلو لذيذ. هكذا هو الحال دائمًا هنا. حين أرغب في الأكل؛ أبحث عن شيء لا يهمُّني وليس ذا فائدة، وأحوِّله إلى طعام لذيذ أرغب في تناوله. لماذا تسأل؟ هل أنت جائع؟".

قال خيال المآتة: "أنا لا آكل. شكرًا".

قال الحطاب الصفيح: "ولا أنا".

قال واتي الرَّحَّال: "أمَّا أنا فما زلت أحتفظ بطعام طبيعي في حقيبتي. أُفضِّل أن آكله عن أكل عشِّ الدبابير أو فئران الحقول".

قالت العملاقة بلا مبالاة: "كل شخص حسب ذوقه، كما تشاؤون"، وبعد أن أنهت عشاءها، نهضت على قدميها وصفَّقَت، فاختفت مائدة العشاء على الفور.

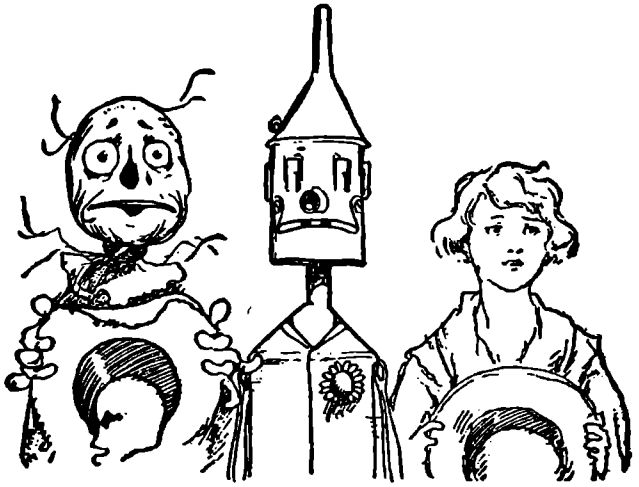

الفصل السادس

سحر اليوكوهوتو

لم يرَ واتي كثيرًا من السحر في ترحاله وأسفاره، بينما شاهد وعرف خيال المآتة والحطاب الصفيح الكثير والكثير عن مختلف أنواع السحر طوال حياتيهما، بالرغم من ذلك، فقد أثارت قدرات السيدة يووب السحرية إعجابهم، فهي لم تفتعل أجواء غامضة، أو تلقي تعويذة سحرية ما، أو تقوم بطقوس خفية كما يفعل معظم السحرة، كما لم تكن عجوزًا أو قبيحة أو دميمة، أو كان أسلوبها سَمِجًا وجلفًا، ومع ذلك، فقد أخافت سجناءها أكثر ممَّا يمكن أن تفعله أي ساحرة أخرى.

قالت لهم: "تفضَّلوا... اجلسوا"، لكن جميع الكراسي في الغرفة عالية جدًّا، لدرجة أن أصدقاءنا لم يتمكَّنوا من الصعود إليها. لاحظت السيدة يووب ذلك، ولوَّحَت بيدها، فظهر سُلَّم ذهبيٌّ على الفور، مسنود على الكرسي المقابل لها.

قالت: "اصعدوا"، وبالطبع أطاعوا، ساعد الحطاب الصفيح والصبي خيالَ المآتة على الصعود والجلوس على الكرسي العالي. عندما جلسوا جميعًا في صفٍّ واحد على وسادة الكرسي، قالت العملاقة: "الآن، أخبروني لماذا تسافرون في هذه الأنحاء، ومن أين أتيتم وما المهمة التي تبتغونها؟".

حكى لها الحطاب الصفيح عن نامي نام، وكيف قرَّر العثور عليها والزواج منها، بالرغم من أنه لا يملك قلب محبٍّ. على ما يبدو أن تلك الحكاية أمتعت السيدة العملاقة. ثم سألت خيال المآتة عن الأميرة أوزما، فهي أول مرة تسمع عنها. ولاحقته بالاستفسارات عن دورثي وچاك رأس القرع والدكتور بيبيت وتيكتوك والكثير من الشخصيات المعروفة في مدينة الزمرد. حكى واتي الرَّحَّال حكايته أيضًا، والتي كانت قصيرة وبسيطة ولم تستغرق وقتًا، فأضاف لها مغامرة المنفوخين من بلدة المتكبِّرين، والتي جعلت السيدة يووب تضحك بخفَّة، وأضافت أنها لم تسمع عنهم، رغم أنها تعيش بالقرب منهم، فهي لم تغادر الوادي أبدًا.

قالت: "هناك ناس أشرار يسعون للقبض عليَّ، كما فعلوا مع زوجي العملاق، السيد يووب؛ لذا أحرص على البقاء في المنزل وأهتم بشؤوني". ردَّ خيال المآتة: "لو عرفت أوزما أنَّكِ تشتغلين بالسحر بدون موافقتها، ستعاقبك بشدة. فهذه القلعة في أرض أوز، وغير مسموح لأي شخص في أرض أوز ممارسة السحر إلا على الساحرة جلينـدا الطيبة، وساحر أوز العجيب الذي يسكن في مدينة الزمرد".

طرقعت أصابعها في استهزاء، وقالت: "هذه لأميرتك أوزما"؛ دلالةً على أنها تعتبرها شيئًا تافهًا، وأضافت: "لماذا أهتمُّ بفتاة لم ترني ولم أرها؟"، قال الحطاب الصفيح: "لكن أوزما جنية؛ ولهذا هي بالغة القوة. بالإضافة أننا تحت حماية أوزما، وأذيَّتنا بأي شكل من الممكن أن يغضبها بشدة".

قالت بجدية: "ما أفعله هنا، في قلعتي الخاصة، في هذا الوادي المنعزل -حيث لا يأتي هنا سوي الحمقى مثلكم- لا يمكن أن تعرفة أميرتكم الجنية أوزما. لا تحاولوا إخافتي لإثنائي عن عزمي، وأيضًا لا تسمحوا لأنفسكم أن يتملَّككم الخوف، فمن الأفضل مواجهة ما لا يمكن تجنُّبه بشجاعة. سأذهب للنوم الآن، وفي الصباح سأعطيكم أشكالًا جديدة، ستكون أكثر تشويقًا من أشكالكم الحالية. تصبحون على خير. وأحلام سعيدة".

ثم نهضت السيدة يووب من مقعدها وتوجَّهَت لغرفة نومها. يجب أن تعرف، يا عزيزي القارئ، أن أصدقاءنا شعروا بهزات في كل جوانب القلعة، مع خطوات المرأة العملاقة. مع أنهم شاهدوا سماكة جدران وحوائط القلعة الصخرية. أغلقت باب غرفة نومها وراءها، وعلى الفور انطفأ النور وغرق السجناء الثلاثة في ظلام دامس.

بالطبع لم يقلق الحطاب الصفيح أو خيال المآتة من الظلام، ولكن واتي الرَّحَّال لم يعجبه أن يُترك في مكان غريب بهذه الطريقة الغريبة كأنه لعبة مُهمَلَة، بدون استطاعته رؤية أي خطر يمكن أن يُهدِّده في قلعة يووب.

قال واتي منزعجًا: "على الأقل، كان بإمكان تلك السيدة العملاقة توفير سرير لأنام عليه"، فور أن قال ذلك شعر بوجود شيء ما بزغ تحت قدميه، اللتين تتدليان من مقعد الكرسي. انحنى إلى أسفل، ومدَّ يده في الظلام، وتحسَّس فوجد مخدَّة وثيرة على مرتبة قطنية، فتجرَّأ ومدَّ يديه الاثنتين، فوجدها سريرًا مفروشًا بملاءة، وعليه لحاف طري.

لـم ينبـس بتعليـق علـى مـا حـدث، وتسـلل إلـى المرتبـة الوثيـرة وتلحـف بالغطـاء واسـتغرق فـي النـوم سـريعًا.

اسـتمرَّ حديـث الحطـاب الصفيـح وخيـال المآتـة بصـوت خفيـض طـوال الليـل، فقـد نـزلا مـن علـى الكرسـي، وتجـوَّلا فـي المـكان علـى أمـل العثـور علـى نافـذه أو بـاب يسـتغلونه فـي الهـروب.

طلـع الصبـاح عليهـم ومـا زالـت مَهمَّـة البحـث عـن مَخـرَج للهـروب لـم تشـهد أي نجـاح، ومـع أول ضـوء للنهـار، اختفـى السـرير، وجـد واتـي نفسـه ممـدَّدًا علـى الأرضيـة؛ ممَّـا أيقظـه بـدون إنـذار. بعـد فتـرة قليلـة، دخلـت العملاقـة يـووب عليهـم، مرتديـةً رداء آخـر أنيقًـا مختلفًـا عـن ردائهـا أمـس، ولكنهـا مـا زالـت تلبـس ذلـك المئـزر مـن الدانتيـل. فـور أن جلسـت علـى مقعدهـا، قالـت: "أشـعر بالجـوع، ينبغـي أن أتنـاول طعـام الإفطـار الآن".

صفَّقَـت بيديهـا مـرة واحـدة، وفـي الحـال بزغـت طاولـة أمامهـا، مفروشـة بمفـرش كتـان أبيـض، ومرصـوص عليهـا أطبـاق ذهبيـة، لكـن لـم يكـن هنـاك طعـام فـي الأطبـاق علـى الإطـلاق. لا شـيء سـوى جـرَّة مـاء، وحزمـة حشـائش، وحفنـة مـن الحصـى. سـكبت العملاقـة بعـض المـاء فـي وعـاء قهوتهـا، وربَّتـت عليـه مـرة أو مرتيـن بيدهـا، ثـم سـكبت منـه كوبًـا مليئًـا بالقهـوة السـاخنة.

أشـارت للصبـي واتـي وسـألت: "هـل تريـد منـه؟"، شـكَّ فـي تلـك القهوة السـحرية، لكـن رائحتهـا كانـت طيبـة لدرجـة أنـه لـم يسـتطع مقاومتهـا؛ فأجـاب: "لـو سـمحت يـا سـيدتي".

سـكبت العملاقـة كوبًـا آخـر ووضعتـه علـى الأرض. كان الكـوب بحجـم الحـوض، والملعقـة الذهبيـة فـي الصحـن بجانـب الكـوب ثقيلـة جـدًّا، لدرجـة أن الصبـي بالـكاد اسـتطاع رفعهـا. وأخيـرًا تمكَّـن واتـي مـن الحصـول علـى رشـفة مـن القهـوة ووجدهـا لذيـذة.

السيدة يووب حوَّلَت حزمة الحشائش إلى عصيدة شوفان، ثم أكلتها بشهية مفتوحة. التقطت الحصى ونظرت إليها وقالت: "الآن. ماذا عليَّ أن آكل؟ هل أحوِّلَكِ إلى فيليه سمك، أم قطعة لحم مشوي؟"، ثم نظرت إلى واتي الرَّحَّال: "ماذا تُفضِّل أنت يا واتي؟"، أجاب الصبي: "إذا سمحتِ، سأتناول طعامًا أحتفظ به في حقيبة ظهري. طعامك السحري يمكن أن يكون طيِّبًا ولذيذًا، لكنني أخاف منه".

ضحكت المرأة العملاقة من مخاوف واتي، وحوَّلَت الحصى إلى فيليه سمك. وقالت: "أعتقد أنك تخاف من أنه بعد تناولك وهضمك ذلك الطعام، قد يتحوَّل مرة ثانية لحصي في معدتك ويتسبَّب في ألم ومرض"، ثم تغيَّرَت لهجتها للهجة أكثر جدية: "لكن هذا سيكون من المستحيلات. لا شيء أقوم بتحويله وتغييره يرجع إلى أصله مرة ثانية أبدًا. فيليه السمك لن يرجع إلى حصى إطلاقًا؛ لهذا يجب أن أكون حَذِرةً وحريصة في الأشكال التي أحوِّلها وأغيِّرها، فأنا لا أستطيع إرجاعهم لأشكالهم الأصلية أبدًا، وهذا يثبت أن قدرات سحر اليوكوهوتو لها حدود. هذا يعني أنني حينما أحوِّلكم أنتم الثلاثة إلى أشكال مختلفة، يجب أن ترتدوا تلك الأشكال لبقية حياتكم".

توسَّل واتي الرَّحَّال: "أرجوكِ. أنا لا أريد أن أتحوَّل؛ فأنا راضٍ بالبقاء كما أنا"، ردَّت السيدة يووب: "أنا لا أتوقَّع منك أن تكون راضيًا بما تكون أو ستكون. أنا أرغب في ذلك لمتعتي، وأن أكون أنا نفسي راضية، وسعادتي في إعطائكم أشكالًا جديدة. عمومًا، إذا بحث أصدقاؤكم عنكم، لن يتعرفوا عليكم".

لهجتها أصبحت أكثر ثِقةً وتأكيدًا على أنها قادرة حقًّا بالقيام بما تنوي عليه، فشعر أصدقاؤنا أنه لا جدوى من الاحتجاج أو الاعتراض. العجيب أن المرأة لم يكن منظرها قبيحًا؛ وجهها ليس قاسيًا، وصوتها ضخم ولكن به نبرة لطيفة، كلماتها تشي أن لها قلبًا غير رحيم، تجعلك تتيقَّن ألَّا يوجد مناشدة أو توسُّل يستطيعون إثناءها عن عزمها وهدفها الشرير والخبيث.

تناولت السيدة يووب إفطارها على مهل، وبمتَّسع من الوقت، والسجناء لم يكن في رغبتهم -بالطبع- الاستعجال أو التعجيل. أخيرًا انتهت الوجبة وطبَّقَت السيدة منديلها وصفقت مرة واحدة فاختفت المائدة والأطباق كلها.

ثم التفتت إلى سجنائها وقالت: "ها... البند الثاني من جدول عمل اليوم هو تغيير أشكالكم"، فقال خيال المآتة بقلق: "هل قرَّرتِ الأشكال التي ترغبين في إعطائها لنا؟".

قالت: "نعم، لقد حلمت بها ليلة أمس. الرجل الصفيح هو شخص رسمي ويتَّسِم بالجدية" -بالطبع الحطاب الصفيح تبدو عليه الرسميَّة والجدية، لكنه حينما سمع كلمات السيدة يووب عنه، تبدَّل حاله إلى الانزعاج الشديد- "إذًا سأحوِّله إلى بومة".

كل ما فعَلَته هو أنها أشارت بأصبعها ناحيته أثناء كلماتها، وحدث ما كان متوقَّعًا. لم يعتقد أحد أنه سيكون فوريًّا هكذا، في ثوانٍ معدودة تحوَّل شكل الحطاب الصفيح، نيك الساطور، إمبراطور الوينكلز، إلى بومة، عيونها واسعة وكبيرة كصحن الفنجان، ومنقار معقوف، ومخالب حادة، لكنه ما زال مصنوعًا من الصفيح؛ أرجله من الصفيح، ومنقاره من الصفيح، حتى الريش من الصفيح. وبدلًا من الوقوف على الأرض وجد نفسه يطير ويجثم على ظهر الكرسي الكبير، وفي أثناء الطيران رفرف ريش الصفيح وأصدر خشخشةً ورنينًا خفيفًا[1].

بالتأكيد المظهر الجديد للحطَّاب الصفيح أسعد السيدة العملاقة، فضحكت وظهرت أسنانها البيضاء من الفرحة، وقالت: "على الأرجح لن تتوه، أجنحتك وريشك سيُصدِرون أصواتًا رنَّانة كلما تطير وأينما

(1) تعدَّدَت أسماء وأنواع البومة، وبالطبع تحوَّل الحطاب الصفيح إلى بومة ذَكَر، ويطلق على الذَّكر اسم "فياد"؛ لذا ستكون الضمائر التي تشير له مُذكَّرة. على عكس ما يوحي الاسم العربي أنه أنثى. من أسماء البوم: البوهة، الحَنَمَة، الصَّدى، النُّهام، الهام، الوَلْوَل. لدى البومة خاصية فريدة ألا وهي الطيران الهادئ. فلا تُحدِث أجنحتها صوتًا أثناء الطيران؛ حتى لا تهرب الفئران والقوارض الحَذِرَة بطبعها.

تذهب. وخُذ كلامي ثقة: البومة الصفيح نادرة، وهي بالطبع تحسين لسلالة البوم. صحيح لم أكن أنوي أن تكون من الصفيح، لكني نسيت أثناء قيام بالسحر أن أتمنى أن تكون من لحم وعظم. عمومًا، أنت من الصفيح، ومن الصفيح ستكون. كما أنه متأخِّر جدًّا أن أقوم بتعديلات؛ لهذا استقرَّ الأمر على ما أنت عليه".

حتى هذه اللحظات القليلة الماضية، كان خيال المآتة يشكُّ أن السيدة يووب ستستطيع تحويله أو الحطاب الصفيح إلى أشكال أخرى، فهم ليسوا مصنوعين كالناس العاديين. انصبَّ قلقه على التحوُّل الذي سيحدث للصبي واتي الرَّجَّال، أما الآن فينبغي عليه أن يقلق بشأن نفسه أيضًا.

حينما شاهد لحظة تحوُّل الحطاب الصفيح إلى بومة قال خيال المآتة بتردُّد: "يا مدام. أعتبرِ تصرُّفي غير مهذَّب، ويمكن تسميته بوقِحٍ أو جلف، لكن اعتبرينا ضيوفك"، قالت بصرامة: "أنتم لستم ضيوفي، أنا لم أدعُكم للحضور هنا".

"ربما لم يحدث ذلك، لكننا كنَّا نلتمس حسن ضيافتك، ونظن أنَّكِ سوف تشملوننا برحمتك. وبما أن الحال أصبحت على ما كان؛ لم ولن نجد في قلبك رحمة. فاعذريني فيما أقول: يجب أن أعترف لكِ بكل صراحة أن ما تفعلينه بسلب أشكالنا منَّا وإجبارنا على أشكال لا نرضى بها هو فِعلٌ شرير وخبيث".

عبست وقالت: "هل تحاول أن تثير غضبي!".

قال خيال المآتة: "على الإطلاق، لم يكن ذلك في نيَّتي. كل ما أحاول قوله أنكِ من المفترض أن تتصرَّفي كسيدة راقية مهذبة".

قالت السيدة يووب باستهزاء: "أمممم.. بالطبع. حسنًا من رأيي يا سيد خيال مآتة أنه من المفترض ألَّا تتصرف كدُبٍّ. إذًا سيكون شكلك دُبًّا".

ومع الكلمة الأخيرة أشارت بأصبعها إليه، وعلى الفور بدأ تحوُّله، وفي عدة ثوان تحوَّل إلى دُبٍّ بُنِّيٍّ صغير، لكنه بالطبع دبدوب محشو بالقش. كانت السيدة يووب على حافة الغضب، واندفعت في أمنيتها ولم يخطر على بالها لحظتها أن تتضمَّن أمنيتها السحرية أن يكون دبًّا من لحم ودم، وهكذا أصبح دبدوبًا بُنِّيًّا صغيرًا، يمشي على الأرض بهيئته الجديدة، ولكنه ما زال محتفظًا بطريقة المشية المرتبكة والخرقاء التي كانت لخيال المآتة سابقًا.

اندهش واتي من التَّحوُّلات التي تمَّت أمامه، وسأل الدبدوب البني منزعجًا وخائفًا: "هل أحسستَ بألم؟"، صدر صوت خيال المآتة كهدير الدُّبِّ، وقال: "لا... بالطبع لا.. لكن المشي على أربع أرجل، لهو أمرٌ مُخجِل".

صدر صوت البومة الصفيح كالنعيق وقال: "تذكر وضعي المخجل أنا أيضًا"، وبعدما حاول تسوية ريش الصفيح بمنقاره، أكمل: "أنا لا أرى بوضوح. يبدو أن الضوء يؤذي عيني".

قال واتي مؤكِّدًا: "هذا لأنك بومة. أعتقد أنك سترى أفضل في الظلام".

قالت العملاقة بعدما هدأت ضحكاتها وسرورها: "حسنًا... حسنًا... هذه الأشكال الجديدة أمتعتني فعلًا. من رأيي، أنا متأكدة أنكم سترتاحون فيها أكثر من أشكالكم السابقة"، والتفتت للصبي وأكملت: "أما الآن. فهو دورك".

قال واتي بنبرة مرتعدة: "أليس من الأفضل أن تتركيني كما أنا؟".

"لا... أحوِّلُكَ إلى قرد! أمممم... أحب القرود؛ فهم ظرفاء. وأعتقد أن قردًا أخضر سيكون أكثر ظرافة، ليسلِّيني عندما أحزن أو أكتئب".

ارتجف واتي، فأصبعها السحرية الرهيبة أشارت إليه. شعر بنفسه يتحوَّل، لم يكن شعورًا سيِّئًا، كما أنه لم يحس بألم أو أذية. نظر إلى أطرافه وجسده، فوجد جلده مغطًّى بالفرو الأخضر الناعم الذي يشبه الحرير بدلًا من الملابس المعتادة. أدرك أنه أصبح قردًا حينما "زَقح"، وهو الصوت الذي يصدر من القرود[1]. استولى عليه الغضب، شرع في الثرثرة كما تفعل القرود. قفز إلى مقعد كرسي السيدة يووب، وقفز قفزة برية على العملاقة الضاحكة. كانت نيَّته هي القبض على شَعرها وخلعه من جذور رأسها، وبالتالي الانتقام من تحوُّلاتها الشريرة. لكنها رفعت يدها وقالت: "اهدأ... بلطف... عزيزي القرد- بلطف! أنتَ لستَ غاضبًا؛ أنت سعيد بقدر ما تستطيع!".

(1) هناك عدة مُسمَّيات تُطلَق على صوت القرود، منها: خنخنة، زقح، سكسكة، وأطلقت العرب اسم "الضحك" على صوت القرد، يقول الثعالبي في "فقه اللغة": "يكون صوت القرد في أغلب أحواله أشبه بتصويت الضحك، عبر فتح الفكين وإخراج الصوت عاليًا". فيما يقول القاموس المحيط إن "الزَّقح" هو اسم صوت القرد. فيقال زَقَح القرد.

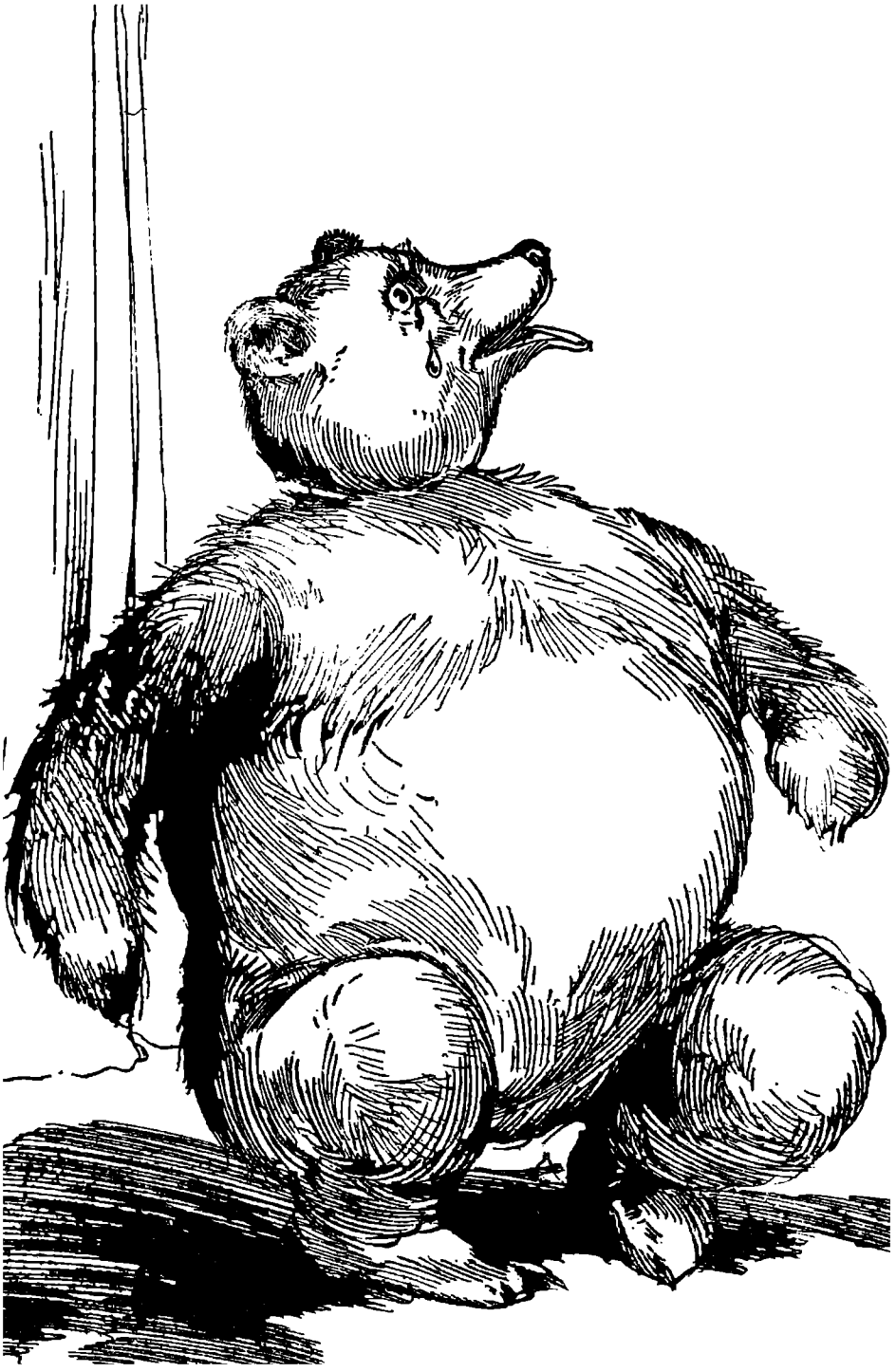

توقَّف واتي القرد عن القيام بمقلب في العملاقة. لكن العجيب أنه لم يَعُد يشعر بالغضب، شعر بالسعادة والبهجة تغمره، كما كان حينما كان صبيًّا يرتحل ويسافر. بدلًا من شَدِّ شَعر السيدة يووب، جلس على كتفها ولمس خدَّها الناعم بمخالبه المشعِرَة. في المقابل، ابتسمت للحيوان الأخضر المضحك وربَّتت على رأسه، وقالت: "جيِّد جدًّا. دعونا نصبح جميعًا أصدقاء ونكون سعداء معًا. كيف حال بومتي الصفيح؟".

قال البومة: "أنا قانِع ومُرْتَاح للغاية. صحيح أني لا أحب ما حدث، لكن بالتأكيد، لن أسمح لشكلي أن يتسبَّب في تعاستي. إذا سمحتِ، أخبريني، من فضلك: ما فائدة بومة الصفيح؟"، ردَّت العملاقة: "فائدتك أن تجعلني أضحك".

استفسر خيال المآتة، الذي صعد على الكرسي المقابل بمجهود مُضنٍ: "هل دبدوب محشوٌّ قَشًّا يُضحِكُكِ يا سيدة يووب؟".

"بالطبع... لقد وضعت قليلًا من السحر الإضافي ليجعلكم راضين وسعداء بأشكالكم الجديدة. لقد نسيت أن أضيف ذلك السحر عندما حوَّلت بوليكروم إلى طائر كناري. لكن ربما حينما تراكم سعداء راضين، تنفكُّ عقدة لسانها وتنهي حالة الصمت والتجهُّم الغارقة فيها، وتَشرَع في الغناء. سوف أحضرها لكم لتروها".

غادرت السيدة يووب الغرفة إلى غرفة نومة، ورجعت حامِلةً قفصًا ذهبيًّا يجلس فيه طائر كناري أصفر حزين. وقالت: "يا بوليكروم. أقدِّم لكِ القرد الأخضر، لقد كان يومًا ما صبيًّا يُدعَى واتي الرَّحَّال. وهذا هو البومة الصفيح، لقد كان يومًا حطَّابًا من الصفيح يُدعَى نيك الساطور، وهذا الدبدوب المحشو، كان يُدعَى خيال المآتة من قبل".

قال خيال المآتة: "نحن على معرفة مسبقة بها. هذا الطائر هي بوليكروم، ابنة قوس قزح. لقد كنَّا وما زلنا أصدقاء".

سألت الكناري، في صوت ضعيف ورقيق: "هل أنت حقًّا صديق قديم؟ يا خيال المآتة".

صاحت السيدة يووب: "ها... هذه أول مرة تتكلم فيها منذ تحوُّلها!".

أجاب خيال المآتة: "أنا صديقك حقًّا يا بولي! لكن معذرة، يجب أن تؤاخذيني على مظهري الحالي"، وأكمل الحطاب الصفيح: "وأنا طائر، كما تريننني، يا عزيزتي بولي. آها... البومة الصفيح ليست في جمال طائر الكناري بالطبع".

تنهَّدَت الكناري: "كم هذا مرعب. ألم تتمكَّنوا من الإفلات من سحر اليوكوهوتو الرهيب؟".

قال الدبدوب في شجن وكمد: "لا... حاولنا الهرب وفشلنا. لقد سجنتنا أوَّلًا، ثم قامت بسحر التَّحوُّلات علينا. لكن كيف قامت بالإمساك بكِ يا جنية قوس قزح".

قالت بحزن واضح: "كنت نائمة، واستغلَّت الفرصة بشكل غير عادل. لو كنت مستيقظة لَكُنتُ استطعت حماية نفسي".

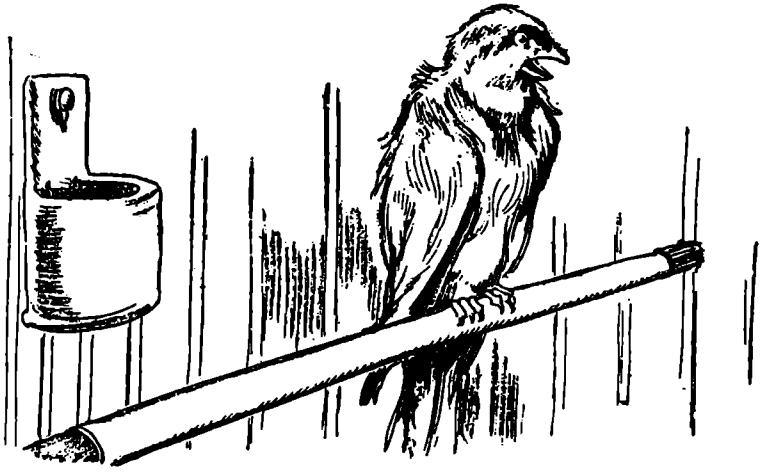

اقترب القرد الأخضر من القفص وسألها بجدية: "أخبريني يا ابنة قوس قزح، ألا توجد طريقة للهروب من هذه التَّحوُّلات ومن هذا المكان؟ ألا يمكن أن تساعدينا بما أنَّكِ جنية؟".

ردَّت الكناري: "حاليًّا... لا أستطيع... بهذا الشكل المحبوسة فيه... أنا عاجزة عن مساعدة نفسي".

أفصحت العملاقة بهدوء: "ما قالته هو عين الحقيقة". لم تُخفِ فرحتها حينما قالت تلك الجملة لأن طائرها أخيرًا تحدَّث، حتى لو حديثها هو شكوى وتذمُّر، وأضافت: "أنت كلكم عاجزون وتحت سلطة قواي. ينبغي أن تحكِّموا عقولكم، من الأفضل الرضا بأشكالكم الجديدة وتقبُّل مصيركم. تذكَّروا أن تلك التحولات نهائية، ولا سحر على وجه الأرض يمكنه كسر تعويذاتي. أنا الآن سأخرج لنزهتي الصباحية، فأنا أقوم بالمشي ست عشرة دورة حول قصري بعد الإفطار؛ للتمرين والرياضة الصباحية. سلُّوا أنفسكم بأي شيء حتى أعود. وعندما أعود من الأفضل أن يتغير هذا المزاج السيئ إلى فرحة وبهجة".

نهضت العملاقة من كرسيها وتمشَّت إلى البوابة التي دخل منها أصدقاؤنا أمس، وقالت كلمة واحدة: "افتح"؛ ففتح الباب، وفور أن عبرته العملاقة أغلق نفسه مرة ثانية.

اندفع القرد الأخضر ناحية المدخل يأمل في الهروب، لكنه وصل متأخِّرًا، واصطدم أنفه بالباب المغلَق.

الفصل السابع

مئزر دانتيل

قالت كناري، في نبرة ارتياح: "الآن.. يمكننا أن نتحدث بحرية، فالسيدة يووب لا يمكنها سماعنا الآن، لندبِّر طريقة للهروب من هنا".

ما زال القرد الأخضر واقفًا أمام الباب ويصرخ بكل قوة: "افتح"، ولكن الأمر لم يَلقَ أي صدى أو تأثير على الباب الذي فتحته السيدة يووب منذ دقائق بنفس الأمر.

أكملت كناري: "أنت لا تستطيع فتح باب أو حتى نافذة بهذا الأمر في هذه القلعة المسحورة، إلَّا لو كنتَ مرتديًا مئزر الدانتيل

السحري"، أدار البومة الصفيح رأسه بطريقة ميكانيكية، وقال بلهجة فضولية: "ما الذي تقصدينه بالمئزر الدانتيل السحري؟".

"تلك المريلة من الدانتيل التي دائمًا ما ترتديها العملاقة فوق ملابسها. أنا سجينة في هذا القفص منذ عدة أسابيع، وتُعلِّق القفص في غرفة نومها كل ليلة، لأكون تحت عينها على الدوام؛ فذلك مكَّنني من مراقبتها، واكتشفتُ أن مئزر الدانتيل السحري هو المسؤول عن فتح الأبواب والنوافذ. ولا توجد قوى أخرى تستطيع تحريكها. كل يوم قبل ذهابها للنوم تُعلِّق المئزر الدانتيل السحري على شماعة ذهبية. ذات صباح نسيت أن ترتدي المئزر بعد استيقاظها من النوم؛ لذا عندما أمَرَت الباب أن يُفتح لم يُفتح، فتنبَّهت أنها لا ترتدي المئزر، فرجعت لترتديه، وعادت تأمر الباب، ففُتح. من ساعتها عرفت أن المئزر لديه قدرات سحرية. أتساءل كيف دخلتم القلعة؟".

أجاب واتي: "هذا لأننا فتحنا مزلاج البوابة الرئيسية من الخارج".

قال الدبدوب البني: "فهمت... فهمت... إذًا لو استولينا على هذا المئزر السحري يمكننا فتح الأبواب من الداخل والهروب من هذا السجن".

"هذا صحيح، وهي الخطة التي كنت أنوي أن أقترحها عليكم. وفكَّرت أن البومة لا يمكنه سرقته مئزر الدانتيل، لا حتى الدبدوب. ربما يمكن للقرد أن يقوم بتلك المهمة... يمكنه أن يختبئ في الحجرة ويخطف المئزر من على الشماعة أثناء نومها".

قال القرد: "سأحاول... سأحاول... سأحاول هذه الليلة...إذا استطعت التسلل لغرفة النوم".

قالت كناري مُحذِّرةً: "يجب ألَّا تفكر في الخطة، فهي تستطيع قراءة العقول حينما تريد أن تسبر أغوار خصمها. ولا تنسَ أن تُحرِّرني أيضًا. أعتقد أنني عندما أفلت من سيطرة العملاقة، سأكتشف طريقة لإنقاذنا كلنا".

قـدَّم القـرد إشـارة بالوعـد الملـزِم وقـال: "بالطبـع لـن ننسـى صديقتنـا الجنيـة. ألا يمكنـك أن تدليني علـى طريقـة لدخـول غرفـة النـوم؟".

لـم تتخـلَّ كنـاري عـن تحذيراتهـا، وقالـت: "لا... لا أنصحـك بذلـك... يجـب أن تعثـر علـى فرصتـك بنفسـك... وتغتنـم تلـك الفرصـة بعيـدًا عـن أعينهـا".

اسـتمرَّ الحديـث بينهـم لفتـرة حتـى عـادت السـيدة يـووب. صـدر صوت حركـة المـزلاج وانفتـح البـاب فجـأة، وأغلـق نفسـه فـور دخولهـا. أثنـاء نهـار اليـوم دخلـت غرفـة نومهـا عـدَّة مـرات لقضـاء حاجـات مختلفـة ولكنهـا حريصـة فـي كل مـرة علـى غلـق البـاب خلفهـا مباشـرة، وسـجناؤها لـم تَلُـح أمامهـم أدنـى فرصـة لمغـادرة القاعـة الكبيـرة المحجوزيـن فيهـا.

خطـر علـى عقـل واتـي أنـه مـن الحكمـة أن يفتعـل مصادقـة مـع المـرأة العملاقـة، يتـودَّد لهـا ليكتسـب ثقتهـا، فتسـلَّق ظهـر الكرسـي الـذي اعتـادت أن تجلـس عليـه، واسـتقرَّ عليـه، ليحادثهـا ويسـليها أثنـاء خياطتهـا الأزرار الياقوتيـة فـي الحـذاء الذهبـي الضخـم المفضَّـل لهـا.

سُـرَّت العملاقـة بهـذه التصرفـات الـودودة وأمضـت معظـم الوقـت فـي التربيـت علـى رأس القـرد الأخضـر. أمـا الدبـدوب البنـي فقـد زحـف لركـن القاعـة وجلـس وحيـدًا صامتًـا طـوال اليـوم. أمـا البومـة والكنـاري فقد اكتشـفا أنهمـا يسـتطيعان التَّحـدُّث بلغـة الطيـور التـي لا تفهمهـا العملاقـة أو القـرد أو الدبـدوب؛ لهـذا مـرَّ الوقـت الكئيـب عليهـم سـريعًا وخفيفًـا، يزقزقـون ويغـردون رغـم أن اليـوم مـرَّ علـى الدبـدوب بطيئًـا ومملًّا.

بعـد العشـاء، أحضـرت كمانًـا جميـلًا ضخمًـا مـن خزانتهـا فـي غرفـة النـوم، وجلسـت فـي قاعـة الطعـام، وعزَفَـت موسـيقى هادئـة مخيفـة، لدرجـة أن سـجناءها ارتاحـوا حينمـا توقَّفَـت عـن العـزف أخيـرًا وقالـت إنهـا ذاهبـة للنـوم.

وقبـل أن تدخـل غرفـة نومهـا حـذَّرَت القـرد والدبـدوب والبومـة مـن التَّصـرُّف بتهـوُّر ورعونـة أثنـاء الليـل. وأخـذت قفـص الكنـاري الذهبـي

معها. وقبل أن تغلق الباب خلفها تذكَّرَت الكمان على الطاولة الخشبية. فرجعت لتحضره وتضعه في خزانتها. وحين أدارت ظَهْرَها للباب، انتهز القرد الفرصة وانزلق بخفَّةٍ من الباب المفتوح لداخل غرفة النوم، واختبأ تحت السرير.

لأن العملاقة نعسانة، لم تلاحظ ما حدث، بالإضافة إلى أن القرد فعلها بخفَّة ومهارة. دخلت وأمرت الباب بالإغلاق خلفها، وعلَّقَت قفص الكناري بجانب النافذة، وشرعت في خلع ملابسها لترتدي البيجامة؛ استعدادًا لدفس نفسها في السرير الوثير العملاق.

خلعت مئزر الدانتيل ووضعته على إفريز السرير ليكون في متناول يدها حينما تستيقظ. انطفأت الأنوار فور أن خلدت السيدة يووب في النوم، وانتظر القرد الأخضر بصبر تحت السرير حتى سمع شخير العملاقة، ثم تسلَّل بهدوء من تحت السرير، وفي الظلام قبض على المئزر المعلَّق، وفي الحال ارتداه ولفَّه حول وسطه.

الخطوة التالية هي العثور على الكناري، ورغم صعوبة المهمة لأن الغرفة غرقت في الظلام الدامس، إلا أن الحظ حالفهم، فقد تسلَّل شعاع ضوء القمر من النافذة على القفص؛ وبذلك عرف القرد مكانه. عانده الحظ قليلًا، فقد كان القفص مُعلَّقًا عاليًا بعيدًا عن تناوله، للحظة فكَّر في أن يتخلَّى عنها ويهرب مع أصدقائه، ولكنه تذكَّر وعده لها وتحمَّس في إيجاد طريقة تخلِّصها من تلك الورطة.

في ضوء القمر لاحظ كرسيًّا عملاقًا بالقرب من النافذة، وبكل هدوء وحذر دفع الكرسي ناحية النافذة، حتى أصبح الكرسي تحت قفص الكناري مباشرة، ثم قفز عليه -هيئة القرد التي اتَّخَذها مكَّنته من القفز بمهارة وقوه أكثر ممَّا كان يستطيع فعله عندما كان صبيًّا رحَّالًا- فوصل للقفص وقبض عليه ووثب على الأرض بقفزة واحدة.

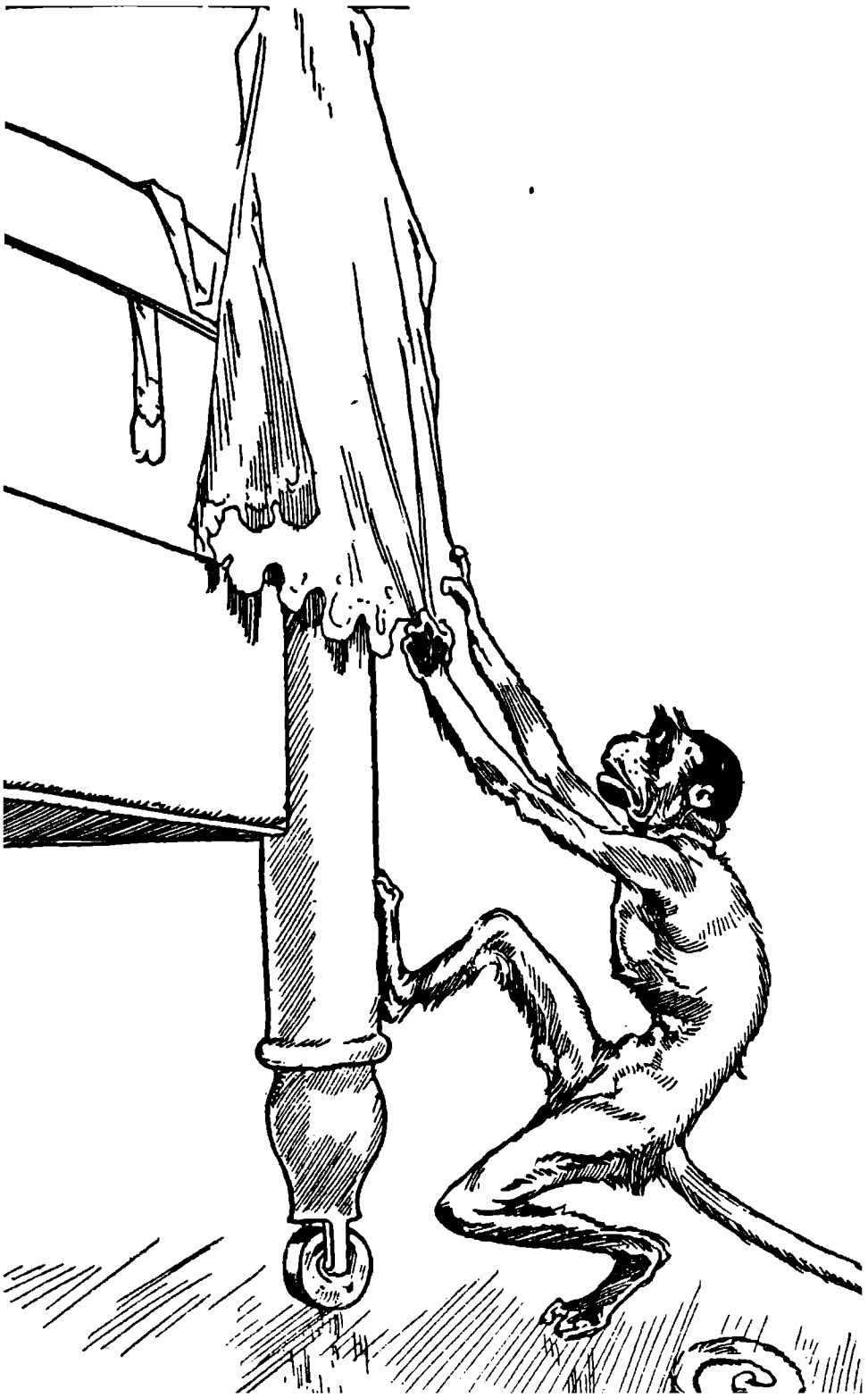

تمشَّى بهدوء ناحية الباب وقال آمِرًا: "افتح"، وعلى الفور تأرجحت دُرَف الباب وأطاعت الأمر، لكن صوت القرد أيقظ العملاقة، طلع منه الصوت مسرسعًا كصوت القرود، مع أنه كالصبي واتي الرَّجَّال حاول أن يكون الصوت منخفضًا قدر الإمكان. حين تنبَّهَت للموقف صرخت في رعب وقفزت من السرير، لكن القرد كان أسرع منها وخرج، وفي الحال أغلق الباب نفسه في وجه العملاقة وأصبحت سجينةً داخل غرفة نومها.

الضَّجَّة التي حدثت والخبط والصراخ والتهديدات الرهيبة التي اخترقت مسامعهم من وراء الباب، أنزلت الرهبة والرعب في البومة والدبدوب في القاعة حين دخل القرد عليهم حاملًا قفص الكناري.

هتف القرد يخبرهم في ذعر أنه لا يرى الطريق للباب الخارجي، فالظلام دامس، لكن البومة ترى جيدًا في الظلام، وقادتهم للمكان الصحيح. وهناك أمام الباب، أصدر القرد الأمر، وانفتح الباب.

وفي الثانية التالية، وقف الأصدقاء في هواء الوادي المنعش خارج قلعة يووب، أحرارًا، ليستكملوا رحلتهم في أي اتجاه يرغبون فيه.

الفصل الثامن

تهديد الغابة

صرخت بوليكروم الكناري: "هيا... أسرعوا... يجب أن نُسرِع، لو السيدة يووب تمكَّنَت من الإفلات من سجنها، فبالتأكيد ستجد طريقة لإعادة أَسْرِنا مرة ثانية. يجب أن نخرج من الوادي بأسرع ما يمكن".

سمعوا نصيحتها وانطلقوا للشرق، بأقصى مجهود وسرعة، لفترة طويلة ظلَّ صوت صراخ وعويل وتهديدات السيدة يووب يصل لمسامعهم. تمكَّن واتي في هيئة القرد أن يستغل خفَّة سرعة القرود ويركض كالريح، حاملًا القفص الذهبي الذي يحوي ابنة قوس قزح

في هيئة طائر كناري، واستطاع الحطاب الصفيح البومة من اللحاق به مُحلِّقًا في الهواء، لكن المعضلة كلها كانت في خيال المآتة الدبدوب؛ كونه دُبًّا محشوًّا بالقش، فهو مسافر أخرق، وأصبح لزامًا على الآخرين الانتظار كل فترة ليلحق بهم.

ومع ذلك، لم يمضِ وقت طويل للوصول إلى حافَّة التل الذي يطل على وادي قلعة السيدة يووب، وعندما عبروا هذا التل ونزلوا إلى الوادي التالي توقَّفوا للراحة؛ لأن واتي القرد الأخضر بدأ ينهج وظهر عليه التعب.

وضع واتي القرد قفص بوليكروم الكناري على الأرض وتجمَّع الآخرون حوله، وقالت: "أعتقد أننا في أمان الآن؛ لأن السيدة يووب لا تجرؤ على الخروج من واديها؛ خوفًا من أن يأسرها أعداؤها؛ لذلك أمامنا وقت للتفكير بهدوء وروية فيما يجب القيام به بعد ذلك".

قال واتي القرد، الذي كان له قلب طيب مثل قلب الحطاب الصفيح: "أخشى أن تموت السيدة يووب المسكينة من الجوع، إذا لم يسمح لها أحدٌ بالخروج من غرفة نومها. لقد خطفنا المئزر السحري الخاص بها، والآن لن تستطيع فتح الأبواب أبدًا".

قالت بوليكروم الكناري: "لا تقلق... السيدة يووب لديها الكثير من السحر المتبقي لمواساتها".

اندهش واتي القرد الأخضر: "حقًّا؟".

أكملت بوليكروم الكناري: "نعم، أراقبها منذ أسابيع. لديها ستَّة دبابيس شَعرٍ سحرية تشبكهم في شعرها، وخاتم سحري تضعه في إبهامها اليمنى، وهو غير مرئي لجميع العيون ما عدا عيون الجنية، وأساور سحرية على كاحليها؛ لذا فأنا متأكِّدة أنها ستتمكن من إيجاد طريقة للخروج من سجنها".

قال خيال المآتة الدبدوب: "إذًا هي تستطيع تحويل بابًا من الخشب إلى باب من چيلي".

ردَّ الحطاب الصفيح البومة: "أعتقد أن هذا سيكون سهلًا عليها. لحُسن الحظ في غمرة غضبها، لم تفكِّر في شيء كهذا حتى خرجنا من الوادي".

تثاءب واتي القرد وقال: "حسنًا. نحن استطعنا الهروب من المرأة العملاقة، هذا أصبح مؤكَّدًا. لكننا ما زلنا بتلك الهيئات المقيتة التي تسبَّب بها سحر اليوكوهوتو. كيف سنتخلص من تلك الأشكال التي بُلينا بيها".

لم يجد أي أحد منهم جوابًا أو حلًّا لتلك المعضلة، وجلس الجميح حول القفص يفكرون، حتى غلب النعاس واتي القرد، وتبعته بوليكروم الكناري بأن دفست رأسها تحت جناحها وراحت في النوم، أمَّا الحطاب الصفيح البومة وخيال المآتة الدبدوب فلم يزعجاهما حتى الصباح.

حينما استيقظ واتي القرد، قال: "أنا جائع"، وفي هذه اللحظة تذكَّر أنه نسي حقيبة الظهر في القلعة، والتي يحمل فيها بعض الطعام. ردَّ خيال المآتة الدبدوب: "إذًا هيا بنا نستكمل طريقنا ونسافر حتى نعثر على مكان يوجد فيه طعام".

قالت بوليكروم الكناري: "ليس هناك داعٍ لسحب أو حمل القفص معك يا واتي طوال الطريق. افتح القفص وأطلِقني، وارمِهِ بعيدًا؛ فأستطيع الطيران بحرية، وسأعثر على طعامي من الحبوب في مكان ما قريب. بإمكاني أيضًا العثور على نبع أو بئر ماء، وأدلُّكم عليه".

فكَّ القفل وفتح القفص وأطلق سراح الطائر، طارت عاليًا في خطٍّ مستقيم لأقصى ارتفاع، ثم دارت في دوائر فوقهم، ثم عادت وهبطت وجثمت على حجر صغير بجانبهم. وقالت: "في الشرق، في نفس الاتجاه الذي نسير فيه، توجد غابة، وجدول ماء يخترقها، ربما فيها فاكهة أو شجر بندق وجوز، يمكن أن يكون هناك توت بريٌّ على أطراف الغابة. إذًا هيا بنا نتخذ هذا الطريق".

وافقت الصحبة وانطلقوا على الفور، لكن هذه المرة مشوا على الطريق بتأنٍّ ورَويَّة، البومة الصفيح، الذي كان يرى جيدًا في الظلام والضوء الخافت، لم يتحمل أشعة الشمس القوية؛ لذا أغلقهما ليمنع الضوء القوي من التسلل لعينيه الواسعتين، واستقرَّ على كتف الدبدوب البني، الذي تحمَّل ثقله بكل سهولة. أما الكناري فقد طارت بحرية أحيانًا حولهم وأمامهم، وأحيانًا أخرى تجلس على كتف القرد الأخضر. وهكذا استكملوا مسيرتهم في حالة معنوية عالية.

ورغم تلك الحالة المعنوية الجيدة، دار الحديث بينهم كالتالي، قال البومة الصفيح: "حاولت أن أقلِّب الموضوع في عقلي وأحتاج أن تفكِّروا معي. هدف رحلتنا بالأساس إلى مقاطعة الموشكين كما تعلمون، هو العثور على نامي نام والزواج منها، فعلى حدِّ عِلمي تلك الفتاة الموشيكينية أحبَّت الحطاب الصفيح. أمَّا الآن لا أتوقَّع منها القبول بالزواج من بومة صفيح".

علَّق الدبدوب البني: "عندك حق يا صديقي العزيز. ليس هناك هدف من سفريتنا الآن إلى مقاطعة الموشكين. أنا أيضًا فكَّرتُ في حال نفسي حاليًّا. أنا أوسم خيال مآتة في العالم، يتدهور بي الحال لأكون دُبًّا يمشي على أربعة أطراف، ميزته الوحيدة أنه محشوٌّ بالقش".

عقَّب القرد الأخضر: "حالكم أهون من حالي، لقد حوَّلَت تلك العملاقة الشنيعة إنسانًا إلى حيوان. حوَّلَت صبيًّا جميلًا إلى قرد قبيح أخضر، وهو أفظع تحوُّل على الإطلاق".

حدَّق الدبدوب في القرد بشكل نقدي: "وما له اللون الأخضر؟ إنه لون جميل. صحيح أنني لم أرَ قردًا بلون الأعشاب وورق الشجر من قبل، لكنه يجعل شكلك رائعًا ومميزًا".

حلَّقَت الكناري فوق كل فرد من الصحبة بحرية ورشاقة: "الحقيقة ليس الأمر سيئًا أن تكون طائرًا. لكني أشتاق إلى هيئتي القديمة الملونة بألوان الطيف".

قال البومة الصفيح: "كجنِّيَّة قوس قزح، أنتِ أجمل عذراء أراها في حياتي، باستثناء بالطبع الأميرة أوزما؛ لذا أعتقد أن العملاقة أحسنت بتحويلك إلى أجمل وألطف الطيور، وهو طائر الكناري الحبُّوب، إذا كان التحوُّل حتميًّا وقسريًّا. لكن أخبريني، بما أنكِ جنية، وتمتلكين حكمة ومعرفة الجنيات، هل تعتقدين أننا يمكن أن نكسر تلك التعويذات التي تُقيِّدنا بتلك الأشكال".

جثمت الكناري فوق كتف القرد الأخضر وأدارت عيونها البراقة ناحية البومة الصفيح وقالت: "أشياء عجيبة وغريبة تحدث في أرض أوز. ادَّعَت العملاقة السيدة يووب أن تَحوُّلاتها لا يمكن كسرها أو تغييرها، حتى بها نفسها، لكني أعتقد أن المشعوذة الطيبة، جلينداء أقوى ساحرة في أرض أوز، يمكنها أن تجد طريقة لإعادتنا إلى أشكالنا الأصلية الطبيعية. جلينداء كما تعرفون، هي أفضل ساحرة في العالم أجمع. وأشياء قليلة للغاية لا يمكنها فعلها إلا لو صمَّمَت وحاوَلَت".

قال الدبدوب البني: "في هذه الحالة. هيا بنا نتوجَّه إلى الاتجاه الجنوبي إلى مقاطعة الجودلينج، حيث قلعة جلينداء. أنتم تعرفون أنه ليس طريقًا سهلًا من هنا".

قال القرد متوسِّلًا: "أوَّلًا، رغم كل شيء، دعونا نَزُر تلك الغابة ونبحث عن شيء يؤكل".

كان حديثهم الفائت يدور أثناء المشي؛ لذا لم يتوقَّفوا واستكملوا الطريق للغابة. مرَّت دقائق ووجدوا أنفسهم على أطراف الغابة، فشاهد القرد أشجار الفاكهة، فاندفع إلى عمق الغابة ليعثر على المزيد، ولم يتوانَ بقية رفاقه عن اللحاق به.

استمرُّوا في المشي لفترة طويلة تحت ظلال الأشجار الوارفة، حتى وثب أمامهم فجأة نمر مرقَّط هائل، وبضربة من كفه طيَّر الدبدوب البني في الهواء، ثم تدحرج عدَّة مرات على الأرض حتى أوْقَفَه فرع شجرة كبير جاف مرميٌّ على الأرض.

في الحال تنبَّه الجميع لحالة إنذار وخطر. نعق البومة "تـووِوِت... تـووِوِت"، وطار عاليًا بشكل مستقيم، وحطَّ على فرع شجرة عالية، على الرغم من أنه بالكاد يرى المسار الذي يطير فيه. طارت الكناري ووجدت لها مكانًا بالقرب من البومة. أمَّا القرد الأخضر، فقد دبَّت فيه خِفَّةٌ ورشاقة وشقاوة القرود، وتسلَّق شجرة وتعلَّق بفروعها حتى وصل لمكان آمِنٍ.

ربض النمر المرقَّط منخفضًا على الأرض، وراقب بعينين جائعتين الدُّبَّ الصغير البني، الذي تحرَّك بتمهُّل ووقف على قدميه الصغيرتين وهو يسأل برهبة وترقُّب: "بحق السماوات... أيُّها الوحش... ماذا تحاول أن تفعل؟"، أجاب النمر المرقَّط بزمجرة متوحشة: "أستعدُّ لتناول الإفطار... وأعتقد أنني نجحت في اصطيادك. ينبغي لك أن تكون وجبة لذيذة بين أسناني. إلا لو كنتَ عَجوزًا ولحمك قاسٍ وجافٌّ"، ردَّ الدب: "أنا أسوأ ممَّا قُلتَ، لو اعتبرتُ نفسي إفطارًا لكَ. فأنا مجرَّد جلد محشو بالقش، ولا أصلح للأكل".

صاح النمر المرقط، بخيبة أمل: "حقًّا. إذًا يجب أن تكون دُبًّا سحريًّا، أو مسحورًا. إذًا ينبغي عليَّ البحث عن إفطار مناسب بين رفقائك"، ثم رفع رأسه لينظر لأعلى إلى البومة الصفيح والكناري والقرد الأخضر، وهزَّ ذيله حتى لمس الأرض وهدر بوحشية وقوة كما أشرس وأعنف نَمِرٍ مُرقَّط رأوه في حياتهم.

صاح الدب: "كُلُّ أصدقائي مسحورين، أيضًا، مثلي"، اندهش النمر المرقَّط، وقال: "كُلُّهم؟!"، ردَّ الدب: "نعم. كلهم. البومة مصنوع من الصفيح؛ لذا لن يمكنك أكلها. والكناري هي الجنية بوليكروم، ابنة قوس قزح، ولن يمكنك الإمساك بها؛ لأنها تطير بخفَّة بعيدًا عن متناول مخالبك"، نظر النمر المرقَّط بنهم للقرد المتبقي وقال: "إذًا سيبقى القرد الأخضر، فلا هو مصنوع من الصفيح ولا محشوٌّ بالقش، ولا يستطيع الطيران. عن نفسي، أنا ماهر في تَسلُّق الأشجار، وخُذ

كلامي ثقة، أستطيع القبض على ذلك القرد الأخضر وتناوله على الإفطار في غمضة عين".

حينما سمع واتي القرد الأخضر ذلك الكلام والتهديد، تغشَّاه الرعب؛ فهو يعرف طبيعة النمور المرقطة؛ فهي ثالث أكبر القطط حجمًا بعد الأسود والنمور العادية، يُطلَق عليها اسم الچاجوار، الذي يتميَّز برأس مستدير وأطراف أقصر وممتلئة؛ ممَّا يجعلها بارعة في التَّسلُّق والزحف والسباحة، لديها العديد من العضلات، التي تستخدمها بكل يُسرٍ وسهولة، هذه الحيوانات المفترسة الانتهازية عادةً ما يُطلَق عليها اسم المفترس الرئيسي؛ لذا على الفور قفز وتعلَّق وتدلَّى وتأرجح بين أفرع شجر الغابة المتشابكة، بكل ما تستطيع أرجل وأيدي قرد.

ترصَّد وراقب وتحفَّز النمر المرقَّط من مكانه على الأرض تحرُّكات القرد، ثبَّت نظره عليه كما يفعل الصياد استعدادًا لاقتناص فريسة. للأسف، أثناء محاولات القرد للفرار تعثَّرَت إحدى قدميه في المئزر الدانتيل الذي ما زال يلبسه، وأفلت منه التَّعلُّق بإحدى أفرع الشجر ووقع على الأرض من علوٍّ ليس بشاهق، ولكن الخبطه كانت مؤلمة فلم يتحرك للحظة كانت كافية لينقضَّ النمر المرقَّط عليه وهو يصيح: "أمسكتك".

الحادث المؤسف الذي تسبَّبَ فيه المئزر نبَّه واتي لأن ذلك المئزر يمتلك قدرات سحرية، صحيح لا يعرفها، ولكنه في غمرة لحظات الرعب صاح بالكلمة الوحيدة التي يعرفها والتي تفعل شيئًا سحريًّا، أي شيء سحري يمكن فعله في هذه اللحظات العصيبة، صاح بأعلى صوت: "افتح".

العجيب أن تلك الكلمة فتحت الأرض في الموضع الذي يرقد فيه القرد تحت مخالب النمر المرقَّط، نعم، تصدَّعَت الأرض وفتحت شقًّا واسعًا نزل فيه جسد القرد، ثم أغلقت الأرض نفسها مرة ثانية وابتلعت واتي الرَّجَّال. حدث ما حدث في غمضة عين، فقد كان آخر

شيء رآه القرد هو منظر النمر فاغرًا فاه يهمُّ بأكله، ثم مع لحظة تصدُّع الأرض، قفز للخلف متراجعًا وهو ينظر بذهول للحدث العجيب الذي حدث أمام عينه.

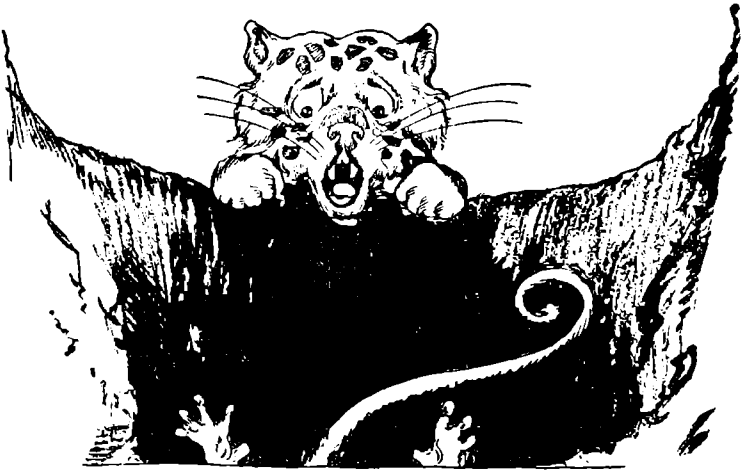

صاح النمر بصوت أقرب للبكاء بتنهيدة طويلة من خيبة الأمل: "راح... لقد راح واختفى. والآن ليس لديَّ ما أفطر به"، تردَّد صوت نحيب النمر عاليًا، فنزل البومة الصفيح من أعلى واقترب الدبدوب البني الصغير وسأل متعجِّبًا: "أين القرد؟ هل التهمته بهذه السرعة؟".

أجاب: "بالطبع لا. لقد اختفى داخل الأرض قبل أن آخذ منه ولو قضمة واحدة". اقتربت الكناري منهم، ولكنها حافظت على مسافة معقولة بينها وبين الوحش، وقالت: "أنا سعيدة أن صديقنا أفلَتَ من مخالبك. من الطبيعي لحيوان جائع أن يبحث عن طعام. وأنا على أتمِّ استعداد لتوفير طعام لك"، ردَّ: "صحيح! شكرًا لكِ. أنتِ صحيح حجمك صغير، ولا أعتقد أنَّكِ مليئة باللحم. لكنه سيكون لُطفًا وتقديرًا منكِ أن تُضحِّي بنفسك لسدِّ جوع شهيتي المفتوحة".

قالت الكناري، وهي تبتعد للخلف مسافة فرع شجرة للوراء: "لا... أنا لا أنوي أن يتمَّ أكلي. أوكد لك ذلك. لكني جنِّيَّة، وما زلت أعرف

القليل من السحر، وبالرغم من تَحوُّلي لهيئة طائر. أنا واثقة من توفير بعض الطعام الذي يرضيك".

استفسر النمر المرقط بشكٍّ: "إذا كان بإماكنك عمل السحر! فلماذا لا تفعلين شيئًا يكسر السحر الذي يُقيِّدك وتعودين لشكلك وهيئتك الأصلية".

"قدراتي السحرية لا تستطيع التغلُّب على هذا النوع من السحر. فالسيدة يووب استخدمت في تعويذة التحوُّل نوعًا مُعيَّنًا من سحر اليوكوهوتو، غير معروف لي. لكنها بالطبع لم تَسلِب مني معرفتي بالأمور السحرية للجنيات؛ لذا سأحاول توفير طعام لإفطارك".

"هل تعتقدين أن الإفطار السحري سيكون له طعم لذيذ فقط، أم أنه سيُخفِّف من آلام الجوع التي أشعر بها حاليًّا".

"ربما سيفعل كلا الأمرين. الآن ماذا تريد؟".

"زوجًا من الأرانب السمينة".

"أرانب! بالطبع لا. لن أسمح لك بأكل تلك المخلوقات الصغيرة الجميلة اللطيفة".

"حسنًا. هاتي ثلاثة أو أربعة سناجب".

"هل تظنُّ أني قاسية ومتحجِّرة القلب. بالطبع لا... السناجب هم أصدقائي المفضَّلون".

"ما رأيك في إعطائي بومة 'ملظلظة'. ليست مصنوعة من الصفيح كتلك. لكن بومة حقيقية".

"لن يتم تقديم حيوان أو طائر لك، على الإطلاق".

"إذًا أعطيني سمكة... هناك نهر صغير يجري بالقرب من هنا".

"لا كائن حي يتمُّ التضحية به ليكون طعامًا".

"إذًا ماذا تتوقَّعين أن آكل؟".

"ما رأيك في هريسة رقائق الذرة بالحليب؟ إنها إفطار جيد!".

كشَّر النمر المرقط عن أنيابه في تهكُّم واضح وهزَّ ذيله في غضب.

ثم قال الدب: "أعطيه بيض أومليت على خبز محمص، يا بولي".

قالت الكناري: "نعم.. نِعم الرأي!"، ثم طارت ورفرفت بجناحيها ثلاث مرات. وحين هبطت رأى النمر المرقط ورقة شجر عريضة عليها قرص بيض أومليت مخفوق على خبز محمص، يتصاعد منه بخار السخونة.

قال الدب: "ها هو يا صديقي النمر المرقط. تناوَلْ فطورك. وكُنْ راضيًا بنصيبك!".

زحف النمر المرقَّط بالقرب من ورقة الشجر العريضة واستنشق رائحة البيض المخفوق الساخن. كانت الرائحة طيبة لدرجة دفعته لتذوُّق الطعام، تمهَّل لثانية يستطعم قضمة التذوُّق، ثم لم يتردَّد في أكل الوجبة الغريبة على عَجَل؛ ممَّا يثبت أنه كان جائعًا حقًّا.

تمتم قائلًا: "أنا صحيح أُفضِّل الأرانب، لكن يجب أن أعترف بأن ذلك الفطور السحري قد ملأ معدتي بالشبع، وسدَّ جوعي؛ لذلك أنا

شاكر بشدَّة للطفك وكرمك، يا أيتها الجنية الصغيرة، والآن سوف أترككم بسلام"، ثم اخترق كومة شجيرات كثيفة، وسرعان ما اختفى فيها.

قال البومة للكناري: "كانت تلك طريقة جيدة للتخلُّص من الوحش المتوحش يا بولي. لكنني مندهش لأنكِ لم تقدِّمي لصديقنا واتي إفطارًا سحريًّا، عندما علمتِ أنه جائع".

أجاب بوليكروم الكناري: "عقلي كان مشغولًا بأشياء أخرى، لدرجة أنني نسيت قدرتي على إنتاج الطعام عن طريق السحر. ولكن أين الصبي القرد؟".

قال الدبدوب: "راح! الأرض ابتلعته".

الفصل التاسع

التنانين المشاكسة

غطس القرد الأخضر داخل الأرض، كأنه يغرق في بحر، ثم وجد نفسه يتشقلب ويسقط سقوطًا حرًّا في فضاء كالهواء، ثم أخيرًا هبط على أرضية صلبة بخَبطَة أوجعته، ولكنها لحسن الحظ لم تُسبِّب له أي كسر في العظام. اعتدل جلوسًا وأدار رأسه يمينًا ويسارًا يستكشف المكان.

الظاهر أنه وقع في كهف كبير تحت الأرض، مضاء بعدد كبير من الأقراص المستديرة البيضاء التي تشبه الأقمار. لقد ظنَّها واتي أقمارًا لأول وهلة، لكنه أدرك أنها لم تكن أقمارًا، حين استكشف المكان بعناية؛ إنها عيون، عيون مثبَّتة في رؤوس هائلة لحيوانات تمتدُّ أجسادها خلفها لمسافة كبيرة. كل حيوان هو وحش أكبر من حجم الفيل، وأطول ثلاث مرات، وتناثرت وتشتَّتت تلك الوحوش في كامل مساحة الكهف.

ردَّ التنين الصغير بتذمُّر: "كُلُّ ما أكلته، منذ أحد عشر عامًا، كان وحيدَ القرن، ولم تكن تلك وجبة كاملة على الإطلاق. وقبل ذلك انتظرت اثنين وستين عامًا لكي يتمَّ إطعامي. لا عجب في أني جائع الآن".

سأل واتي القرد: "لماذا؟ كم يبلغ عمرك؟" ناسيًا الموقف العصيب المتورِّط فيه. ردَّدَ التنين الصغير السؤال ملقيًا إيَّاه على مسامع والده: "أنا... كم أبلغ من العمر يا أبي؟"، ردَّ التنين الكبير بنفاد صبر: "يا إله السماوات! يا لك من طفل عاقٍّ لتسأل تلك الأسئلة! هل تريدني أن أفكِّر وأشغل دماغي بتلك الأشياء طوال الوقت. ألا تعرف أن التفكير مُضرٌّ للتنانين؟"، أصرَّ التنين الطفل وألحَّ بعناد: "كم أبلغ من العمر يا أبي؟"، ردَّ: "حوالي ستمائة وثلاثين عامًا. إذا لم تُصدِّقني اذهب واسأل أمك؟".

تصاعد صوت تنينه من الخلف: "لا... لا تفعل... أليس لديَّ همومٌ كفاية تشغلني وتجبرني على الاستيقاظ في منتصف قيلولتي! الآن تريدون مني معرفة كم عمر أطفالي؟"، قال التنين الصغير مشاكسًا: "أنتِ في قيلولة منذ أكثر من ستين عامًا يا أمي! ما مدة القيلولة التي ترغبين فيها أكثر من ذلك؟".

"ينبغي أن أنام لمدة أربعين عامًا زيادة. وينبغي معاقبة هذا الوحش الأخضر الصغير الغريب لسقوطه في كهفنا وإزعاجنا".

قال واتي القرد منزعجًا: "لم أكن أعلم أنكم هنا، ولم أكن أعلم أنني سأقع هنا". قال التنين الكبير: "مها كان. أنت هنا الآن. وسقوطك المهمل أيقظ كل أفراد العشيرة؛ لهذا السبب يجب أن تُعاقَب". ارتجف واتي القرد واستفسر قَلِقًا: "بأي طريقة ستعاقبونني؟"، ردَّ التنين الكبير: "أمهِلني وقت لأفكر في طريقة مناسبة. هل أنت مُتعجِّل؟"، هتف واتي القرد بحماس: "لا... بالطبع لا... خُذ كُلَّ ما تحتاج من وقت. عندي فكرة، لماذا لا تخلدون للنوم وتستكملون القيلولة وعندما تستيقظون بعد عدة مئات من السنوات، تعاقبونني براحتكم".

تصاعد صوت التنين الصغير متوسِّلًا: "دعني آكله يا أبي"، ردَّ التنين الأب: "إنه صغير جدًّا يا ابني. إذا أكلته سوف تشعر بمزيد من الجوع، ولا يوجد مزيد منه"، احتجَّ تنين في الخلف وقال متذمِّرًا: "كفُّوا عن هذه الثرثرة ودعونا نَعُد للنوم"، وتثاءب بطريقة مخيفة، فحينما فتح فمه خرج منها لسان من اللهب مندفعًا؛ ممَّا جعل واتي يثب للخلف فزعًا.

في قفزته للخلف اصطدم بأنف تنين وراءه، فعطس وفتح فمه ليخرج منه لسان آخر من اللهب بمزيد من الدخان. صحيح أن اللهب لم يكن ساخنًا كما يبدو، لكنه كان كافيًا ليدبَّ الرعب والفزع في قلب القرد الأخضر، فصرخ ووثب ثانية في اتجاه آخر، هذه المرة وقع بين مخالب التنين الكبير، الذي رفع بغضب كفِّ يده الأخرى ليطبقها على القرد المسكين.

بالطبع واتي يمتلك الآن مهارات القرد في مقابل مهارات التنين التي تتَّصِف حركاته بالبطء والكسل؛ لذا اندفع يطير في الهواء ليفلت من قبضة التنين، وأبحر في الهواء ليهبط على صخرة بعيدة نسبيًّا عن قبيلة التنانين.

صحيح أن سقوط واتي القرد من سماء الكهف تسبَّب في إيقاظ التنانين، لكنهم كانوا ما زالوا نعسانين ويستولي عليهم شعور بالخمول. لكن جلبة الحركات الأخيرة تسبَّبت في استيقاظ كامل لعشيرة التنانين، ونفضت عنهم أي شعور بالسبات أو الرقاد. وبالطبع ألقى التنانين اللومَ كُلَّه على عاتق القرد الأخضر لأنه أقلق راحتهم.

اندفع التنين الصغير يطارد واتي القرد، وأدار الآخرون أجسادهم في اتجاه المطاردة وأضاؤوا الكهف بوميض عيونهم ولهب من أفواههم. كاد واتي يستسلم للضياع، لكن مهارة القرد أجبرته على الإسراع لأبعد مكان في الكهف، وتبعه التنين الصغير على مهل، ربما لأنه يعرف أنه لا مكان يفرُّ إليه القرد، أو ربما لأن من طبيعة التنانين عدم الاستعجال، أو لأنهم لا يتحركون كثيرًا في هذا الكهف. المهم أن القرد استطاع أن

يتسلق كومة من الأحجار المتساقطة مركونة في أقصى نهاية الكهف، بخفَّة حركة وُلِدَت من الخوف، وظل يتسلق ويصعد حتى وجد نفسة في نهايتها قرب سقف الكهف.

هنا وقف وانتظر وشعر بنفسه محاصَرًا، فلا يوجد مكان آخر يفرُّ إليه. ورغم ذلك اقترب منه التنين الصغير الجائع والغاضب أيضًا من تلك المطاردة التي لم تكن في الحسبان. في هذه اللحظة تذكَّر واتي القرد مئزر الدانتيل الذي يرتديه -رغم أنه أصبح ممزَّقًا ومتَّسِخًا- واستعاد بديهته وهتف: "افتح". قبل أن يتم صرخته فُتِح شقٌّ في السقف فوقه مباشرة، وتدفَّق شعاع الشمس منه فوق القرد الأخضر تمامًا.

تجمَّدَت التنانين للحظة مندهشة من هذا السحر، وغشاها ضوء الشمس المبهر؛ ممَّا أعطى واتي الفرصة والوقت للتَّعلُّق في تلك الفتحة وتسلُّقها لأعلى. وفور صعوده للسطح الأرض أغلقت الفتحة نفسها مرة ثانية. وأدرك القرد الصغير، بفرح، أنه كما أفلت من تلك التنانين بأعجوبة، إلا أنه الوحيد الذي رأى سلالة نادرة من عائلة التنين الخطيرة المشاكسة.

لم يكن يومًا من هواة السحر أو يهتم بمعرفة كيف يعمل، فقد عرف أن الشخص الذي يعبث بالسحر بدون معرفة، غالبًا نهايته سيئة؛ لذا لم يُبالِ بفقدان مئزر الدانتيل، فقد كان مهترئًا ممزَّقًا، وتشابك في الحجارة أثناء صعوده إلى سطح الأرض.

جلس على الأرض يلهث من مجهود وإثارة المغامرة المذهلة في باطن الأرض، ومن بين الشجيرات ظهر عدوه القديم، النمر المرقَّط، يتمشى على مهل، فزع القرد وحاول الهرب، لكنه سمع صوت النمر يصيح به: "انتظر.. لا داعي للجري، لا داعي للفرار، أنت الآن بأمان، على الأقل مني. فمنذ اختفائك الغامض تمكَّنتُ من تناول فطوري، وأنا الآن ذاهب إلى بيتي لأنام بقية اليوم".

عـاد القـرد وقـال بلهجـة مـن الحـزن والأسـي: "حقًّـا.. ومَـن مـن أصدقائـي تمكَّنـتَ مـن أكلـه؟".

"لا أحـد منهـم. لقـد تناوَلـتُ طبقًـا مـن البيـض المخفـوق الأومليـت على خبـز محمَّـص سـاخن. صحيـح هـو ليـس وجبـة لذيـذة، ولكـن بطنـي حاليًّـا ممتلئـة، ولا توجـد مسـاحة فـي معدتـي لشـيء آخـر. أنـا لسـت نادمًـا علـى مـا حـدث. فمـن خـلال لونـك، يظهـر أنـك لسـت ناضجًـا كفايـة. واحتمـال كنـت ستسـبِّب لـي فـي عسـر هضـم. نحـن النمـور المرقطـة يجـب أن نكـون حذريـن لمـا نـأكل حتـى لا يؤثـر علـى مهارتنـا فـي الركـض والمطـاردة. علـى أي حـال. يـا صديقـي القـرد. اتبـع هـذا المسـار بيـن الشـجيرات وسـتجد أصدقـاءك هنـاك".

ذهـب النمـر المرقـط لمنزلـه، واتبـع واتـي القـرد المسـار الـذي نصحـه بـه، حتـى وصـل للمـكان الـذي يتجمَّـع فيـه الدبـدوب البنـي والبومـة الصفيـح والكنـاري يتباحثـون فيمـا يجـب فعلـه بشـأن الاختفـاء الغامـض للقرد صديقهم.

الفصل العاشر

تومي سريع الخطى

بعدما سَمِعَت الصحبة مغامرة واتي القرد مع التنانين الخطيرة المشاكسة، قال خيال المآتة الدبدوب: "أفضل خطة نتبعها الآن أن نخرج من مقاطعة الجليجيان بأسرع ما يمكن، ومحاولة إيجاد الطريق إلى الساحرة جلينـدا. هنا الكثير من المخاطر، وهو وضع غير مريح، ولا يناسبني على الإطلاق. فنأمل أن تتمكَّن من استعادة أشكالنا الأصلية سريعًا".

رمش ورفرف البومة الصفيح بجناحية بحزن، وقال: "إذا توجَّهنا ناحية الجنوب حاليًّا،

فسنصل إلى مدينة الزمرد مباشرة، وهذا مكان أرغب في تجنُّبه قدر المستطاع، فأنا أكره أن يراني أصدقائي في تلك الهيئة".

أكَّدَت الكناري بوليكروم، بينما تطير فوق رؤوسهم برشاقة: "لكني واثقة أننا تجاوزنا مدينة الزمرد حاليًّا، إذا توجَّهنا مباشرة إلى الجنوب، سندخل مقاطعة الموشكيين، وإذا استمررنا واكملنا الطريق جنوبًا، سنخترق مقاطعة الجودلينج، وبعدها إلى قصر جلينندا".

قال خيال المآتة الدبدوب:" حسنًا، بما أنَّكِ واثقة. هيا لنبدأ على الفور. إنها رحلة طويلة على أحسن الأحوال. أضيفي إلى ذلك أنني تعبت من المشي على أربع".

قال القرد واتي: "كنتُ أظن أنك لا تتعب أبدًا؛ فأنتَ محشوٌّ بالقش".

"أعني أنه يزعجني أن أكون مضطرًّا للمشي على أربع أرجل. بينما المشي على رجلين اثنتين هو الطريقة المناسبة والآدمية للمشي"، وأكمل خيال المآتة الدبدوب بجدية: "أنا أرى أن أقل من ذلك المستوى يحطُّ من كرامتي. بمعنًى آخر؛ ممكن أن يتعب عقلي من الإذلال، لكن جسدي لا يتعب أبدًا".

قال البومة الصفيح: "هذه هي عواقب امتلاك عقل"، وأضاف بحسرة: "لم يكن لديَّ أي عقل منذ كنتُ بشريًّا من لحم ودم؛ لهذا لا أشعر بالقلق أبدًا. ومع ذلك أفضِّل هيئتي البشرية السابقة عن شكل البومة الحالي. وسأكون سعيدًا لكسر سحر السيدة يووب في أقرب وقت ممكن. أنا أشعر بتلك الخشخشات الصفيح، وهو شيء يزعجني أنا شخصيًّا"، ثم رفرف بجناحيه، وأصوات شخللة الصفيح تتردَّد بين أشجار الغابة.

وحين اتَّفقا على رأي، اتجهوا ناحية الجنوب، وساروا بهمَّةٍ ونشاط، وبعد أن غادروا الغابة، اختفت الصبغات الأرجوانية التي تلوِّن كل

شـيء، وحلَّـت مَحلَّهـا الصبغـات الزرقـاء؛ دليـلًا علـى دخولهـم منطقـة مقاطعـة الموشـكيين.

زفـر خيـال المآتـة الدبـدوب تنهيـدة راحـة، وقـال: "أشـعر الآن بأمـان أكثـر. فأنـا أعـرف تلـك البـلاد معرفـة جيـدة، فقـد صنعنـي مـزارع مـن هـذه المقاطعـة، ومـن يومهـا لـم أتوقَّـف عـن التَّجـوُّل فـي هـذه الأراضـي الزرقـاء الخلابـة مئـات المـرات. لدرجـة أنـي أميِّـز تلـك المجموعـة مـن الأشـجار الطويلـة هنـاك، إنهـا ثـلاث أشـجار أمامنـا مباشـرة، وعندمـا نصـل إليهـا لـن نكـون بعيديـن عـن منـزل صديقتـي چينچـر".

سأل القرد الأخضر واتي: "مَن هي چينچر؟".

تعجَّب خيال المآتة الدبدوب: "ألا تعرف مَن هي چينچر؟".

"لا. هل چينچر إنسان، أم حيوان أم طائر؟"[1].

"چينچـر فتـاةٌ. إنهـا فتـاة جميلـة، صحيـح أنهـا متحمِّسـة دومًـا، وتميـل إلـى الجَـراءَة، إلَّا أنهـا شَـجاعَة. ذات يـوم، حشـدت جيشًـا مـن الفتيـات ونصَّبَـت نفسـها عليهـم قائـدة تحـت رتبـة "چينـرال چينچـر". بهـذا الجيـش احتلَّـت مدينـة الزمـرد، وخلعتنـي مـن العـرش؛ لأنـي أصـررتُ علـى أن جيشًـا يحتـلُّ مدينـة الزمـرد، حتـى لـو مـن مواطنـي أوز أنفسـهم، لهـو أمـرٌ غيـر لائـق. عاقـب أوزمـا الفتـاة المتهـوِّرة، لكـن أنـا وهـي أصبحنـا صديقيـن. حاليًّـا تعيـش مسـالمة فـي مزرعـة، بالقـرب مـن هنـا، تـزرع حقـول كعـك الكريمـة وحلـوى الشـكولاتة المحشـوة بالكراميـل وبسـكويت البنـدق. يقولـون إنهـا مزارعـة جيـدة، لكنـي متأكِّـد أنهـا فنانـة رائعـة أيضًـا؛ فهـي ترسـم لوحـات فنيـة جيـدة للغايـة، لدرجـة أنـه صعـب عليـك أن تفرقهـا عـن المناظـر الطبيعيـة. غالبًـا مـا أسـتعين بهـا لترسـم ملامـح وجهـي، حينمـا تبهـت

(1) Jinjur چينچـر: سـبب سـؤال واتي أن الكلمـة هـي تحويـر طفيـف (بنفـس النطـق غالبًـا) لكلمـة ginger بمعنـى تابـل الجنزبيـل أو النشـيط الحـرَّاق، وأحيانـا يطلـق عـلى الشـخص ذي الشَّـعر الأحمـر، الأصهـب، كلمـة ginger. لكـن لم يُـشِر بـاوم إلى أن شـعرها أحمـر، ممكـن أن تتعـرف عـلى حكايتهـا في الرايـة الثانيـة بعنـوان أرض أوز المدهشـة.

الألوان أو يتجعَّد كيس الرأس على كتفي. ملامح وجهي الذي كنت أرتديها عندما حدثت لنا الحادثة الفظيعة مع السيدة يووب، كانت هي مَن رسمها. لقد رسمتها بنفسها عندها منذ شهر تقريبًا مضى".

وافق واتي القرد: "نعم. لقد كانت ملامح جميلة حقًّا".

تابع خيال المآتة بحماسة: "چينچر تستطيع رسم أي شيء. في يوم، حضرت لمنزلها في حالة سيئة. قشِّي كان متكتِّلًا وقديمًا؛ لذا كان جسدي مترهِّلًا بطريقة فظيعة. احتجت أن أستبدل قشي القديم بآخر جديد وطازج، لكن چينچر لم يكن لديها قشٌّ في مزرعتها على الإطلاق، لقد بحثنا يومها بجدية، ولم نعثر. ولم يكن يمكنني السفر لأعثر على قشٍّ في مكان آخر. شرحت لصديقتي چينچر معاناتي، فخطرت في ذهنها فكرة نفَّذَتها على الفور. رسمت كومة من القش الذهبي وبدا حقيقيًّا وطبيعيًّا، لدرجة أني استبدلت قشِّي القديم به وملأت جسدي منه. لقد كان من نوعية ممتازة، وظللت محتفظًا به لفترة طويلة".

لم يستغرب واتي القرد ما قاله خيال المآتة الدبدوب؛ فهو يعرف أن تلك الأشياء لا تحدث إلا في أرض خيالية سحرية مثل أرض أوز. وسارت الصحبة مستمتعةً بالجو الصحو والمناظر الطبيعية الجميلة، فقد كانت مقاطعة الموشكين ألطف وأجمل من مقاطعة الجليجيان. هناك أسوار خشبية زرقاء قصيرة ما بين الحقول، وممرَّات عشبية على الأرض الزرقاء، ويظهر بجلاء أن كل الأراضي مزروعة ومحروثة بشكل مُرتَّب ومنظَّم.

لم يستغرق وقتًا منذ دخولهم مقاطعة الموشكين، حتى صعدوا تلًّا صغيرًا منبسطًا، ومن أعلى التَّلِّ شاهدوا امتدادات مزروعة ملوَّنة بصبغات تدرُّجات الأزرق، وحينما هبطوا من على التل، قابلتهم هيئة غريبة أوقفت مسيرتهم.

مخلـوق غريـب شـدَّ انتباههـم ظهـر أمامهـم فجـأة عنـد المنعطـف، كان غريبًـا حتـى علـى غرابـة المخلوقـات فـي أرض أوز. لـه رأس شـاب مـن الموشـكيين، ملامـح جذابـة لطيفـة، وشـعر ممشَّـط بعنايـة، لكـن الجسـد هـو الغريـب فيـه؛ فهـو ممتـدٌّ للخلـف لمسـافة طويلـة، فهـو يملـك عشـرين سـاقًا؛ عشـر أرجُـل علـى كل جانـب، وهـذا جعـل الجسـد ممتـدًّا أفقيًّـا، بحيـث جميـع الأرجـل العشـرين تقـف علـى الأرض، مـن الكتفيـن تبـرز يـدان عاديَّتـان، بدَوَنًـا أصغـرَ قليـلًا بالنسـبة للأرجـل العديـدة التـي يمتلكهـا.

هـذا المخلـوق العجيـب يرتـدي ملابـس الموشـكيين التقليديـة، ومعطفًـا أزرق غامقًـا يغطـي الجسـد الممتـد للخلـف، ويلبـس فـي كل سـاقين زوجًـا مـن بنطـال أزرق سـماوي، ويلبـس فـي كل قـدم جـوارب زرقـاء بدرجـة فاتحـة عـن البنطـال وأغمـق مـن درجـة لـون الحـذاء الجلـدي الأزرق ذي الطـرف المدبَّـب المميَّـز فـي زي الموشـكيين.

تعجَّبَـت الكنـاري بوليكـروم: "مـا هـذا المخلـوق الغريـب؟"، وطافـت فـوق المخلـوق الغريـب، الـذي كان يبـدو نائمًـا بجانـب الطريـق. صحـا المخلـوق علـى صوتهـا وردَّ قائـلًا: "أنـا نفسـي سـألت هـذا السـؤال ولـم أعثـر علـى ردٍّ". نهـض واقفًـا وأكمـل: "لكـن فـي الحقيقـة، أنـا تومـي سـريع الخُطـى، وحاليًّـا أعيـش فـي شـجرة مجوَّفـة ملقـاة أرضًـا منـذ زمـن بعيـد. لقـد صقلتهـا ولمعتهـا مـن الداخـل وصنعـت بابًـا عنـد كل طـرف، وهـي مسـكن مناسـب لأنهـا تلائـم طولـي المفـرط".

جلـس خيـال المآتـة الدبـدوب علـى كفليـه، وحـدَّق فـي تومـي سـريع الخطـى، وسـأل باهتمـام بالـغ: "كيـف حـدث أن أصبحـت بتلـك الهيئـة؟ هـل هـذه هـي هيئتـك الطبيعيـة؟".

ردَّ تومـي بتنهُّـد: "لا. إنهـا أمنيـة تحقَّقَـت. معـروف عنـي أنـي نشـيط وسـريع، ودائمًـا أشـعر بالرضـى والسـعادة حيـن أحقِّـق مهـامَّ فـي غايـة السـرعة لـكلِّ مَـن يحتـاج خدماتـي. هكـذا أطلقـوا عليَّ تومـي سـريع الخطى؛ فأنـا باسـتطاعتي تنفيـذ المطلـوب أسـرع مـن أيِّ وَلَـدٍ أو شـاب، وكنـت فخـورًا بنفسـي للغايـة. ذات يـوم، قابلـتُ سـيدة عجـوزًا، كانت فـي حقيقتها

جنيـة، أو سـاحرة، أو شـيئًا مـن هـذا القبيـل، لا أعـرف علـى وجـه الدِّقَّـة، وطلبـت منـي توصيـل شـيء مـا، أعتقـد أنـه دواء سـحري أو مسـتحضر مـا، لا أعـرف علـى وجـه الدِّقَّـة، إلـى سـيدة أخـرى، أغلـب الظـن أنهـا سـاحرة أو شـيء مـن هـذا القبيـل مثلهـا، وإذا نفَّـذتُ المطلـوب بسـرعة، سـتضمن لـي تحقيـق أمنيـة واحـدة، مهمـا كانـت هـذه الأمنيـة. بالطبـع لـم يكـن هنـاك أسـرع منـي لتنفيـذ مـا طلَبَـت، وأوصلـت الطـرد فـي الميعـاد المطلـوب علـى وجـه السـرعة. وغـادرت عائـدًا إليهـا لأخبرهـا أمنيتـي -ولـم أكـن قـد فكَّـرتُ فيهـا فـي ذلـك الوقـت- فـي طريـق العـودة، صعـدت تـلًّا، ورجلـي أصابهـا التعـب، وبـدون تفكيـر قلـتُ بصـوتٍ عـالٍ: 'يـا إلهـي، بـدأت أشـعر بالتعـب، يـا ليـت لـديَّ عشـرون رِجـلًا'، وفجـأة تحقَّقَـت الأمنيـة وأصبحـت المخلـوق الذيـن ترونـي عليـه الآن. إنسـان بعشـرين سـاقًا. بإمكانكـم أن تعدوهـم إذا كنتـم لا تصدقوننـي".

قـال واتـي القـرد، الـذي عدَّهـم بالفعـل منـذ أن وقعـت عينـاه علـى تومـي: "صحيـح. لديـك عشـرون سـاقًا".

"وهكـذا ظللـت أبحـث عـن تلـك السـيدة التـي عهـدت إلـيَّ بالمهمَّـة لكـي تخلـع عنـي تحقيـق تلـك الأمنيـة المؤسـفة غيـر المقصـودة. فعلـى مـا أعتقـد هـي الوحيـدة التـي تسـتطيع فـكَّ تحقيـق الأمنيـة التـي تحوَّلَـت إلـى نقمـة. ولكنـي لـم أعثـر عليهـا قـطُّ".

قـال البومـة الصفيـح: "افتـرِضْ أنَّـكَ أصبحـت أكثـر سـرعة بتلـك الأقـدام والسـيقان الكثيرة؟".

جـاء الـرد سـريعًا وحزينًـا: "فـي البدايـة، نعـم. سـافرت كثيـرًا وكنـت أركـض بسـرعة فـي كل مـكان، لأبحـث عـن تلـك السـيدة العجـوز. لكـن بعـد فتـرة أصبـح عنـدي كالُّـو فـي أصابـع قدمـي. والإصابـة بِبَثْـرَةٍ فـي أصبـع قـدم واحـدة ليـس سـيئًا للغايـة، ومـن الممكـن تحمُّلـه، لكـن أن يكـون لـك مائـة كالُّـو، سـيصبح الأمـر غيـر لطيـف علـى الإطـلاق، بـل مؤلمًـا أيضًـا. وبـدلًا مـن الركـض، أصبحـت أزحـف بألـم. ولكنـي لـم أفقـد الأمـل أو العـزم

والإصرار على العثور عليها، مهما كانت، جنِّيَّة أو ساحرة، أو أي شيء من هذا القبيل".

قال خيال المآتة الدبدوب: "أتمنَّى أن تعثر عليها حقًّا. لكن بالرغم من كل شيء. أنت بالتأكيد تستمتع بمعرفة كونك غير عادي، ومميَّزًا بين الناس في أرض أوز. حينما تكون مثل أي شخص آخر ليس فيها ميزة من أي نوع، لكن كونك لا تشبه أحدًا لهو شيء مميَّز فعلًا".

ردَّ تومي سريع الخطى: "كلامك يبدو صحيحًا، لكني بالفعل كنت شخصية مميَّزة، لم يجارِني أي ولدٍ في سرعتي، شخصيتي هي المميزة وليست هيئتي. أضِفْ إلى ذلك أن معاناة ارتداء عشرة بنطلونات كل صباح، وارتداء عشرين فردة حذاء، ستجعلك لن تُفضل أن تكون مختلفًا عن الآخرين".

استفسر البومة الصفيح: "هل كانت الجنية، أم الساحرة، أو شيء من هذا القبيل، شخصًا عجوزًا، ذات تجاعيد ونصف أسنانها وقعت؟".

ردَّ تومي: "لا".

قال البومة: "إذًا هي ليست العجوز مومبي".

"أنا لا يهمني مَن تكون، يهمني أين هي؟".

سأل واتي: "إذا عثرت عليها، هل ستطلب منها تغييرك إلى هيئتك الأصلية؛ أن تكون ولدًا بشريًّا بساقين طبيعيتين؟".

"ربما. إذا نفَّذتُ لها مَهمَّةً أخرى، وأكسب أمنية أخرى".

هبطت الكناري بوليكروم على كتف القرد واتي لكي ترى ردَّ فِعل تومي على سؤالها، الذي كان: "هل صحيح ترغب في العودة كما كنتَ سابقًا؟".

أجاب تومي سريع الخطى بصراحة: "نعم. بالطبع".

قالت ابنة قوس قزح: "إذًا دعني أرى ما يمكنني فعله لك". بعد أن وعدته طافت في دوائر وأشكال غامضة حول تومي من كل جانب،

فسألها بتعجُّب وقال: "هل أنتِ جِنِّيَّة، أم ساحرة، أم شيء من هذا القبيل؟"، لم تَرُدَّ بوليكروم الكناري؛ فقد كانت مشغولة، ولكن خيال المآتة الدبدوب ردَّ عنها: "نعم. هي شيء من هذا القبيل، هي طائر كناري له قدرات سحرية".

شعر الصبي ذو العشرين ساقًا بتغيُّرات في جسده وأصاب الكل دهشة ممَّا يحدث أمام أعينهم. في البداية اختفت آخر ساقين من جسده، ثم تلاها السَّاقان التاليان، وهكذا اختفت السيقان المكرَّرة واحدةً تلو الآخر. كل هذا حدث أثناء طيران وطواف الجنية بوليكروم والتَّفوُّه بكلمات غامضة غير مسموعة. شاهد الصبي تلك التحولات التي تحدث لجسده، لكنه فجأة صرخ: "توقَّفي.. توقَّفي، اتركي لي ساقين أعِشْ بهما، وإلا سيكون وضعي أسوأ من ذي قبل".

قال الكناري: "أعرف.. لا تقلق.. أنا فقط أزيل البثور من أصابع قدمك الأخيرة الطبيعية".

تنهَّد الصبي وقال بامتنان: "أشكرك.. لقد كنتِ كريمة معي حقًّا، فقد حقَّقتِ أمنيتي بدون مقابل".

نظر الجميع بسعادة للصبي تومي سريع الخطى وقد استعاد هيئته الأصلية.

سأله واتي الرحال: "ماذا ستفعل الآن؟".

أجاب تومي بسعادة: "أوَّلًا، عليَّ أن أسلِّم رسالة احتفظت بها في جيبي منذ طلبت مني تلك الساحرة أو الجنية أو شيء من هذا القبيل، تلك المهمة المصحوبة بالأمنية الحمقاء. ثانيًا، سأحرص دومًا على عدم الكلام بدون تفكير؛ حتى لا أتفوَّه بكلمات تكون عواقبها خطيرة عليَّ؛ فقد أدركت أن الكلام بدون تفكير خطير للغاية. بعدما أرسل الرسالة، سأكمل حياتي كما سبق، سننفِّذ مهمَّات في غاية السرعة لكلِّ مَن يحتاج لخدماتي".

ثـم شـكر الكنـاري بوليكـروم ثانيـة، ثـم سـار فـي اتجـاه مختلـف عـن طريـق الصحبـة، ولـم تمُـرَّ دقيقـة حتـى اختفـى عـن الأنظـار. وأكملـت الصحبـة طريقهـا، وهـي تعتـزم التَّوقُّـف عنـد مزرعـة چينچـر.

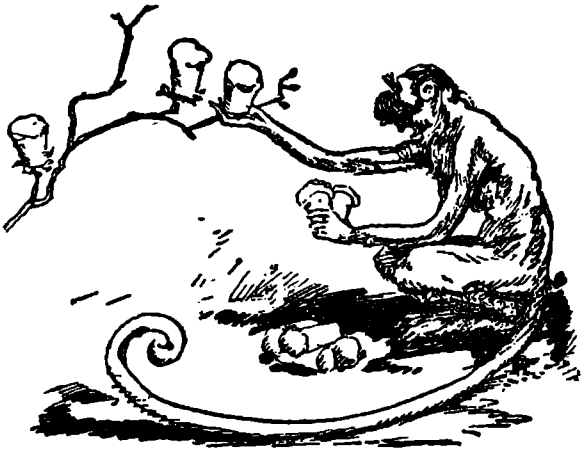

الفصل الحادي عشر

مزرعة چينچر

تابعت الصحبة طريقها على الممشى العشبي الأزرق، فوقع نظرهم على أول منزل محاط بحقول من كل جانب، وعلى الفور تعرَّف خيال المآتة الدبدوب عليه بأنه المنزل الذي يسكنه صديقته چينچر، وهكذا حثَّهم الدبدوب المحشو بالقش على الإسراع في الخطى.

عندما وصلوا للمكان، وجدوا المنزل مهجورًا. الباب الأمامي مفتوح ولا أحد في الداخل. الحديقة أمام المنزل مزروعة بصفوف من شجيرات تحمل كعك الكريمة وحلوى الشكولاتة المحشوة بالكراميل، بعضها ما زال أخضر، وبعضها نضج واستوى وأصبح جاهزًا

للأكل. على مبعدة كان هناك حقل بسكويت البندق ممتدًّا خلف منزل المزرعة، ومنظر الحقل والحدائق جميل، يشي أنها مزروعة بعناية واهتمام. بحثت الصحبة بين الشجيرات والحدائق على الفتاة التي يفترض أنها زرعت كل هذا، فلم يجدوها في أي مكان.

أخيرًا قال خيال المآتة الدبدوب: "حسنًا... هيا بنا لداخل المنزل، ونتصرَّف كأنه بيتنا. أنا واثق أن هذا سيسعد صديقتي چينچر، التي بالتأكيد في عمل لها خارج المنزل والمزرعة. عندما ترجع ستكون مفاجأة كبيرة لها".

سأل واتي القرد الأخضر: "ألن تمانع إذا أكلت بعضًا من كيك الكريمة الناضج هذا؟"، أجاب: "لا... لن تمانع... چينچر كريمة للغاية... اخدم نفسك وكُل ما تريد".

لم يحتَج القرد لتسلق الشجيرات لقطف كيك الكريمة، فقد كانت قصيرة، ويمكن قطف المزيد وهو واقف على الأرض. استطعم القرد ثمار كيك الكريمة وتناول منه الكثير حتى سدَّ جوعه. ثم انضمَّ للصحبة في المنزل وجلس على كرسي هزاز تمامًا كما كان يفعل حينما كان صبيًّا في منزله.

نظرت كناري لأرجاء المنزل وقالت بصوتها الحلو: "يهيَّأ لي أني أعرف تلك الفتاة چينچر. لا أعتقد انها ستتمكن من مساعدتنا؛ فهي لا تعرف شيئًا عن السحر والتعاويذ. أعتقد أن كل ما في استطاعتها أن تدلَّنا إلى الطريق لقلعة جليندا الطيبة. هي فتاة طيبة، أمينة ورشيدة. أنا سعيدة للغاية يا خيال المآتة لأنك أتحت لي فرصة لمقابلتها".

قبل أن يرد خيال المآتة تنهَّد الحطاب البومة الصفيح بعمق وقال: "كل مشاكلنا نشأت من تصميمي الأحمق للعثور على نامي نام وأن أتزوجها وأجعلها إمبراطورة الوينكلز، ورغم أنني لا أرغب في إلقاء اللوم على أحد، أشعر برغبة في قول إن واتي الرَّحَّال مَن وضع تلك الفكرة في رأسي".

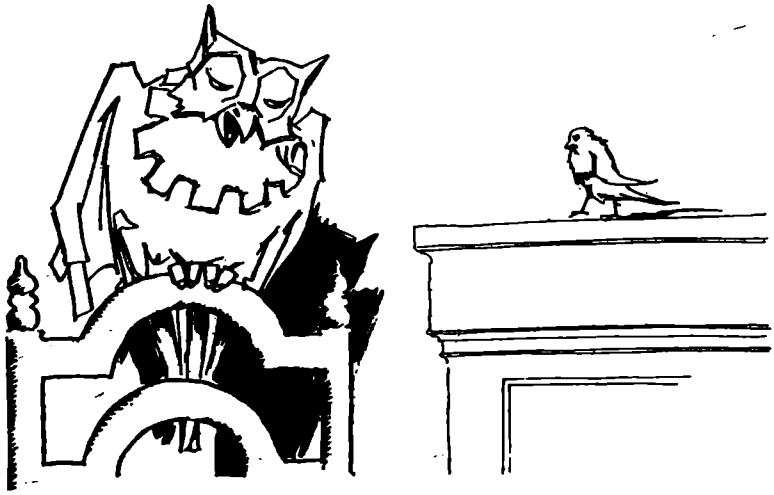

ردَّت الكناري بدلًا من القرد، وقالت: "حسنًا، عن نفسي، أنا سعيدة أنه فعل ذلك. رحلتكم تسبَّبَت في إنقاذي من العملاقة السيدة يووب. وإذا لم تسافروا وتعبروا وادي قلعة يووب، كنت سأظل حتى الآن، على الأقل، سجينة في قفص. إنه شعور رائع بأن تكون حرًّا، حتى بالرغم من أنني مسحورة في هيئة طائر الكناري".

تجاهل القرد كلام البومة ووجَّه سؤالًا صعبًا للكناري: "هل تعتقدين أننا سنستعيد أشكالنا الأصلية مرة أخرى؟"، لم تردَّ بوليكروم على الفور على هذا السؤال المهم، لكنها قالت بعد فترة من التأمُّل: "لقد تعلَّمتُ أن أؤمن أن هناك ترياقًا لكل تعويذة سحرية، ومع ذلك تصرُّ السيدة يووب على أنه لا توجد قوة يمكن أن تغيِّر تَحوُّلاتها. أعرف أن سحر الجنيات الخاص بي لا يمكنه فعل ذلك، على الرغم من أنني أعتقد أن قوة جنيَّات السماء أكبر من تلك الممنوحة لجنيات الأرض. من المسلَّم به أن سحر اليوكوهوتو يعمل بطريقة غريبة جدًّا ومختلف عن السحر الذي يمارَس عادة، ربما جلينـدا أو أوزما تفهمه بشكل أفضل ممَّا أفهمه أنا. أملنا الوحيد فيهم. إذا لم يتمكنوا من مساعدتنا، فمحكوم علينا أن نبقى إلى الأبد كما نحن".

قال البومة: "لن تكون هيئة طائر كناري على ابنة قوس قزح شيئًا سيِّئًا"، ثم أكَّد البومة وغمز بعيونه الصفيح: "لو تمكَّنتِ من العثور على قوس قزح مرة أخرى، لن تحتاجي للقلق بشأن تحولك المسحور إلى كناري".

أحتجُّ واتي: "كفى كلامًا غير منطقي يا صديقي الحطاب الصفيح. أنا أعرف تمامًا ما تشعر به بوليكروم. الفتاة الجميلة أرقى بكثير من الطائر الأصفر الصغير، والصبي -الهيئة التي كنتُها- أفضل بكثير من شكل القرد الأخضر الحالي. ولا واحد منَّا راضٍ بتلك الهيئات المسحورة، ولن نكون سعداء ما لم نستعد هيئاتنا الأصلية التي تخصُّنا".

قال الدبدوب المحشو: "وأنا أيضًا يا واتي. ماذا سيكون رأي صديقتي فتاة قصاقيص القماش حين تراني بهيئة حيوان يمشي على أربع"، قال البومة بصوت أقرب للضحك: "سوف تضحك حتى تقهقه بالصريخ العالي"، وأكمل بجدية: "بالنسبة لي، فقد تخلَّيتُ عن فكرة الارتباط والزواج من نامي نام. لكني لن أجعل ذلك يسبِّب لي التعاسة أو الإحباط. إن كان على الواجب، فأنا على استعداد للقيام بواجبي، لكن إذا أعاقني أو منعني السحر من الزواج، سأرفرف بعيدًا مع نفسي وأقنع بنصيبي".

كاد واتي يصرِّح بأن هذا مثل ما كان عليه الحال حينما حاول الزواج من نامي نام في أول مرة، ولكنه آثر الصمت، فالبومة يكاد أن يلقي عليه اللوم في هذا الوضع.

ساد صمت لفترة من الوقت يفكرون في الحظ السيئ الذي تعثَّروا به في سفرتهم النبيلة. وانشغلت أفكارهم في كيفية التخلُّص من السحر السيئ الذي قيَّد مصائرهم. لم ينتبه أحد إلى أن چينچر ظهرت على عتبة الباب وتحدِّق فيهم باندهاش.

في اللحظة التالية تحوَّل اندهاشها إلى غضب، فعلى كرسيها المفضَّل الهزَّاز جلس قرد أخضر، وبومة لامعة جثمت على ظهر

مقعد خشبي ثمين ودُبٌّ بُنِّيٌّ يستلقي على سجادة الصالون الفاخرة، صحيح هي لم تلحظ وجود طائر الكناري، لكنها أسرعت بدون تردُّد لمكنستها واندفعت ناحيتهم تصرخ: "اخرجوا من هنا! أيتها الوحوش البرية! كيف تجرؤون على الدخول لمنزلي؟".

كان أول أهدافها هو الدبدوب البني، فتلقَّى ضربة بالعصا جعلته يطير، وحين شاهد البومة الصفيح رفيقه يطير، لوَّح بجناحيه الصفيح وانطلق لأعلى حتى لا تصيبه الضربة التالية. لحسن الحظ، الدبدوب البني محشو بالقش، فلم يتأذَّ، لكن هذا لم يشفع للقرد، الذي شعر أنه ثاني أهداف چينچر، فتولَّاه الفزع ونطَّ بدون تفكير في المدفأة، التي لحسن الحظ لم تكن مشتعلة أو بها جمر نيران، وحاول بارتباك ومهارة القرود تسلُّق مدخنة المدفأة من الداخل لأعلى. لكنه وجد أن تجويف المدخنة صغير وضيق عليه؛ فاضطرَّ للعودة مجدَّدًا، ولكن هذه المرة مغطًّى بالسخام والرماد، وتحوَّل شعره الأخضر البراق إلى أسود مغبر قاتم. وجلس القرفصاء داخل المدفأة مرتجفًا مستسلمًا لما سيحدث بعد ذلك.

تحوَّلَت چينچر إلى الدب مرة أخرى، وفي اللحظة التي ارتفعت فيها عصا المكنسة تُهدِّده من جديد، صرخ فيها: "توقَّفي يا چينچر، توقَّفي!"، فتوقَّفت، وأكمل: "ألا تعرفينني يا چينچر. أنا خيال المآتة يا صديقتي". صحيح أن المكنسة توقَّفَت في الهواء، لكن الغضب كان ما يزال مستوليًا على الفتاة؛ فقالت: "أنت تحاول خداعي! أيها الحيوان الشقي! أنا أرى بوضوح أنك دبٌّ. وأيضًا أنت دُبٌّ من نوع رديء".

"هذا لأني مسحور يا چينچر، هذه ليست هيئتي التي تعرفينها... لقد حوَّلَتني السيدة يووب إلى شكل دب"، أنزلت چينچر عصا المكنسة المرفوعة، وسألت، كان صوتها ما يزال مهتاجًا غاضبًا: "مَن هي السيدة يووب؟"، ردَّ في الحال: "إنها عملاقة من أرض الجليجان"، هدأت قليلًا وقالت: "أأه... فهمت. تلك السيدة يووب حوَّلَت وغيَّرَت شكلك! أنت إذًا خيال المآتة المشهور في جميع أنحاء أوز".

J

"كنتُ يا چينچر... أمَّا الآن فكما تريننـي. دُبٌّ صغير بني بائس، وحشوتي ليست جيدة كما كانت من قبل. وهذا البومة الصفيح ليس سوى الحطاب الصفيح، رفيقي وصديقي، إمبراطور الوينكلز. بينما هذا القرد هو صبي لطيف تعرَّفنا عليه، اسمه واتي الرَّحَّال".

اقتربت الكناري منها: "وأنا بوليكروم، ابنة قوس قزح، في شكل طائر كناري".

صاحت چينچر مندهشة: "يا إلهي. هذه العملاقة يجب أن تكون ساحرة قوية للغاية، وشريرة بقدر ما هي قوية".

قالت بوليكروم كناري: "إنها من اليوكوهوتو... لحسن الحظ تمكَّنا من الهرب من قلعتها، ونحن في طريقنا إلى قلعة جليندا الطيبة لنرى إذا كانت تمتلك القوة للتغلب على تلك التعاويذ السحرية، ونستعيد أشكالنا الأصلية".

"أرجو أن تسامحوني، وتنسوا تلك الأشياء السخيفة التي حدثت منذ قليل. لقد ظننتكم مجموعة من الحيوانات البرية. أنتم بالطبع مُرحَّب بكم في منزلي المتواضع. وأنا آسفة أني لا أملك أي قوى سحرية يمكنها أن تساعدكم وتخلِّصَكم من مشاكلكم. اسمحوا لي بتقديم منزلي وكافة ما فيه، ضيافة لكم كأنه منزلكم تمامًا".

بعد إعلان السلام، وقف الدب على قدميه، وعاد البومة ليجثم على ظهر المقعد، وزحف القرد من المدفأة. نظرت چينچر للقرد واتي منتقدةً، وعبَسَت وقالت: "كما يقولون، أنت قرد أخضر، أنت أكثر المخلوقات سوادًا رأيتها على الإطلاق. أنت ستلطِّخ غرفتي الجميلة والنظيفة بالسخام والرماد. ما الذي دفعك للقفز داخل المدخنة؟".

تردَّد واتي خَجِلًا وهو يقول: "كنتُ... كنتُ... خائفًا".

قالت آمِرَةً: "حسنًا... أنت تحتاج للتنظيف... وما تحتاج إليه هو أن تأتي معي... الآن... هيا".

"ماذا ستفعلين؟".

"سأعطيك تنظيفًا جيدًا بالفرشاة".

لم يكن الصبي أو القرد قد استحمَّا بالفرشاة من قبل، ارتجف واتي من فكرة الحموم على يد تلك الفتاة النشيطة، وحاول القرد التملُّص من الغسل بالفرشاة. لكن چينچر قبَضَت عليه قبل أن يفرَّ ويلطِّخ مزيدًا من أثاث بيتها، وجرَّته عبر الباب الخلفي، وبالرغم من أصوات الأنين والتقلصات التي ارتسمت على وجهه، كانت صارمةً، وألقته في حوض ماء بارد، وشرعت في حكٍّ وتدليك وفرك جسد القرد بالفرشاة والصابون.

كانت تلك أقسى تجربة خاضها واتي منذ أن أصبح قردًا، ولم تنفع التوسلات والاحتجاجات في إثناء چينچر عن عزمها. قامت بمهمتها كما تقوم الأم بغسل وتنظيف ابنها الطفل، ثم جفَّفَته بمنشفة خشنة لها رائحة عطرة جميلة.

شاهد الدب والبومة ما يحدث للقرد في الماء البارد، وهزَّا رأسيهما موافقَيْن حينما تجفَّف القرد وظهر شَعرُه الحريري الأخضر برَّاقًا مشرقًا تحت أشعة شمس الظهيرة. أمَّا الكناري فقد بدت مستمتعة وضحكت بشدة وقالت: "حسنًا... حسنًا... عمل جيد يا چينچر. أنا معجبة بحماسك وإخلاصك في تنظيف ذلك القرد. لم أكن أظن أن منظر قرد يستحم سيكون مُضحِكًا لهذه الدرجة".

"أنا لستُ قردًا. أنا صبي في شكل قرد. هذا كل شيء".

ردَّت چينچر بجدية: "لو شرحتَ لي الفرق، سأوافق على عدم غسلك ثانية. سواء كنتَ صبيًّا أو قردًا، فهي حماقة أن تحشر نفسك في المدفأة والمدخنة. في العادة، نحكم على الناس من المظهر الذي يبدون به أمام أعيننا، حتى نتعرف عليهم. انظر إليَّ؟ مَن أنا؟".

تطلَّع لها واتي وقال: "أنتِ فتاة جميلة".

عبسـت چينچـر، أو بـالأدقِّ حاوَلَـت أن تعبـس. وقالـت: "تعـال معـي إلـى الحديقـة. وسـأعطيك ألـذَّ وأفضـل كراميـل تذوَّقتـه فـي حياتـك. إنهـا زرعـة ممتـازة، لا يسـتطيع أحـد زراعتهـا كمـا أفعـل. إن لهـا طعمًـا مميَّـزًا فريـدًا".

مكتبة الطفل

t.me/book4kid

إحدى قنوات

مكتبة

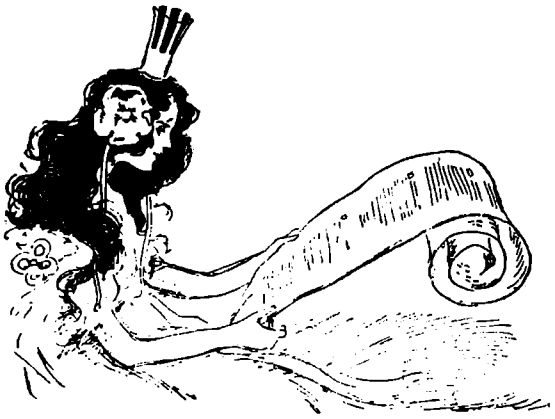

الفصل الثاني عشر

أوزما ودورثي

في القصر الملكي المنيف في مدينة الزمرد، جلست الفتاة الحاكمة الجميلة لكل أرض أوز المدهشة في غرفة استقبال أنيقة ملحقة بغرفة نومها، مع صديقتها الصدوق المخلصة دورثي. انشغلت أوزما بتفحُّص بعض المخطوطات التي استعارتها من المكتبة الملكية، بينما دورثي تعمل على تطريز وشاح حريري وتتوقَّف كل فترة لتربِّت على كلب أسود صغير يستريح عند قدميها. اسم الكلب دودو، وهو الرفيق المخلص للفتاة من تكساس.

لو حكمنا على أميرة أوز بمعايير عالمنا، فسنخمِّن أنها شابة صغيرة، ربما تبلغ من العمر أربعة

عشر أو خمسة عشر عامًا على الأكثر، إلا أنها حكمت أرض أوز لعدد كبير من السنوات، ولم يظهر عليها أنها كبرت في العمر يومًا واحدًا زيادة. دورثي أصغر من أوزما. كانت فتاة صغيرة عندما أتت إلى أرض أوز، وما زالت فتاة صغيرة في نفس العمر، لم تكبر يومًا واحدًا منذ حضرت إلى تلك الأراضي السحرية.

أوز لم تكن دائمًا أرضًا سحرية، كما قيل لي. يومًا ما كانت مثل الأراضي الأخرى، عدا أنها محاطة ومعزولة بصحراء مميتة مرعبة من الرمال المُهلكة، وهو ما منع سكانها من الاتصال والتواصل ببقية العالم. حدث ذات يوم في قديم الزمان، أن سافرت ملكة الجنيات "لورلين" مع رفيقاتها من الجنيات في جولة حول العالم، وحينها رأت العزلة التي تحاصر أرض أوز، قرَّرَت أن تلقي سحرها على هذه البلاد، ومن وقتها تحوَّلَت أرض أوز إلى أرض خيالية خرافية، وقبل أن تغادر الملكة تركت إحدى جنِّيَّاتها لتحكم وترعى شؤون تلك الأرض، ثم غادرت ونسيت كل شيء عن تلك الأراضي المسحورة.

ومنذ تلك اللحظة، لم يَمُت أحد في أرض أوز. مَن كان عجوزًا ظلَّ عجوزًا. وهؤلاء الذين كانوا يتمتعون بالشباب والقوَّة، لم يتغيَّروا على مَرِّ السنوات، وظلُّوا محتفظين بشبابهم وقوتهم. وبالطبع الأطفال ظلُّوا أطفالًا، يلعبون ويمرحون إلى أن تمتلئ قلوبهم سعادة وبهجة، وحتى الطفل في المهد ظلَّ يتلقَّى الرعاية والاهتمام ولن ولم يكبر أبدًا، وكذلك كل الأطفال في جميع أنحاء أوز.

وبطبيعة الحال، توقَّف الناس عن حساب أعمارهم، فالسنوات لم تترك أثرًا فيهم أو في أشكالهم وهيئاتهم. لم يمرض أحد؛ لهذا لم يكن هناك أطباء فيما بينهم. صحيح قد تحدث حوادث مؤسفة، وفي حالات نادرة، وبما أنه لا أحد يموت بأسباب طبيعية، كما يحدث للناس في العالم الخارجي؛ فمن الممكن أن تفضي تلك الحوادث المؤسفة إلى أن يهلك المرء بالكامل؛ لذا فإن الحوادث، في العموم، هي أمور

غير عادية، ونادرًا ما ينتج عنها أشياء يمكن القلق منها أو القلق على شعب أوز الذين يعيشون بسعادة وهناء كما ينبغي.

الأمر العجيب الآخر بشأن أرض أوز أن كل مَن يتمكن من دخولها من العالم الخارجي، يقع تحت تأثير تعويذاتها السحرية، ولا يتغير شكله أو يكبر أو يمرض طالما يعيش فيها وعلى أرضها؛ لهذا ظلت دورثي، التي تعيش في القصر الملكي بمدينة الزمرد مع الأميرة أوزما، في نفس العمر والهيئة التي أتت بها من العالم الخارجي عندما استقرت هنا[1].

ربما لا يمكن وصف جميع المناطق في أوز أنها مبهجة حقًّا، لكن بالتأكيد المناطق المتاخمة لمدينة الزمرد، عاصمة أرض أوز، حيث القصر الملكي ومقرّ حكم الأميرة أوزما، ممتعة ومبهجة. ويمكن اعتبار إن نفوذها الطيب المحب يمتدُّ أميالًا حولها، لكن هناك أماكن مثل الجبال في مقاطعة الجليجان أو الغابات في مقاطعة الجودلينج، أو الأماكن المترامية البعيدة في أقاصي مقاطعة الموشكين ومقاطعة الوينكلز، التي يتصف سكانها بالغلظة وعدم التَّحضُّر، لا يشملهم تأثير الحب اللطيف والنفوذ الحكيم الأميرة أوزما.

في المبتدأ، وبعد أن أصبحت أوز أرضًا خيالية، كانت تلك الأراضي تؤوي العديد من السحرة والساحرات والمشعوذين والمشعوذات والحواة ومستحضري الأرواح[2]، منتشرين في أماكن مختلفة من أنحاء أوز، لكن معظمهم قد حُرموا من قواهم السحرية، فقد أصدرت أوزما مرسومًا ملكيًّا يمنع أي شخص داخل نفوذها وسيادتها من ممارسة السحر، ما عدا جلينـدا الطيبة وساحر أوز العجيب. وبالرغم من أن أوزما نفسها عرفت، كونها جنِّيَّةً حقيقية، الكثير من السحر، إلَّا أنها استخدمته فقط لصالح رعاياها.

---

(1) استقرَّت دورثي مع الأميرة أوزما مع أحداث الرواية السادسة مدينة الزمرد.

(2) لم يظهر حتى الآن مستحضرِ أرواح Necromancer في عالم أوز، وهو الشخص الذي يمارس السحر الأسود ليتصل ويتعامل مع الموتى للتنبؤ بالمستقبل؛ لأنه بالطبع حينما أصبحت أوز أرضًا سحرية لا يموت فيها أحد، لم يَعُد هناك مستحضرو أرواح.

سيساعدك هذا الشرح السابق على فهم القصة التي تقرؤها بشكل أفضل. معظم ما قلت لكم هنا معروف بالفعل لأولئك الذين هم على دراية بشخصيات أوز والذين تابعوا مغامراتهم في كتب أوز السابقة.

أوزما ودورثي صديقتان مقرَّبتان، وتقضيتان كثيرًا من الأوقات معًا. الجميع في أوز أحب دورثي تمامًا كما أحبُّوا حاكمتهم الجميلة العطوفة الطيبة، الأميرة أوزما، لكن لا تظن، عزيزي القارئ، أن الهناء والرخاء التي عاشت فيهما فتاة كانساس الصغيرة أفسدها أو جعلها مُدلَّلةً، بل هي نفسها الطفلة الشجاعة والمخلصة والمغامرة التي أصبحت رفيقة دائمة ونديمًا مُخلِصًا للجِنِّيَّة أوزما.

نرجع إلى الغرفة التي تجلس فيها الأميرتان أوزما ودورثي، وهي إحدى الغرف الخاصة الفاخرة بالأميرة الحاكمة، صاحبة القصر الملكي، وفيها مُعلَّق على حائطها اللوحة السحرية الشهيرة. هذا الغرض السحري ظلَّ دائمًا مصدرَ اهتمام دورثي، فكل ما عليك فعله، هو أن تقف أمامه وتنظر إليه وتتمنَّى رؤية شخص ما، وفي الحال يومض على قماش اللوحة المنظر الذي ترغب في رؤيته، كأنه رسوم متحرِّكة سينمائية، تعيد إنتاج أفعال الشخص التي تحدث في التَّوِّ واللحظة، طالما أنت مهتم بالمشاهدة.

في هذا اليوم، بعدما سئمت دورثي من التطريز، رغب في الاطمئنان على أصدقائها، فذهبت وجذبت الستارة من على اللوحة السحرية، ورغبت في رؤية صديقها برعم باهر، على الفور، أظهرت اللوحة برعم باهر يلعب الكرة مع صديقة أوچو. بعدها رغبت دورثي في رؤية عمَّتها إم، فتبدَّلَ منظر اللوحة، إلى مشهد العمَّة إم تخيط جوارب العم هنري. ثم رغبت دورثي في الاطمئنان على صديقها القديم الحطاب الصفيح، فقد كانت تعرف أن خيال المآتة يقيم عنده ضيفًا.

رأت الحطاب الصفيح يغادر القلعة الصفيح في صحبة خيال المآتة، وشخصًا آخر لم تتعرف عليه، فلم تره من قبل، وتساءلت مَن يكون، وانتابها الفضول حول وجهتهم، خصوصًا أنها لاحظت أن ذلك الشخص يحمل حقيبة ظهر كبيرة مخصَّصة للأسفار البعيدة. سألت أوزما مَن يكون، لكن أوزما لم تعرف.

في ظهيرة ذلك اليوم، نظرت دورثي ثانيةً إلى اللوحة السحرية، فوجدتهم يتَّجهون ناحية مقاطعة الجليجان، فخمَّنَت أنهم في إحدى رحلاتهم الكثيرة للتجوُّل في أنحاء البلاد. ومن وقتها فقدت اهتمامها بمتابعة خط سيرهم؛ لانشغالها بأمور أخرى كلَّفتها بها الأميرة أوزما.

بعد بضعة أيام تذكَّرتهم ورغبت في رؤيتهم، فوجدت منظرًا غريبًا، وجدت بومة من الصفيح ودببوبًا محشوًّا بالقشِّ وقِردًا أخضر ومعهم طائر كناري، والأغرب أنها شاهدتهم يتمشون في مقاطعة الموشكين. فكَّرَت دورثي بعمق وخمَّنَت أن البومة الصفيح هي بالتأكيد صديقها الحطاب الصفيح، والدببوب المحشو بالقش هو خيال المآتة، وإلا لماذا تُظهر اللوحة السحرية هذه المخلوقات في وقتٍ رغبت فيه في رؤية أصدقائها بالذات[1].

---

(1) في الرواية الحادية عشرة، أظهرت اللوحة السحرية أوزما بقعة سوداء مُظلِمةً لأنها كانت مخفيَّة ومحبوسة داخل نواة ثمرة مشمش.

وحين شاركت أوزما تخميناتها، أكَّدَت الأميرة أن اللوحة السحرية لا تخطئ، وأنهم بالتأكيد أصدقاؤها مسحورين، وأضافت أن ما يُعزِّز ظنَّها أن البومة والحطاب مصنوعان من الصفيح، والدبدوب وخيال المآتة محشوَّان بالقش.

لكنها لم تعرف مَن هو القرد الأخضر أو طائر الكناري، لكنها استقرَّت على رأي أنهم يحتاجون لمساعدتهم على الفور. قالت أوزما: "من الاتجاه الذي يسيرون فيه؛ أعتقد أنهم يتجهون لمزرعة چينچر. سأبذل ما بوسعي لتحضير إكسيرًا مضادًّا للتحوُّل يكسر السحر الذي يقيّدهم. إذا تحرَّكنا الآن يمكننا أن نقابلهم هناك. أتودِّين أن ترافقيني لهناك يا دورثي؟".

أجابت الفتاة الصغيرة: "بالطبع. لم أكن لأفوِّت شيئًا كهذا".

قالت أميرة أوز: "إذًا أصدري الأوامر بتجهيز الكارتَّة الحمراء، لنبدأ رحلتنا في الحال"، وتوجَّهَت لغرفة السحر لتجهيز ما يلزم لمواجهة مهمَّة إرجاع أصدقائها لأشكالهم وهيئاتهم الأصلية.

في خلال نصف ساعة، وقفت الكارتة الحمراء أمام مدخل القصر الملكي، ومربوط بها الحصان الخشبي، المصنوع من الخشب. صحيح هو خشب في خشب، إلا أنه حي، ويسافر لأبعد الأماكن بحيوية منقطعة النظير، بالإضافة أنه لا يتعب.

أنعمت أوزما عليه بصفائح من الذهب تغلِّف أرجله الخشبية، وسرج مُزيَّن بالزمرد ومجوهرات أخرى في تصميم بديع يليق بالفرس الملكي المفضَّل لدى الأميرة. بالرغم من أنه ليس جميلًا، فهو عبارة عن جذع شجرة كانت مُخصَّصة لتثبيت الخشب لنَشْرِه وتقطيعه، إلَّا أن العتاد والتجهيزات التي يرتديها رائعة ومبهرة.

بما أن الحصان الخشبي يفهم ويستوعب الكلام، فلا تجد أوزما ضرورة لاستخدام لجام لتقود به الحصان وتوجيهه، فيكفي أن تخبره بالمكان الذي يرغبون في الذهاب إليه، فيطيع ويذهب إلى هناك بدون تأخير أو إبطاء.

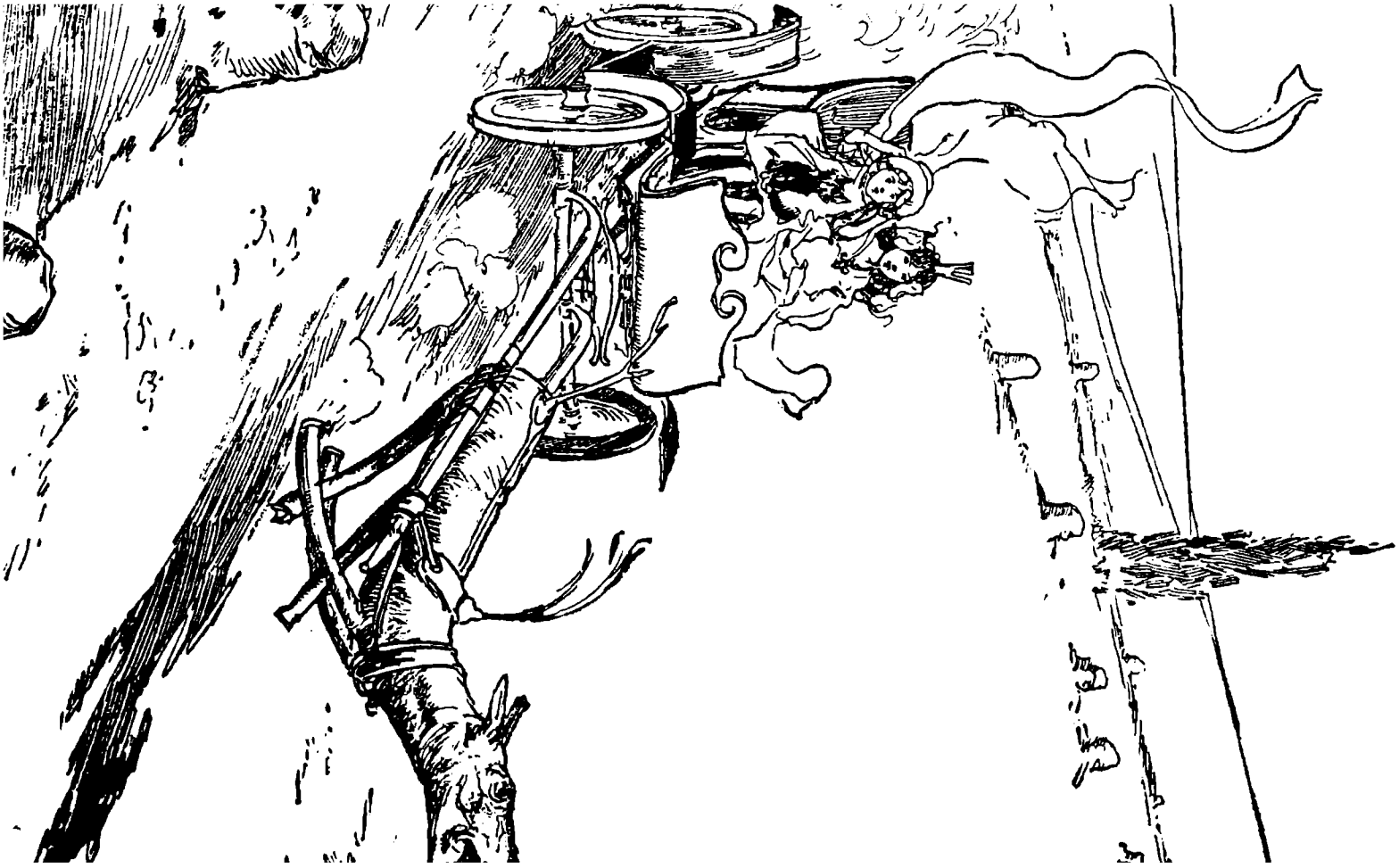

حينما ركبت دورثي مع أوزما، رأت كلبها دودو يركض خارجًا من القصر ويسألها في عتاب: "هل ستتركينني هنا وحدي يا دورثي؟"، نظرت دورثي لرفيقتها في الرحلة أوزما، فابتسمت وقالت: "بإمكانه المجيء معنا، إذا أراد".

حملت دورثي كلبها وأجلسته في حضنها. وبالفعل انطلق الحصان الخشبي بعدما أمرته أوزما بالذهاب لمقاطعة الموشكين عند مزرعة چينچر. عبَرَت الكارتَّة الملكية الحمراء -بقوة الحصان الخشبي الذي لا يكلُّ ولا يملُّ- هِضابًا ومرتفعات ومروجًا، ولم تمر ساعة على دخولهم مقاطعة الموشكين حتى وصلوا إلى منزل چينچر في الوقت التي انتهت فيه من غسل وتنظيف القرد الأخضر، وهي تسير معه إلى حقل كيك الكراميل.

الفصل الثالث عشر

الاستعادة

أطلق البومة الصفيح نعيقًا سعيدًا حينما رأى الكارتَّة الملكية الحمراء تقترب من الباب الأمامي لمنزل مزرعة چينچر، وهرع الدبدوب البني مُطلِقًا صيحات الفرح والابتهاج إلى دورثي، أمَّا طائر الكناري فقد طارت بخفَّة وجثمت على كتفها، وقالت بصوت رقيق لطيف بالقرب من أذنها: "حمدًا لله أنَّكِ أتيت لإنقاذنا"، سألتها دورثي: "لكن مَن أنتِ؟"، قالت الكناري: "ألم تتعرفي عليَّ؟"، قالت: "لقد تعرَّفنا على الحطاب الصفيح وخيال المآتة، ولكننا لم نتعرَّف عليك أو على القرد الأخضر حين رأيناكم في اللوحة السحرية، بالمناسبة، مَن فعل بكم تلك الأشياء المرعبة؟".

أسرع البومة بالقول: "ساحرة يوكوهوتو عملاقة تُدعَى السيدة يووب"، ردَّت دورثي: "يا إلهي! مَن تلك السيدة المرعبة؟"، أجابت أوزما: "السيدة يووب هي آخر ساحرة يوكوهوتو في منطقة نفوذي. سحر اليوكوهوتو سحر غير مألوف، وهو يعتمد على سحر عميق للتَّحوُّلات، ويصعب على الآخرين فهم ماهيته".

حكى لها الدبدوب البني مغامرتهم في قلعة السيدة يووب بكلمات مختصرة سريعة، فقد أراد أن يذكر لهم أن طائر الكناري هي في حقيقتها ابنة قوس قزح، الجنِّيَّة بوليكروم مسحورة ومتحوِّلة. حينها قالت الكناري، وقد كانت ما تزال تقف على كتف دورثي: "نعم... أنا بولي... أتذكرينني؟"[1].

هتفت دورثي: "بالطبع يا بولي... أنا فقط لم أتعرف على شكلك الجديد. مؤسف لجِنِّيَّة من السماء ترقص وتلعب على أقواس ألوان الطيف أن يؤول بها الحال في شكل طائر". ردَّت بوليكروم: "حسنًا... أعتقد أنني ما زلت أتمتَّع بالحرية والجمال كطائر. رغم أنني متلهفة لاستعادة شكلي الأصلي متعدِّد الألوان وأطير وأرفرف على قوس قزح".

قالت دورثي: "أوزما ستساعدك... أنا متأكِّدة"، ووجَّهَت كلامها لصديقها خيال المآتة: "وأنت يا صديقي القديم، كيف حالك وأنت في هيئة دبٍّ".

قال خيال المآتة بجدية: "لا يعجبني... هذا الشكل يحطُّ من كرامتي كرجل قَشٍّ حكيم"، استرسل البومة وهو يطير ويقف بالقرب من الدب: "وأنا أيضًا"، ورفرف بجناحيه، فأصدرت رنينًا وقعقعة صفيح، بدت مُزعِجة قليلًا، وأكمل: "ألا أبدو فظيعًا يا دورثي، بهذه العينين الكبيرتين. أنا لا أكاد أرى شيئًا في وَضَح النهار، حتى إنني أشعر أنه يجب عليَّ ارتداء نظارة طبية أو شمسية".

---

(1) قابلت دورثي جنية قوس قزح في مغامرة رواية الطريق إلى أوز ونادتها -اختصارًا وتدليلاً- بولي.

حدَّقت دورثي في البومة: "أعتقد أن عليك استشارة طبيب عيون... لكن ليس عندنا أطباء في أوز. على أي حال، أوزما ستعالج موضوع تحوُّلِكَ إلى بومة".

وكأن القرد الأخضر عَلقَ عند الباب الخلفي ولم يتحرك قيد أنملة، لمقابلة الفتاتين المحبوبتين، كان شكل القرد الذى يرتديه يُخجله ، إحساس الحياء ثبَّته في مكانه، إلى أن شدَّته چينچر من مكانه لداخل الغرفة، لتقديمه إلى الأميرة أوزما، وببعض التَّردُّد والرهبة انحنى واتي الرَّحَّال بأدب واحترام للحاكمة الملكية لكل أرض أوز.

قالت أوزما: "لقد أُجبرتم على خوض تجربة حزينة ومفزعة، وبصفتي حاكمة أرض أوز مُلزَمَة بتحريركم وكسر التعاويذ السحرية للسيدة يووب. لكن أخبروني، ما الذي حدث حتى تضلُّوا الطريق إلى الوادي المنعزل لقلعة السيدة يووب؟".

بما أن ذلك مرتبط بموضوع رحلتهم، فحكى كل واحد منهم طرفًا من الحكاية؛ حكى خيال المآتة الدبدوب البني عن سعي الحطاب الصفيح للعثور على نامي نام، حبيبته القديمة، للزواج منها، وجعلها إمبراطورة الوينكلز؛ مكافأة على إخلاصها له أيام معاناته مع الساحرة الشريرة من الشرق.

حكى واتي الرحال عن مغامرتهم مع المنفوخين وكيف فرقعهم. حكى الحطاب البومة الصفيح عن انحراف طريقهم إلى مقاطعة الجليجان وكيف دخلوا القلعة ووقوعهم في أسر العملاقة. حكت بوليكروم الكناري عن طريقة أسرها وتحوُّلها وقضائها أيامًا طويلة في قفص ذهبي في غرفة نوم السيدة يووب.

ظلَّت أوزما متأملة لبعض الوقت تفكر فيما سمعته، أخيرًا، تطلَّعَت لهم بإحدى ابتساماتها المبهجة، قالت للمجموعة القلقة: "لست متأكدةً تمامًا من أن سحري سيكون قادرًا على استعادة شكل كل واحد منكم؛ لأن تحوُّلاتكم ذات طابع غريب وغير مألوف. في الواقع، كان

ظنُّ السيدة يووب مبرَّرًا حين اعتقدت بأنه لا توجد قوة يمكن أن تغيِّر سحرها. ومع ذلك، يمكنني إعادة خيال المآتة إلى شكله الأصلي. لقد كان محشوًّا بالقش من البداية، وحتى سحر اليوكوهوتو لم يستطع تغيير ذلك. كانت العملاقة قادرةً فقط على تغيير شكل الرَّجُل إلى شكل دب، لكن هيئة الدب محشوَّة بالقش، تمامًا كما كان الرجل؛ لذلك أشعر بالثقة في أنني أستطيع إعادة الرجل من الدب مرة أخرى".

صاح الدب البني فَرِحًا: "هييه"، وحاول أن يرقص، لكن حركات الرقص كانت خرقاء، لكنه أكمل التنطيط على أي حال.

استأنفت الأميرة أوزما مبتسمة: "بالنسبة إلى الحطاب الصفيح، فحالته هي نفسها حال خيال المآتة إلى حدٍّ كبير. لم تستطع قوة اليوكوهوتو أن تجعله شيئًا آخر سوى مخلوق من صفيح، أيًّا كان الشكل الذي حوَّلَته إليه؛ لذلك لن يكون من المستحيل إعادته إلى شكله الرجولي. على أية حال، سأقوم بممارسة بعض التعاويذ في الحال، وأرى ما إذا ستفي بما وعدتُ به أم لا".

سحبت من حزامها عصا فضية، ومرَّرَتها فوق رأس الدب، وبضع كلمات سحرية، لم تمُرَّ دقيقة حتى كُسرت تعويذة اليوكوهوتو، واستعاد خيال المآتة شكله الرجولي القديم، ووقف بينهم مزهوًّا بنفسه، محشوًّا بالقش، وترتسم على وجهه الملامح المبهجة المضحكة ذاتها التي اعتاد أصدقاؤه رؤيتها على الكيس المدور فوق كتفيه. وفعلت أوزما في البومة الصفيح كما فعلت مع الدب البني. ولم تمرَّ دقيقة حتى وقف الحطاب الصفيح لامعًا كما هو دومًا بينهم.

زقزقت الكناري بلهفة وقالت: "الآن، أنا التالية يا أوزما".

نظرت لها أوزما آسِفةً، ولم تَعُد تبتسم، بل اكتست ملامح وجهها تعبير الجدية، وردَّت: "حالتك مختلفة يا بوليكروم. لكني سأحاول ببعض التجارب السحرية، ولكن ربما أفشل في تلك المحاولات".

جرَّبَت طريقتين أو ثلاثًا، ولكنها لم تنجح، وظلَّت بوليكروم، ابنة قوس قزح، كما هي طائر كناري. رغم الإحباط الذي ساد الجميع، إلا أن أوزما لم تيأس، وشرعت في تجربة طريقة أخرى، حوَّلَت طائر الكناري إلى حمامة، وحوَّلَت الحمامة إلى دجاجة، ثم حوَّلَت الدجاجة إلى أرنب، واستمرَّت في سلسلة التحولات، وحوَّلَت الأرنب إلى غزال. ثم تمهَّلَت قليلًا وحضَّرَت مزيجًا من المساحيق السحرية ورشَّته على الغزال، وفجأة، انكسر سحر اليوكوهوتو، وقفت أمامهم إحدى أجمل وأحلى الجنيات في العالم أجمع، بألوانها المتموجة المتعددة الفريدة.

ملأ عودة بوليكروم الجميع سعادة وحبورًا؛ فهي لم تكن جميلة فحسب، بل كان مُبهِجَة وفاتنة، شَعرُها الجذاب يطفو حول رأسها كسحابة ذهبية تُشِعُّ ضياء ونورًا، وملابسها المتعددة والمتغيرة الألوان باستمرار رقيقة كأنها مغزولة من خيوط العنكبوت، وعلى الفور شرعت في الرقص بخفَّة وحيوية بين أرجاء الغرفة كأنها نسائم في ليلة صيفية حالمة.

أكثر مَن تأثَّر من منظرها الأخَّاذ هو واتي الرَّحَّال، فبالإضافة إلى أنه لم يسبق له رؤيتها مثل الآخرين، لكنه لم يرَ جنية قوس قزح مطلقًا، وبالرغم أن أوزما جنية، لكن لها هيئة أقرب للبشر. كان سطوة وإبهار بوليكروم على واتي القرد الأخضر شديدًا لدرجة أنسته محنته، حتى لاحظ أن أوزما تحدِّق فيه بنظرات تعاطُفٍ وحزن. همست دورثي في أذن صديقتها الأميرة. فهزَّت الجنية أوزما رأسها بأسف وأسًى.

فهمت چينچر نظرات أوزما وربَّتت برقَّةٍ على كتف القرد الأخضر، وقالت: "لا تحزن. لونك لون جميل، ناعم وأملس. القرد يمكنه التسلُّق أفضل من الصبي، ويستطيع فعل أشياء كثيرة لا يستطيع فعلها الإنسان".

تنبَّه واتي وسأل في براءة: "ما الأمر؟ هل سحر أوزما نفد؟".

أوزما نفسها لم تتمكَّن من الرد، إلا بعد أن تنهَّدَت وزفرت تنهيدة حزن وأسف، وقالت مُشفِقةً: "شكلك المسحور مختلف عن أشكال الآخرين أيها الصبي المسكين. إنه شكل يستحيل تغييره بأي سحر معروف للجنيات أو سَحَرة اليوكوهوتو. كانت العملاقة الشريرة تدرك جيِّدًا، حين أعطتك شكل القرد الأخضر، أن هذا الشكل يجب أن يظل موجودًا في أرض أوز للأبد".

سحب واتي تنهيدة عميقة من صدره، وقال بشجاعة: "حسنًا... هذا بالتأكيد أسوأ حظ قابلته في حياتي. لكن إذا كان لا يمكنكم مساعدتي، فلا مفرَّ من تَحمُّل الوضع الحالي. هذا هو المقدَّر لي. صحيح أنني لا أحب كوني قردًا، لكن ما فائدة مناطحة قدري".

شعر الجميع بالأسف عليه، وسألت دورثي بقلق بالغ الأميرة أوزما: "هل يمكن للمشعوذة الطيبة جلينـدا أن تنقذه؟"، ردَّت: "لا... قدرات جلينـدا في التَّحوُّلات ليست أقوى من قدراتي. لقد درست تلك الحالات في المكتبة الملكية، ووجدت أن حاله واتي لا يمكن لأي قوى التعامل معها على الإطلاق. ربما يمكن نقل أو تبديل شكله مع شخص آخر، هذا صحيح ومُمكِن. لكننا لا يمكن التخلص من شكل القرد الأخضر بأي طريقة سحرية معروفة لعلوم السحر".

أنصت خيال المآتة جيدًا لكلام أوزما، وقال: "إذًا... لماذا لا تنقلين شكل القرد إلى شخص آخر؟"، تعجَّبَت أوزما وسألته: "ومَن يرضي بهذا التبديل؟"، وأكملت بجدية: "إذا أجبرنا شخصًا ما على يصبح قردًا أخضر، فسنكون قساةً، تمامًا مثل السيدة يووب الشريرة. ثم ما فائدة التبديل؟ افتَرِض، مجرَّد فرض، أن سحر التبديل نفع ونجح، وحوَّلنا دودو إلى قرد أخضر، مثلًا، فما سيحدث أنه في نفس اللحظة سيتحوَّل واتي إلى كلب أسود صغير".

توسَّل دودو وقال محتجًّا: "أبعديني عن تعاويذكم السحرية، لو سمحت. أنا لا أريد أن أكون قردًا أخضر؟"، ردَّ واتي: "وأنا لا أريد أن أكون كلبًا. قرد أخضر أفضل حالًا من كلب"، ردَّ دودو: "هذا رأيٌ يخصُّك وحدك".

قال خيال المآتة فجأة كأن طرأت على ذهنه فكرة: "تمهَّلا... عندي فكرة جديدة. عقلي يعمل بكفاءة اليوم. يبدو أنني حينما استعدت هيئتي، دماغي استعادت عافيتها. لماذا لا تحوِّلين دودو إلى هيئة وشكل واتي الرَّحَّال، ثم نقوم بتبديل شكلهم؟ في هذه الحالة، الكلب يصبح قردًا أخضر، والقرد يصبح شكلَ شابٍّ، وهو واتي الرَّحَّال؟".

صاحت چينچر: "يا لها من فكرة مبهرة؟".

قال دودو: "اتركوني بعيدًا عن مشاكلكم... لن أفعل ذلك".

توسَّلَت چينچر للكلب: "ألا تَوَدُّ الحصول على شكل قرد أخضر، إنه لون جميل، ألا ترى؟ افعَلْ ذلك لصالح ذلك الصبي المسكين ليستعيد شكله البشري الأصلي".

أجاب دودو بصرامة: "لا"، وأيَّدَت دورثي موقفه، وقالت: "أنا أيضًا لا تعجبني تلك الخطة. فحينها لن يكون عندي كلبي العزيز الأسود"، أصرَّت چينچر محاوِلةً إقناعهم لأنها أحبَّت واتي ورغبت في مساعدته، وقالت: "لكنك سيصبح لديك قرد أخضر مكانه"، قالت دورثي: "لكني لا أريد قردًا أخضر".

تدخَّل واتي بحزن وقال: "أرجوكم كفى كلامًا حول ذلك الأمر، فأنا لن أقوم به. إنه حظي المؤسف، وهو يخصُّني وحدي، من الأفضل أن أتحمَّله وحدي على أن أحرم الأميرة دورثي من كلبها، أو أحرم كلبها من شكله الطبيعي. دعنا لا نفترض أشياء لا يمكن أن تحدث. ربما جلالتها قد لا تكون قادرة على تحويل أي شخص آخر إلى شكل واتي الرَّحَّال من الأساس".

قالت أوزما: "نعم. يمكنني فعل ذلك، إنه ضمن قدراتي. لكن واتي مُحِقٌّ تمامًا. ليس هناك داعٍ أو مبرِّر لكي يتحمَّل شخص آخر أو حتى كلب شكل لا يخصُّه أو لا يناسبه. كما أنه من المؤكَّد أنه من أجل أن يستعيد الصبي شكله البشري المناسب الأصلي، فإننا ملزَمون بإعطاء

شكل القرد الأخضر لشخص آخر، وهذا الشخص سيضطر لارتدائه إلى الأبد".

فكَّرَت دورثي ثم قالت: "دعونا نتدبَّر الأمر قليلًا، لماذا لا نبحث عن شخصٍ ما في أرض أوز على استعداد وعن طيب خاطر ليصبح قردًا أخضر؟ أنا أرى أن القرد مخلوق حيوي ونشيط، يمكنه التسلق ويقوم بالكثير من الأشياء المدهشة. واللون الأخضر ليس لونًا سيئًا مطلقًا. إنه يعطيه مظهرًا غير عادي ومميَّزًا".

قال واتي: "أنا لن أطلب من أي شخص أن يتَّخِذ ذلك الشكل المروع. هذا لن يكون عدلًا، وأنتِ تعرفين ذلك. لقد أمضيتُ في هذا الشكل بعضَ الوقت، والآن أستطيع أن أقول بكل ثقة إن هذا الشكل لا يعجبني، ولا أريد لأي شخص أن يتحمل تلك التجربة. شيء مُخجِلٌ أن تكون حيوانًا في حين أنه حقٌّ مُكتَسَب لك منذ الولادة أن تكون إنسانًا؛ لذلك أنا متأكِّد من أنه سيكون أمرًا شريرًا أن تطلب من أي شخص آخر أن يحل مكاني".

ساد الصمت فيما بينهم، فقد أدركوا أن ما قاله هو الصدق. كادت دوروثي أن تبكي مشفقة عليه، وجه أوزما الجميل أصبح حزينًا ومضطربًا، وفرك خيال المآتة رأسه المحشوَّ وربَّت عليها في محاولة لجعله يفكر بشكل أفضل، بينما دخل الحطاب الصفيح إحدى غرف المنزل وشرع في تزييت مفاصله الصفيح حتى لا يزعج أصدقائه ببكائه؛ فالبكاء يجعل الصفيح عُرضةً للصدأ، شعر الإمبراطور بالفخر بجسده المصقول للغاية، وهو الآن حريص عليه على نحو مضاعف لأنه حُرم منه لفترة من الوقت.

سمعت بوليكروم خطاب أوزما وفهمت جيِّدًا موقف واتي المؤسف. لكن ابنة قوس قزح، حتى أثناء الرقص، كان بإمكانها التفكير بوضوح شديد، وفجأة حلَّت المشكلة بأفضل طريقة مُمكِنة. قالت:

"جلالة الأميرة، كل هذه المشاكل سببها شرُّ العملاقة السيدة يووب. ومع ذلك، حتى الآن تلك المرأة القاسية تعيش في قلعتها المنعزلة، مستمتعة بفكرة أنها وضعت هذا السحر الرهيب على واتي الرَّحَّال. أراهن أنها تضحك سخرية واستهزاء على يأسنا لأننا لا نجد طريقة للتَّخلُّص من شكل القرد الأخضر. حسنًا، لا نرغب في التخلُّص منه. دَعي المرأة التي صنعت هذا الشكل ترتديه بنفسها كعقاب عادل لها وعلى شرورها. أنا متأكِّدة من أن قوتك السحرية، يمكن أن تمنح السيدة يووب شكل واتي الرَّحَّال -حتى وهي بعيدة عنَّا- وبعد ذلك سيكون من الممكن تبادل الشكلين. ستصبح السيدة يووب هي القرد الأخضر، وسوف يستعيد واتي شكله مرة أخرى".

أشرق وجه أوزما وهي تستمع إلى هذا الاقتراح الذكي.

قالت: "شكرًا لك بوليكروم. صحيح تلك المهمة التي تقترحينها ليست سهلة كما تقولينها، لكنني سأبذل قصارى جهدي، وربما أنجح".

الفصل الرابع عشر

القرد الأخضر

انتقل الجميع إلى الفناء الخلفي لمنزل مزرعة چينچر، وبأوامر من الأميرة أوزما، وضعت چينچر إناءً كبيرًا مليئًا حتى منتصفه بالماء فوق موقد نيران مبنيٍّ خصِّيصًا لطقوس سحرية توشك أن تبدأ. وقفت حاكمة أوز أمام إناء الماء يغلي بينما نيران الموقد تزداد اشتعالًا. شاهدها الآخرون صامته مهيبة استعدادًا لتنفيذ تعويذة سحرية مهمَّة وخطيرة، فتراجعوا للخلف حتى لا يقاطعوا إجراءات أوزما.

حين تصاعدت فقاقيع الغليان من الإناء، ألقت أوزما محتويات كيسين صغيرين أخرجتهما من جيب سري مخفي في فستانها،

كانت محتويات الكيسين مساحيق كيمائية خاصة لوَّنَت الماء بلون فضي مع استمرار أوزما بتقليب المزيج في الإناء بعصا خشبية من جذع شجرة من حقل كعك الكريمة.

بعد حوالي دقيقة من التقليب المستمر، سكَبَت بعضًا من المزيج الغامض على طبق عريض وضعته چينچر على طاولة خشبية. فور سكب المزيج بدأ يبرد ويتجمَّد حتى أصبح الطبق العريض أملسَ فضِّيًّا يعكس الأشياء كأنه مرآة.

بينما كان الرفاق يتجمَّعون حول الطاولة الخشبية، يُحفِّزهم الفضول ومنتبهين بشغف، حتى دوروثي حملت دودو الصغير بين ذراعيها حتى يتمكَّن من رؤية ما تعكسه المرآة، لوَّحَت أوزما بعصاها فوق السطح اللامع.

في الحال، عكست المرآة صورة المقصورة الداخلية لقلعة يووب، حيث جلست العملاقة السيدة يووب، ترتدي أفضل أزيائها الحريرية المطرزة، تعمل على نسج مئزر دانتيل جديد بدلًا من الذي فقدته.

بدت ملامح القلق على العملاقة مخيفة نوعًا ما، كأن لديها إحساسًا خافتًا أن أحدًا يراقبها، فقد كانت تتلفَّت للخلف وحول نفسها عدَّة مرات، تتوقَّع خطرًا قادمًا من مصدر مجهول. ربما غريزة اليوكوهوتو أنذرتها بشكل غامض.

رأى واتي أنها نجحت في الخروج من محبسها في غرفة نومها، بالتأكيد استعانت بأدوات سحرية تخبئهم في مكانٍ ما، بعدما هرب سجناؤها المتحوِّلون. هي الآن تجلس في القاعة الكبيرة كما كانت تفعل دائمًا. لاحظ واتي تعبير قسوة مخيفًا على وجهها، كأنها تخطِّط للانتقام ممَّن فعلوا بها ذلك، حالما تنتهي من صناعة مئزر سحري جديد.

أسرعت أوزما بتمرير عصاها السحرية الفضية على الطبق الفضي الذي يعكس صورتها وتمتمت ببعض الكلمات، وفي الحال شاهدت الصحبة تحوُّلًا يصيب العملاقة، انكمش حجمها وتغيَّر شكلها إلى شكل صبي، وهو واتي الرَّحَّال.

في قلعة يووب، جلست هيئة واتي الرَّحَّال يمسك بتطريز المئزر الجديد، شعرت بتحوُّلٍ يصيبها، فزعت ورمت ما بيدها ونهضت لتنظر في مرآة كبيرة مُعلَّقة على إحدي حوائط قلعتها، فوجئت أنها تنظر إلى هيئة واتي الرَّحَّال، أدركَت أن هناك من يلقي عليها سحرًا، انتابها الغضب وخبطت رأسها في المرآة، فانكسرت شظايا تناثرت في أرجاء المكان.

لم تضيع أوزما أي وقت، قد يعطي العملاقة مساحة من الوقت تقيم دفاعها ضدَّ ما يحدث لها، ولوَّحَت بعصاها السحرية الملكية الفضية مرة ثانية بطريقة أخرى وتمتمت بكلمات أخرى لم يسمعها الأصدقاء بوضوح، فقد تراجعوا بعد أن شاهدوا نوبة غضب العملاقة السابقة وتحطيمها لمرآة قلعتها، لكنهم لاحظوا أن أوزما تضع يدها الأخرى أثناء إلقاء تعويذتها الثانية على كتف القرد الأخضر.

لم تَمضِ ثوانٍ حتى تحوَّل القرد الأخضر الواقف بجانب أوزما إلى شكل صبي من مقاطعة الجليجان، يعرفونه باسم واتي الرَّحَّال.

بالطبع كانت مفاجأة مُفرِحَة لهم، واقتربوا يتحسَّسون ويربِّتون على صديقهم العائد من تحوُّلٍ مخيف، وحين اقتربوا شاهدوا الطبق الفضي يعكس صورة قرد أخضر يتقافز غضبًا بين جَنَبات قاعة قلعة يووب، ثم تلاشت الصورة بالتدريج حتى أصبحت المرآة تعكس الوجوه التي تتطلع إليها.

انتهت الطقوس السحرية بانتصار الأميرة الجنية أوزما على العملاقة ساحرة اليوكوهوتو السيدة يووب. بعد التهاني بعودة صديقهم، قالت دورثي: "ما الذي سيحدث لها؟"، ردَّت أوزما: "ستظل بشكل القرد الأخضر إلى الأبد. وبهذه الهيئة ستصبح عاجزة عن القيام بفنون السحر مها كانت. لا أظن أنها ستكون تعيسة، ستنتهي نوبة غضبها، وبما أنها تعيش بمفردها في القلعة، ستتعوَّد على الشكل الجديد".

قالت دورثي: "على أي حال، هذا عقاب عادل لها"، ووافقها الجميع.

قال الحطاب الصفيح رقيق القلب بتردُّد: "لكن... اعتادت السيدة يووب أن تحصل على طعامها عن طريق السحر... ماذا سيحدث لها في هذه الحالة؟ بالتأكيد ستعاني من الجوع"، ردَّ خيال المآتة: "لا أظن.. ستأكل كما يأكل بقية القرود. حتى في هيئة قرد أخضر هي ذكية وماهرة. أنا متأكد أن ذكاءها سيرشدها لطرق كثيرة لتناول الطعام".

قالت دورثي: "لا تشغل بالك بها. هي لم تقلق عليك عندما حوَّلتكَ. لقد حوَّلَتكَ لتسليتها فقط، حالتها ليست بالسوء الذي تظنه، ومثل الحالة التي سجنت فيها واتي الرَّجَّال المسكين. إنها لن تموت من الجوع في أرض أوز. لا أحد يموت من الجوع في هذه الأرض الخيالية. وإذا كانت ستعاني من الجوع فهذا عقاب لها على الأشياء الشريرة التي فعلتها، وهذا ما تستحقُّه. دعونا ننسى تلك السيدة المقيتة، التي بالرغم من امتلاكها سحر اليوكوهوتو، إلا أن صديقتنا الجنية استطاعت كسر تعاويذها السحرية وهزمتها".

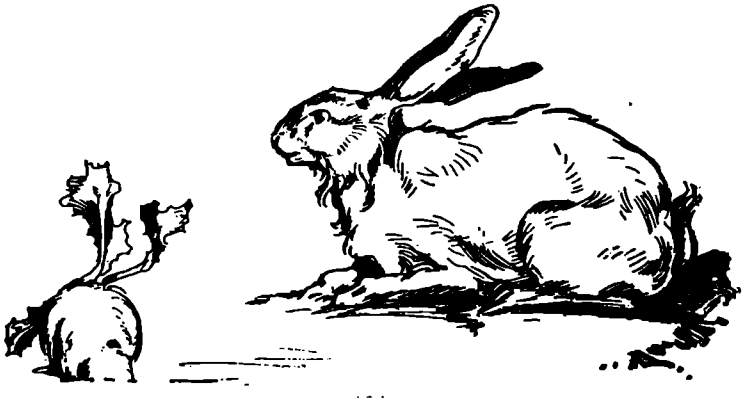

الفصل الخامس عشر

رَجُلٌ من صفيح

عبَّر واتي الرَّحَّال عن امتنانه العميق للأميرة للجهود التي بذلتها لتحريره من التعويذة السحرية الشريرة، ووعدها أن يُخلص ويُوقر ويحترم ويدافع عن حاكمة أرض أوز ويكون أحد أكثر رعاياها المخلصين للأبد. من تلك المحادثة القصيرة اكتشفت أوزما ودورثي أنه يملك الكثير من الصفات الجيدة، متواضع وذكي ومؤدب. قالت أوزما: "أنا أدعوك لزيارة القصر الملكي في مدينة الزمرد، متى تشاء ووقتما ترغب! وهناك سأعرفك على صبيَّيْن لطيفين قد يكونان أصدقاء لك: أوجو وبرعم باهر"، ردَّ واتي بأدب: "شكرًا لك يا سموَّ الأميرة".

ثـم اسـتدارت ووجَّهَـت كلامهـا للحطـاب الصفيـح: "مـا هـي خططـك المسـتقبلية يـا إمبراطـور الوينكلـز؟ هـل سـتكمل البحـث عـن نامـي نـام وتتزوجهـا، أم سـتتخلى عـن المهمـة وترجـع إلـى مدينـة الزمـرد وقلعتـك الصفيـح الملكيـة؟".

أصبـح الحطـاب الصفيـح لامعًـا مصقـولًا ومفاصلـه مُزيَّتـة بأفضـل مـا يكـون. لـم يتأخَّـر فـي الـرد عليهـا، كأنـه كان قـد جهَّـز الإجابـة مـن فتـرة: "حسـنًا... لا أرى أي مانـع لاسـتكمال البحـث عـن نامـي نـام. وإذا كنـتُ صادقًـا فـي الـزواج منهـا، قبـل التَّحـوُّل المسـحور، فمـا زلـتُ صادقًـا فـي رغبتـي الـزواج منهـا، بعـد أن زال التحـوُّل والسـحر، ورجعـتُ أنـا الحطـاب الصفيـح، إمبراطـور الوينكلـز، مـا زلـتُ علـى وعـدي لأجعلهـا إمبراطـورة الوينكلـز، حيـن نتـزوج. أليـس ذلـك صحيحًـا يـا صديقـي خيـال المآتـة؟"، أجـاب رفيقـه وصديقـه: "بالطبـع... لا أحـد يسـتطيع معارضـة هـذا المنطق".

تطلَّعَـت دورثـي إليـه وقالـت: "أنـا آسـفة لقـول ذلـك. لكنـك لا تحـب نامـي نـام"، ردَّ الحطـاب الصفيـح: "هـذا بسـبب أننـي لا أحـب أحـدًا. لكـن... إذا لـم أكـن أحـب زوجتـي... فعلـى أقـل تقديـر أسـتطيع أن أكـون طيِّبًـا ولطيفًـا معهـا... معظـم الأزواج لا يسـتطيعون فعـل ذلـك". اسـتمرت دورثـي فـي النظـر لـه بعمـق: "لكـن هـل تظـنُّ أن نامـي نـام مـا زالـت تحبُّـك، بعـد كل تلـك السـنوات؟".

"أنـا واثـق أنهـا مـا زالـت تحبُّنـي، وهـذا هـو السـبب الـذي يجعلنـي أريـد الذهـاب لهـا لأجعلهـا سـعيدة. واتـي الرَّجَّـال يظـنُّ أنـه يجـب علـى مكافأتهـا علـى إخلاصهـا بعدمـا فقَـدَت جسـدى مـن لحـم ودم واسـتبدلته بجسـد مـن الصفيـح. مـاذا تظنيـن يـا أوزمـا؟".

"أنـا لا أعـرف نامـي نـام. ولا أسـتطيع معرفـة مـا تحتـاج لتكـون سـعيدة. لكـن لا ضيـر إطلاقًـا مـن الذهـاب لهـا وسـؤالها مـا إذا كانـت تريـد الـزواج منـك أم لا. لـو وافَقَـت، فسـتمنحها زفافًـا كبيـرًا فـي مدينـة الزمـرد وتسـكن معـك فـي قلعـة الصفيـح وتصبـح إمبراطـورة الوينكلـز، حينهـا سـتصبح واحـدة مـن أهـم سـيدات المجتمـع فـي أوز".

هكذا تمَّ الاستقرار على أن يستكمل الحطَّابُ الصفيح رحلته، وأن يصطحب معه واتي الرَّحَّال وخيال المآتة، كما في السابق. قرَّرَت بوليكروم أن تنضمَّ لهم، وهذا ما أدهش الجميع.

قالت بوليكروم للأميرة أوزما: "أنا لا أريد أن أكون محبوسة في مكان ما، حتى لو كان ذلك المكان هو القصر الملكي، ففي اللحظة التي أقابل فيها قوس قزح، سأقفز وأركب وأرقص عليه ليوصلني إلى قصر السماء، حيث أخواتي الجنيات ينتظرنني، ووالدي بالتأكيد غاضب ومتضايق لأني أتوه كثيرًا على الأرض. فرصتي في مقابلة قوس قزح أسرع وأفضل حين أسافر مع الصحبة عبر مقاطعة الموشكين أكثر من جلوسي أنتظر في القصر الملكي بمدينة الزمرد؛ لذا سأذهب مع الحطاب الصفيح في سعيه للعثور على نامي نام وأساعده في خطب ودِّها".

أرادت دورثي الذهاب معهم، لكن بما أن الحطاب الصفيح لم يَدعُها للانضمام، شعرت أنها ستكون متطفِّلةً لو طلبت منه ذلك. لمَّحَت لرغبتها في الذهاب، ولكنها شعرت أنه تجاهل التلميح.

كانت تعرف جيدًا أنه أمر حسَّاس للغاية أن يطلب شخص ما الزواج من فتاة، مهما كانت تحبُّه، وربما لا يرغب الحطاب الصفيح أن يكون موضِعَ نظرات تحدِّق فيه وتنتظر ردَّ فِعلٍ ما، حينما يعثر على فتاته الرقيقة، نامي نام.

اكتفت دورثي بفكرة أنها ستساعد أوزما في إعداد وليمة زفاف رائعة، تليها جولة من الحفلات والاحتفالات عندما يصل إمبراطور الوينكلز إلى مدينة الزمرد مع عروسه.

عرضت أوزما عليهم أن تصحبهم في الكارتَّة الحمراء إلى مكان قريب من غابة الموشكين الكبيرة لتختصر المسافة عليهم، ولحسن الحظ كانت الكارتَّة الملكية الحمراء كبيرة كفاية لتسعهم جميعًا.

ودَّع الجميع چينچر، التي أعطت واتي الرَّحَّال سلَّةً مليئة بكعك الكريمة وحلوى الشكولاتة المحشوة بالكراميل والكثير من بسكويت البندق.

أمرت أوزما الحصان الخشبي بالانطلاق، فاندفع بخفَّةٍ عبر السهول، إلى أن وصل إلى الطريق المرصوف بالطوب الأصفر، سار عليه لفترة حتى قادهم الطريق إلى غابة كثيفة، عندها أصبح الطريق ضيقًا والمسار لا يكفي المركبة الملكية أن تتقدَّم عليه مسافة أكبر.

عندها انفصل ركَّاب الكارتَّة الملكية الحمراء، فبينما أكمل الحطاب الصفيح وخيال المآتة وواتي الرحال وبوليكروم مسيرتهم لداخل الغابة، عادت أوزما مع دورثي وكلبها دودو إلى مدينة الزمرد في الكارته الملكية.

شقَّت صحبة المسافرين طريقها داخل الغابة، وبرغم تشابك الأشجار، إلَّا أن ممرَّات ومسارات الغابة معروفة ومألوفة لكلٍّ من الحطاب الصفيح وخيال المآتة، لدرجة أنهما شعرا بالأمان والراحة كأنهما عادا لبيتهما القديم.

قال نيك الساطور، الإمبراطور الصفيح، متحدِّثًا بصوتٍ عالٍ كأنه مرشِدٌ سياحي:" أنا وُلِدتُ في هذه الغابة. هنا سحَرَت الساحرة الشريرة بلطتي، وهنا فقَدتُ أجزاء مختلفة من جسدي من اللحم والدم التي تمَّ استبدالها بالكامل بالصفيح. هذه غابة كبيرة حقًّا. هناك في هذا الاتجاه كانت تعيش نامي نام مع الساحرة الشريرة من الشرق. وهناك على الطرف الآخر يقع كوخ صديقي كليب، السمكري الشهير، الذي صنع جسدي في تلك الهيئة البديعة".

جاهر واتي بإعجاب: "هو سمكري ماهر حقًّا، أشهد بذلك من أول مرة رأيتك فيها"، قال الحطاب الصفيح بتواضُعٍ: "إنه يصنع أشياء مدهشة في ورشته"، ردَّ واتي: "أنا على أحر من الجمر لمقابلته".

قال خيال المآتة بنبرة غيرة: "ألا تريد أن ترى المهارة الحقَّة؟ يجب عليك زيارة المزارع الموشكين الذي صنعني أول مرَّة. اسمحوا لي بأن أبدي رأيًا فيما تقولون. أنا لا أقول إن الحطاب الصفيح ليس مصنوعًا بدقَّة وإحكام، بل أقول إن أي عين ترى الجمال والإبداع تدرك على الفور أن خيال المآتة مصنوع ببهاء ووسامة أكثر من أي مخلوق آخر، حتى لو كان من صفيح".

صاح الحطاب الصفيح: "أنت طري ومهلهل"، ردَّ خيال المآتة: "وأنت صلب ومُتَيَبِّس".

وهذه كانت أقرب حالة جدال وخلاف تنشأ بين الصديقين منذ أن التقيا. ضحكت بوليكروم على منظرهما وهما يتشاحنان على أشياء تافهة. حاول واتي أن يُغيِّر الموضوع، دون جدوى.

في الليل، عسكرت الصحبة تحت شجرة ضخمة غليظة الجذور، تعشَّى واتي من كعك الكريمة وعرض بعضا منه على بوليكروم، ولكنها كانت تُفضِّل أنواعًا أخرى من الطعام. بحثت عن الندى المنزلق على أوراق الشجر، والذي يتوافر بكثرة في هذه الغابة الكثيفة. وجمعت منه بضع قطرات ورشفته على مهل، وبهذا اكتفت بوجبة عشاء.

وأثناء عودتها للمعسكر قابلت خيال المآتة، الذي قال لها: "تمامًا في هذه البقعة قابَلتُ أنا ودورثي الحطاب الصفيح، الذي كان يئنُّ لأن مفاصله متيبِّسة بسبب الصدأ الشديد. بعدما زيَّتنا مفاصله وأزَلنا الصدأ، رجع جديدًا كما كان، ورافقنا إلى مدينة الزمرد".

استرجع الحطاب الصفيح الذكريات، وقال: "كانت تجربة سيئة للغاية... فاجأتني وحاصرتني عاصفة مطرية بينما أقطع الأخشاب، وقبل أن أدرك الخطر المحدق بي، تسلَّل الصدأ لكلِّ مفصل من جسدي، وأجبره على التَّيبُّس والتَّصلُّب، وبِتُّ لا أستطيع الحركة. وهكذا وقفتُ، والبلطة في يدي، لأيام أو لأسابيع أو لشهور! لا أعرف كم مرَّ عليَّ من الوقت بالضبط، من طول المدة. أخيرًا جاءت دورثي وأنقذتني. انظري

هـذه هـي الشـجرة التـي كنـت أقطـع أخشـابها فـي الوقـت الـذي أصـاب الصـدأ جسـدي".

قال واتي: "إذًا... أنتَ لست ببعيد عن منزلك القديم. أليس كذلك".

"نعـم. إنـه هنـاك. هـذا الكـوخ الصغيـر هنـاك. لكننـا لسـنا فـي حاجـة لزيارتـه، مَهمَّتنـا هـي نامـي نـام، ومنزلهـا علـى مبعـدة مـن هنـا، علـى يسـارنا. هيـا نذهـب إلـى هنـاك".

"ألـم تَقُـل إنهـا كانـت تعيـش مـع السـاحرة الشـريرة، التـي كانـت تسـتعبدها؟".

"نعـم قلـتُ. هـي كانـت تعيـش هنـاك، الآن هـي لـم تَعُـد تعيـش معها. ألـم أقُـل لـك أيضًـا إن السـاحرة الشـريرة دمَّرهـا منـزل دورثـي الطائـر، الذي سـقط عليهـا؛ لذلـك أصبحـت نامـي نـام تعيـش بمفردهـا. بالطبـع أنـا لـم أرهـا منـذ حادثـة هـلاك السـاحرة الشـريرة، فقـد كنـتُ مُنعـزِلًا أعانـي الصـدأ بـدون حـراك فـي الغابـة، وقـد مـرَّت علـيَّ فتـرة طويلـة هنـاك حتـى جـاءت دورثـي وخيـال المآتـة. ولكنـي أتوقَّـع أن الفتـاة المسـكينة شـعرت بسـعادة غامـرة حيـن تحـرَّرَت مـن سـطوة واسـتعباد السـاحرة الشـريرة مـن الشـرق، كمـا حـدث مـع كل أهالـي وسـكان الموشـكين".

"حسـنًا... هيـا يـا جلالـة الإمبراطـور، هيـا نذهـب لتلـك الفتـاة المسـكينة نامـي نـام، تفضَّـل، قُدنـا إلـى الطريـق بمـا أنَّـكَ تعـرف المـكان جيـدًا".

هكـذا تَقـدَّم الحطـاب الصفيـح عبـر أكثـر منطقـة فـي الغابـة كثافـة وأغصـان متشـابكة، وتبعتـه بقيـة الصحبـة. كان الضـوء خافتًـا هنـا، فبالإضافـة إلـى أن أفـرُع الأشـجار متشـابكة، وهـي لـم تكـن مشـكلة للحطـاب الصفيـح، الـذي يحتـرف تقطيـع الأخشـاب ببلطتـه الحـادة، إلَّا أن أوراق الأشـجار عريضـة فـي هـذه المنطقـة. بعـد سـيرهم مسـافة معقولـة، توقَّـف الإمبراطـور فجـأة وصـاح: "الرحمـة... يـا إلـه السـماوات".

اصطـدم خيـال المآتـة بـه، فقـد كان وراءه مباشـرة، إلا أنـه لـم يتـأذَّ مـن الجسـد الصفيـح، ورجـع واقفًـا، وقـال بدهشـة: "هـه... مـاذا حصـل؟"،

وتجمَّـد فـي مكانـه، حتـى انتبـه واتـي الرَّحَّـال للمشـهد الـذي جعلهـم يتسـمَّرون، وعلـى الفـور تجمَّـد فـي مكانـه أيضًـا والدهشـة عقَـدَت لسـانه.

ضحكـت بوليكـروم علـى منظـر الثلاثـة متجمِّديـن مندهشـين، وحيـن نظـرت لمـا ينظـرون، اكتشـفت لمـاذا عقـدت الدهشـة ألسـنتهم، فـرأت أمامهـا رجـلًا مـن صفيـح يماثـل تمامًـا، بـل هـو نسـخة مـن الحطـاب الصفيـح صديقنـا الـذي نعرفـه بإمبراطـور الوينكلـز، نفـس الحجـم ونفـس الهيئـة، ومفصَّلاتـه مُركَّبـة بنفـس الطريقـة، ومصنـوع مـن الصفيـح مـن قمـة رأسـه إلـى أخمـص قدمـه.

هـذا الرجـل مـن الصفيـح وقـف بـلا حـراك وفكُّـه الصفيـح مفتـوح علـى آخـره، وعينـه متَّسِـعة كفناجيـن القهـوة، كأنـه ينظـر فـي مـرآة وفيهـا تظهـر صـورة الحطـاب الصفيـح، كانـوا متماثليـن فـي كل شـيء. ليـس كل شـيء فـي الحقيقـة، ففـي حيـن يقبـض الحطـاب الصفيـح علـى بلطـة فـي يـده اليمنـى، قبـض الرجـل الصفيـح الـذي ظهـر أمامهـم علـى سـيف فـي يـده اليمنـى أيضًـا.

شـهق واتـي وقـال: "هـذا حلـم، هـو بالتأكيـد حلـم"، تابـع خيـال المآتة: "نعـم، هـو حلـم. ليـس مـن المعقـول وجـود اثنيـن 'حطـاب صفيـح". لـم تتوقَّـف بوليكـروم عـن الرقـص حولهـم وقالـت: "هـذا ليـس حطَّـاب صفيح. إنمـا هـو جنـدي صفيـح. ألا تـرى السـيف فـي يـده؟".

أخيـرًا، قـال الحطـاب الصفيـح بصـوت مرتعـش مـن التأثُّـر: "مَـن أنـت يا صديقـي؟"، ولكنـه لـم يتلـقَّ ردًّا. ضحكـت بوليكـروم وقالـت: "ألا تـرى أنـه صَـدِئ يـا صديقـي؟ إنـه صـدئ تمامًـا مثلمـا كنـتَ أنـتَ يومًـا مـا! هيـا يـا صديقـي الحطـاب الصفيـح. ناولنـي المزيتـة".

بصمـت ناولهـا المزيتـة، والتـي لا تفارقـه أبـدًا. فـي البدايـة مسـحت بوليكـروم علـى فكِّـه بالزيـت، ثـم بلُطـفٍ دهنـت باقـي وجهـه حتـى قـال: "هـذا يكفـي. شـكرًا... شـكرًا.. أنـا الآن أسـتطيع التكلـم. لكـن لـو سـمحتِ... هـل يمكـن أن تُزيِّتـي مفاصلـي أيضًـا.. فأنـا أريـد التحـرُّك".

تناول واتي المزيتة وقام بتلك المهمة، بينما الآخرون شرعوا في تحريك أطرافه بعدما دهنها واتي بطبقة زيت لتلين قليلًا ويستطيع تحريكها بحرية.

ظهرت السعادة على وجه الجندي الصفيح لأنه أخيرًا تحرَّر من تيبُّس الصدأ.

مكتبة الطفل

t.me/book4kid

إحدى قنوات

مكتبة

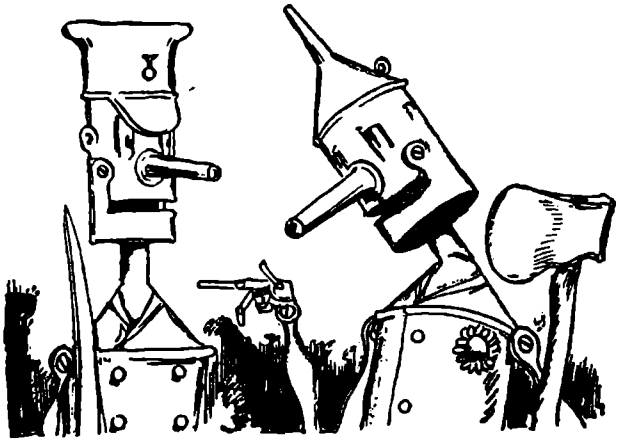

الفصل السادس عشر

كابتن فلاير

خطا الجندي الصفيح خطوات عسكرية على طول الممر أمامهم ذهابًا وإيابًا، يستعرض مشيته العسكرية، رافعًا سيفه على كتفه كما يفعل الحطاب الصفيح ببلطته تمامًا. سأل واتي، ولم تفارق الدهشة وجهه: "هل صحيح أنت جندي؟"، جاء الرد بلهجة عسكرية: "لقد كنتُ جنديًّا، لكني كنت سجينًا في الصدأ لفترة طويلة، لدرجة أنني لا أعرف بالضبط مَن أنا؟".

صـاح الحطـاب الصفيـح حائـرًا بصـوت ملـيء بالحـزن: "لكـن... يـا إلهـي... كيـف أصبحـت مصنوعًـا بالكامـل مـن الصفيـح"، أجـاب الجنـدي الصفيح: "هـذه قصـة محزنـة، وبائسـة جـدًّا. لقـد أحببـت فتـاة جميلـة مـن الموشـكين. كانـت تعيـش مـع السـاحرة الشـريرة. تلـك العجـوز الشـريرة لـم ترغـب أن أتـزوَّج تلـك الفتـاة، فسـحرت سـيفي، فشـرع يقطـع فـي أطرافـي، واحـدًا بعـد الآخـر. حينمـا فقـدتُ رِجـلًا ذهبـت إلـى سـمكري يُدعَـى كليـب، وصنـع لـي رجـلًا مـن الصفيـح. وحينمـا فقـدتُ ذراعًـا، صنـع لـي ذراعًـا مـن الصفيـح. وهكـذا، كلَّمـا أفقـد جـزءًا مـن جسـدي، يسـتبدلها السـمكري كليـب بطـرفٍ تَعويضـيٍّ آخـر مـن الصفيـح. حتـى أصبحـت كمـا تـرى. لكنـي لـم أكـن سـعيدًا، بالرغـم أن كليـب صنعنـي علـى أكمـل وجـه، فقـد امتلـك خبـرة فـي صُنـعِ رَجُـلٍ مـن صفيـح قبلـي".

" نعـم... كليـب هـو الـذي صنعنـي.. لكـن أخبِرنـي... مـا اسـم الفتـاة الموشـيكينية التـي أحببتهـا؟".

"اسمها نامي نام".

لـم يندهـش الحطـاب الصفيـح وحـده فقـط مـن تلـك الإجابـة، بـل كل الصحبـة أصابهـا الوجـوم والذهـول مـن تلك المصادفـات الغريبـة. بصعوبة اسـتعاد الحطـاب الصفيـح قليـلًا مـن الجـراءة ليسـأل: "وهـل بادَلَتـكَ نامي نـام مشـاعر الحـب؟".

قـال الجنـدي الصفيـح: "فـي البدايـة. لا... عندمـا قابلتهـا أول مـرة، هنـا فـي هـذه الغابـة، كانـت جالسـةً علـى جـذع شـجرة تنتحـب علـى حبيبهـا السـابق، حطَّـاب يُدعـى نيـك السـاطور".

قاطعه الحطاب الصفيح: "هذا أنا".

أكمـل الجنـدي الصفيـح: "أخبرتنـي، حيـن طلبـتُ ودَّهـا، أن حبيبهـا ألطـف مـن الجنـدي؛ فهـو مصنـوع بالكامـل مـن الصفيـح، ويبـرق ببهـاء وجمـال تحـت أشـعَّة الشـمس. قالـت إن الرجـل الصفيـح يبـدو أكثـر فنيـة وإبداعًـا مـن رَجُـلٍ عـادي مـن لحـم ودم، كمـا كنـتُ أنـا وقتهـا. لكنـي لـم

أيأس؛ لأن حبيبها اختفى ولم تعثر عليه. أخيرًا وافَقَت نامي نام على دعوتي لها، وأن نصبح أصدقاء.

كان ذلك حين اكتشفت تلك المرأة العجوز أني أتودَّد لها، واستشاطت غضبًا حين أبديتُ رغبتي في الزواج منها. فقامت بسحر سيفي. وكما قلت من قبل، هنا بدأت المشاكل تنهال عليَّ. وحين حصلتُ على أرجُلٍ من الصفيح بدأت ألاحظ اهتمام نامي نام بي. وحين حصلت على أذرع صفيح بدأت ألاحظ إعجاب نامي نام. وحين أصبحت كُلِّي مصنوعًا من الصفيح، أصبحتُ أشبه حبيبها السابق الحطاب الصفيح؛ وحينها وافقت على الزواج مني.

حدَّدنا ميعاد الزفاف، استغللنا فرصة أن الساحرة الشريرة اختفت منذ فترة، وأردنا الإسراع كي لا تفاجئنا الساحرة الشريرة وتعود وتفسد فرحتنا. ولكن الحظ عاندنا بأن اختار ذلك اليوم ليكون يوم عاصفة مطرية.

اعتقدت أن هذا الممر يختصر المسافة، وللأسف كان هذا الممرُّ غير مطروق، ولا يرتاده الناس إلَّا نادرًا، ارتحلت عبر الغابة في الموعد المحدَّد، وقطعت المسافة داخل الغابة بلهفة وشوق، ولم أنتبه أن الصدأ بسبب العاصفة المطرية سيسجنني داخل هيئتي ويحبسني واقفًا هكذا، حتى عثرتم عليَّ.

ظللت واقفًا متيبِّسًا هنا، وشيئًا فشيئًا فقدتُ القدرة على حساب الوقت، في حالتي تلك الميؤوس منها بدأت أؤلف الأغاني والشِّعر في رأسي بدون القدرة على التَّلفُّظ بها. لكن يأسي انتهى بقدومكم وإنقاذكم لي. لكم جزيل الشكر".

تنهد خيال المآتة تنهيدة طويلة وقال: "هذا رائع. أعتقد أن ذلك السمكري كليب هو سمكري رائع حقًّا. لقد استطاع صناعة رَجُلَين من الصفيح، متماثِلَيْن ومتطابقين، الأغرب أن كِلَا الرَّجُلَين وقعا في حب نفس الفتاة".

ردَّ الجندي الصفيح بحسرة: "بقدر ما هو بارع وماهر، إلَّا أنني أعترف أنني فقدتُ القدرة على الحب حينما فقدت قلبي الذي كان من لحم ودم. كليب أعطاني قلبًا من الصفيح، هذا مؤكَّد، لكنه لا يصلح لحب أي شيء. كل ما أستطيع الإحساس به، هو خشخشات الصفيح داخل تجويف صدري من الداخل. إنها أصوات بائسة تجعلني أتمنَّى ألَّا يكون لديَّ قلب على الإطلاق".

"ورغم ذلك، كنت في طريقك للزواج من نامي نام".

"حسنًا... لقد وعدتها. وأنا رجل شريف، أحافظ على الوفاء بوعودي دائمًا. أضِف لذلك أنني لا أريد أن أصيب الفتاة المسكينة بخيبة أمل، يكفي خيبة أملها في حبيبها الرجل الصفيح السابق".

نظر الحطاب الصفيح للجميع: "هذا ليس خطئي"، وأعاد حكاية الظروف المؤسفة التي حدثت له، وكيف أصابه الصدأ في الغابة لفترة طويلة، حتى أنقذته دورثي وخيال المآتة. وبعدها سافروا لمدينة الزمرد للمقابلة ساحر أوز العجيب ليطلب منه قلبًا.

قال الجندي الصفيح: "لو كان صحيحًا أنك عثرت على هذا القلب يا أستاذ، فسيسعدني أن تتزوج نامي نام بدلًا مني".

أجاب الحطاب الصفيح: "لو أحببتك أكثر مني يا أستاذ. لن أقف عقبةً في طريق زواجكم. لكي أكون صريحًا معك. أنا لم يَعُد باستطاعتي حُبُّ نامي نام كما كنت قبل أن أكون من صفيح".

تدخَّل واتي في الحوار: "رغم ذلك، فيجب على أحدكما الزواج من الفتاة المسكينة. وإذا كانت تحب الرجال الصفيح، فليس هناك فرصة لكثير من الخيارات فيما بينكم. لماذا لا نجري قرعة بينكم؟".

قال خيال المآتة: "هذا التصرف لن يكون مناسبًا"، أمَّا بوليكروم فقدَّمَت اقتراحًا آخر: "يجب أن تسمحوا للفتاة أن تختار بنفسها زوجًا مناسبًا لها. ينبغي عليكم أنتما الاثنين الذهاب لها وتركها تختار ماذا تريد وترغب وتحب. عندئذ هي ستكون سعيدة".

قال الجندي الصفيح: "أرى أن هذا الترتيب ترتيب عادل ومنصف".

قال الحطاب الصفيح: "أوافق"، ومدَّ يده يصافح توأمه ليبين له أن الأمر قد حُسم، ثم قال: "هل لي أن أسألك عن اسمك يا أستاذ؟".

ردَّ الجندي الصفيح: "قبل تلك الحادثة المشؤومة كنتُ أُدعَى كابتن فلاير، أما الآن فكلكم تنادونني بالجندي الصفيح".

"حسنًا يا كابتن، بما أننا متفقون على هذا الترتيب، هيا بنا إلى منزل نامي نام ونترك لها حرية الاختيار بيننا".

"حسنًا... إذا قابلنا الساحرة الشريرة، فيجب أن نقاتلها بقوة وشدة. أنت ببلطتك وأنا بسيفي".

قال خيال المآتة: "الساحرة هلَكَت"، بينما يسيرون إلى وجهتهم، حكى له كل ما حدث في أرض أوز أثناء تيبُّسه في الغابة، ففكَّر الجندي الصفيح وقال لنفسه: "يبدو أنني وقفت هناك وقتًا أكثر ممَّا كنتُ أتخيَّل".

الفصل السابع عشر

ورشة كليب

لـم تسـتغرق رحلتهـم إلـى منـزل نامـي نـام أكثـر مـن سـاعتين، لكـن عندمـا وصلـت الصحبـة اكتشـفت أن المنـزل مهجـور. مفصَّـلات البـاب تقريبًـا مخلوعـة، والبـاب نفسـه "ملخلـخ"، السـقف واقـع مـن عنـد مؤخـرة المنـزل، وداخـل الكـوخ مُغطًّى بالتـراب الكثيـف. حالـة البيـت تقـول إنـه لا أحـد يعيـش هنـا، وتؤكـد أيضًـا أنـه مهجـور منـذ زمـن طويـل.

وقـف الجميـع يتطلَّعـون بدهشـة وعجـب للمنـزل المتهـدم، وأخيـرًا قـال خيـال المآتـة: "أفتـرض أنـه بعـد هـلاك السـاحرة الشـريرة، أصبحـت نامـي نـام وحيـدةً، وذهبـت لمـكان آخـر لتعيـش فيـه"، أضـاف واتـي: "كيـف ظنَنَّـا أن فتـاة مسـكينة وحيـدة سـتعيش بمفردهـا فـي الغابـة!

بالتأكيد ذهبت للبحث عن رفقة؛ لذلك أعتقد أنها ذهبت حيث يعيش الناس لتعيش بجوارهم". اقترحت بوليكروم: "أو ربما هي ما زالت تبكي في مكان ما على عدم مجيء رجل من صفيح ليتزوجها".

قال خيال المآتة بجدية: "إذن... من الواضح أن مَهمَّتكما أيُّها الرجلان من الصفيح هي البحث عن نامي نام، وألَّا تتوقَّفا حتى تعثرا عليها".

قال الجندي الصفيح: "أنا لا أعرف أين أبحث عنها، فأنا تقريبًا غريب عن تلك المنطقة"، ردَّ الحطاب الصفيح: "أنا وُلِدتُ هنا... الغابة سكانها قليلون، عدا بالطبع الحيوانات البرية. ولا يخطر على بالي شخص هنا يمكن أن يهتم ويرعى نامي نام".

اقترحت بوليكروم: "لماذا لا نذهب إلى كليب ونسأله ماذا حدث للفتاة؟".

صدمهم الاقتراح لأنه اقتراح جيد ومنطقي للغاية؛ لذا، مرة ثانية، اخترقت الصحبة الغابة، وأرشدهم الحطاب الصفيح لطريق مباشر لمنزل كليب، فقد كان كلا الرجلين الصفيح يعرفان الطريق، لكن الحطاب الصفيح يعرف الطريق المختصر والمباشر.

عاش السمكري كليب عند أقصى أطراف الغابة، منزله يواجه السهول العريضة لمقاطعة الموشكين الواقعة ناحية الشرق. لكن عندما وصلت الصحبة هناك، لم تجده في المنزل.

كان منزلًا جميلًا، مَطليًّا بالأزرق الفاتح بزخارف بديعة من الأزرق الغامق، كان هناك سياج مطليٌّ بالأزرق الصافي حول فناء المنزل ويضمُّ داخلها مساحة فسيحة موضوع فيها بضع طاولات خشبية ومقاعد للاستراحة مُلوَّنة بالأزرق القاتم، المنزل كله يقع في الحد الفاصل ما بين الغابة والسهول الموشكينية العريضة.

سكن كليب في الجزء الأمامي من المنزل وأقام ورشته في الجزء الخلفي منها، كما امتدَّت مساحة عشبية زرقاء خلف المنزل؛ ممَّا أعطاه مساحة وفيرة ليعمل بحرية.

على الرغم من أنهم لم يجدوا السمكري، إلا أنهم شاهدوا دخانًا يتصاعد من مدخنة الورشة؛ ممَّا يدل على أنه سيعود قريبًا، فقال خيال المآتة بصوت مبتهج: "لعل نامي نام تعود بصحبته".

بينما ينتظرون، ذهب الحطاب الصفيح يتفقَّد الورشة بالخلف، فوجد باب الورشة غير مُغلَق، فدخل ونظر بفضول للغرفة التي صُنع فيها. لم تمر دقيقة وتبعه الأصدقاء يشاهدون ماذا يفعل، فقال لهم: "أشعر بالأُلفة مع هذا المكان كأنه بيتي. في المرة الأولى التي أتيت فيها إلى هنا، كنت أمسك برِجلي اليُمنى مقطوعة في يدي، دخلت إلى هنا أقفز برِجلٍ واحدة طول المسافة من الغابة للورشة. أتذكَّر أن كليب أخذها مني ووضعها في برميل، أعتقد أن هذا هو نفس البرميل، هناك... في الركن البعيد. وشرع على الفور في صناعة رِجلٍ من صفيح بنفس المقاسات والحجم. لقد عمل بمهارة وسرعة، وراقبته باهتمام شديد".

قال الجندي الصفيح: "تجربتي معه تشبه تجربتك إلى حدٍّ كبير. اعتدت أن أحضر أطرافي المبتورة من لحم ودم، بسبب سيفي المسحور. وكان كليب يضعهم أيضًا في ذلك البرميل".

سأل واتي: "هل معنى ذلك أن أطرافكم المقطوعة ما زالت في هذا البرميل؟".

ردَّ الحطاب الصفيح: "أعتقد ذلك. في أرض أوز، قطع الأطراف المبتورة لا تُهلك".

استعجب واتي: "لو كان هذا صحيحًا... إذن كيف هلكت الساحرة الشريرة؟".

أجاب خيال المآتة شارحًا: "لقد كانت عجوز وجافَّة، وذبلت من قبل أن تصبح أرض أوز أرضًا خيالية، قبل أن تلقي ملكة الجنيات سحرًا على هذه الأرض وتجعلها أرضًا خرافية خيالية. والشيء الوحيد الذي كان يبقيها على قيد الحياة هو سحرها وتعويذتها الخاصة. حينما وقع منزل دورثي عليها من السماء، منع بطريقة ما غير مقصودة أو متوقَّعة سِحرَها عنها، فتحوَّلت على الفور إلى تراب تذروه الرياح، لم يبقَ غير حذائها الذهبي. لا أعتقد أن الأجزاء المقطوعة من هذين الشابَّين

قـد هلكـت أو تدمَّـرَت. فـي الأغلـب هـي هنـاك فـي نفـس الحالـة عندمـا قطعهـا سـيف مسـحور أو بلطـة مسـحورة".

قـال الحطـاب الصفيـح: "هـذا لا يهـم... أجسـادنا مـن الصفيـح أكثـر جمـالًا ومتانـة. لا شـيء يمكنـه أذيَّتنـا". وافـق الجنـدي الصفيـح: "نعـم... أجسـادنا هـي الأفضـل... وهـي تكفينـا وترضينـا".

قال واتي: "إلا لو لم تنبعج أو تصدأ"، وحينها عبس الرجلان الصفيح.

قصاصـات مـن الصفيـح متناثـرة فـي أرجـاء أرضيـة الورشـة، مـن كل الأحجـام والأشـكال. كمـا يوجـد مطـارق وسـندان ومـكاوي لحـام وفـرن فحـم والعديـد مـن الأدوات الأخـرى التـي يسـتخدمها السـمكرية.

بُنيـت مقاعـد حجريـة ثابتـة بجانـب الحائـط الخلفـي للورشـة وأمامهـا طاولـة حجريـة طويلـة وعريضـة تقـع فـي منتصـف الغرفـة. فـي نهايـة الغرفـة. انتصبـت عـدة خزائـن خشـبية، تحـوي عـدة أشـياء متنوعـة.

بعدمـا اسـتعاد الحطـاب الصفيـح والجنـدي الصفيـح ذكرياتهـم، قـال واتـي: "أعتقـد أننـا ينبغـي علينـا انتظـار السـمكري كليـب فـي الاسـتراحة خـارج المنـزل. لا أعتقـد أنـه شـيء لطيـف أن يأتـي ويجدنـا محتلِّيـن منزلـه بتلـك الطريقـة".

وافـق خيـال المآتـة: "هـذا صحيـح"، وتنبَّـه الجميـع واسـتداروا يغـادرون الورشـة، إلَّا أنهـم سـمعوا الحطـاب الصفيـح: "انتظـروا دقيقـة!"، وبالفعـل وقف الجميع ينظرون إلى ما ينظر بدهشة بالغة.

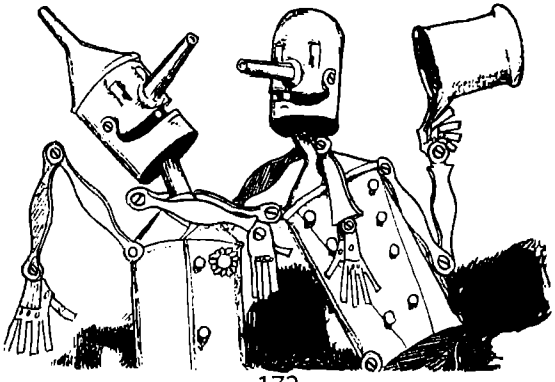

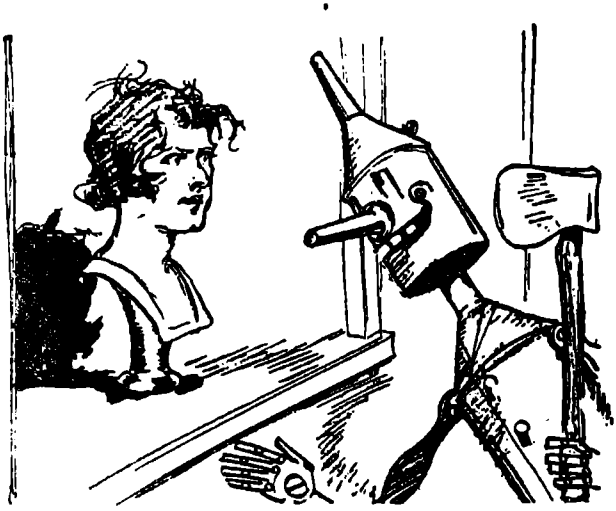

الفصل الثامن عشر

الحطاب الصفيح يكلم نفسه

لاحظ الحطاب الصفيح الخزائن الخشبية في الحائط الخلفي من الورشة، شعور غامض دفعه للتمهل واستكشاف تلك الخزانة الخشبية، والسعي لمعرفة ما فيها، ربما كان الفضول، لا يعرف. لكنه حين قال للصحبة أن تنتظر كان يتقدَّم نحوها ويفتح بابها.

كانت مرصوصةً بالأرفف، وعلى أحد تلك الأرفف في مستوى الذقن الصفيح للحطاب، وجد رأسَ شخص ما. كانت تواجه الحطاب

الصفيح تمامًا، وفي اللحظة التي فتح فيها بوابة الخزانة، وأصدرت صريرًا خافتًا، فتحت الرأس عينيها ببطء ونظرت له. لم يندهش الحطاب الصفيح ممَّا رأى؛ فهو معتاد على الغرائب والعجائب في أرض أوز، ولكن الطريف أنه لم يَجِن موعد اندهاشه، الذي كان ضخمًا مقارنة بكل ما حدث في تلك السفرة.

"يا إلهي... يهيَّأ لي أنني قابلتك في مكان ما في زمن ما... ولكني لا أتذكر".

"تلك ميزة عندك يا سيدي... فأنا لا أذكرك إطلاقًا ولا أعرفك".

"ما زال وجهك مألوفًا... اعذرني في السؤال.. هل كنتَ يومًا تمتلك جسدًا؟".

"نعم. ذات مرة. لكن ذلك منذ فترة طويلة، لدرجة أني لا أذكر متى.. أتظن أني وُلدت على هذه الشاكلة.. مجرَّد رأس... لا أعتقد يا سيدي أن رأسًا يُولد بدون جسد".

"بالطبع لا... لكن أخبرني كيف فقدت جسدك؟".

"حسنًا... أنا لا أتذكر التفاصيل بوضوح... يجب أن تسأل كليب بشأن ما حدث... بقدر ما هو غريب... ذاكرتي لم تَعُد على ما يُرام منذ انفصل رأسي عن جسدي... ما زلت أحتفظ بعقلي وذكائي على ما يرام... لكن الذاكرة خفتت بمرور الزمن... ذاكرتي لبعض الأحداث التي مررت بها سابقًا ضبابية تمامًا".

" منذ متى وأنت في هذه الخزانة؟".

"لا أعرف".

"ألك اسم؟".

"نعم... اسمي نيك الساطور، كنتُ حطَّابًا في الغابة، أقطع الأشجار للحطب".

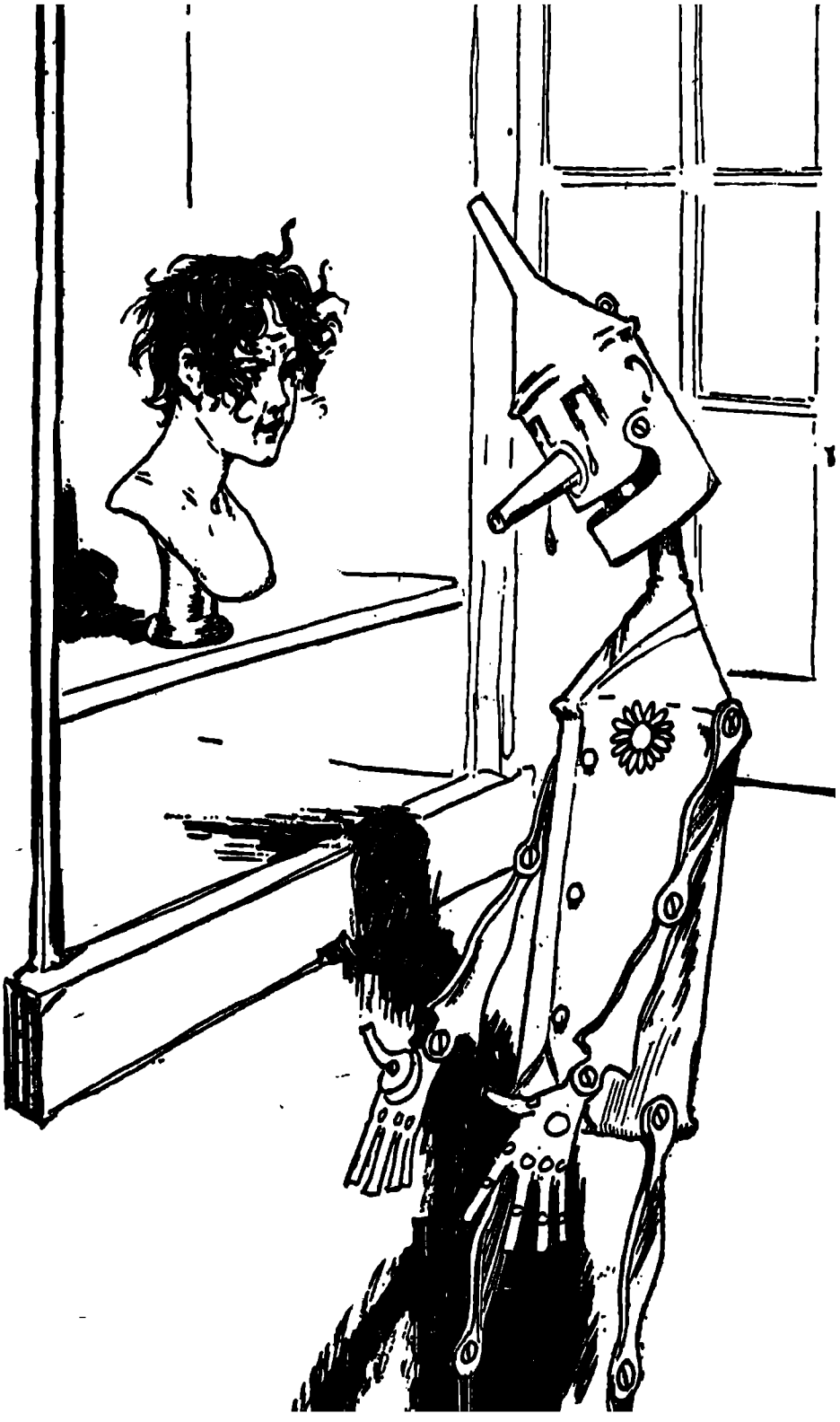

بهذه الإجابة ظهرت ملامح الدهشة على امبراطور الوينكلز وتلعثم في الرَّدِّ.

"يا إله السماوات... لو أنك فعلًا نيك الساطور... إذًا أنتَ أنا... أعني... أقصد أنا لستُ أنتَ... ربما أنا كنت أنتَ... لا أعرف بالتحديد العلاقة التي تجمعنا!".

"لا تسألني... بالنسبة لي... أنا متلهف لأكون على صِلة قرابة أو علاقة بأي شخص...حتى لو كان مثلك... لكن أنت من فئة معدنية، وفئتك ليس مثل فئتي... أنت مصنوع من الصفيح".

شعر الإمبراطور المسكين بالحيرة الشديدة، لدرجة أنه ظل يحدِّق في رأسه القديم في صمت لكثير من الوقت. ثم قال: "يجب أن أعترف أن مظهري لم يكن وسيمًا للغاية قبل تحوُّلي لأكون بالكامل من الصفيح... أنت وسيمٌ إلى حدٍّ ما... ينقصك قليل من تمشيط شعرك.. حينها ستكون جذَّابًا".

قال الرأس بسخط: "كيف تتوقَّع مني تمشيط شعري بدون ذراعي... أتذكر أنني كنت أُبقيه ناعمًا مفرودًا كل يوم... لكن بعدما فقدتُ جسدي... شَعري أصبح منكوشًا، وكليب العجوز لم يمشِّط شَعري ولو مرة واحدة".

"سأتحدَّث معه بشأن ذلك الأمر... يجب أن يُبقيكَ مُهَندَمًا على الأقل داخل تلك الخزانة... أخبِرني، هل تتذكَّر حُبَّكَ لفتاة موشكينية جميلة تُدعَى نامي نام؟".

أجاب الرأس بصرامة: "لا... ما هذا السؤال الأحمق؟ القلب في جسدي، وجسدي ليس معي حاليًّا... ألا ترى ذلك؟ احتمال أن أكون قد أحببتُ شخصًا يومًا ما... لكن الرأس ليس مُصمَّمًا للحب. الرأس مصنوع للتفكير".

"أوه.. هذا إذًا ما تعتقده!".

"نعم، هذا ما فكَّرتُ فيه حقًّا".

"إذن من المفترض أنك محبوس في هذه الخزانة الخشبية منذ سنوات. ما الذي فكَّرتَ فيه طوال تلك الفترة؟".

"لا شيء.. هذا سؤال أحمق آخر... بقليل من الملاحظة ستكتشف أنه ليس لديَّ أي شيء لأفكر فيه... سوى الحوائط الخشبية لتلك الخزانة التي أقبع فيها... بالطبع تلك الألواح الخشبية لم تتغيَّر على مَرِّ الزمن؛ لذلك لم تعُد هناك حاجة للتفكير فيها أيضًا".

"هل أنت سعيد؟".

"سعادة! ما معني ذلك؟".

"ألا تعرف معني السعادة؟".

"ليس لديَّ أي فكرة ولو بسيطة عمَّا هو هذا الشيء! هل هو مستدير أم مُربَّع؟ أسود أم أبيض؟ ما ماهية هذا الشيء؟ إذا عذرتني يا أستاذ. بما أني لا أعرفه، فلا يهمني في شيء".

ازدادت حيرة الحطاب الصفيح بتلك الإجابات. احتشد رُفقاؤه المسافرون خلفه يشاهدون حديثه مع الرأس بدون تَدخُّل على الإطلاق. فهم يرون أن الحطاب الصفيح هو الوحيد صاحب الحق في الحديث مع رأسه القديم. لكن فترة الصمت طالت بعد تلك الإجابة الأخيرة، قطعها الجندي الصفيح بسؤال جدِّيٍّ: "هل رأسي يقبع في إحدى تلك الخزائن الخشبية؟".

ثم تقدَّم يفتحها واحدةً تلو الأخرى، لكنه لم يعثر على شيء، قال واتي الرَّجَّال: "أوه، حسنًا، لا تهتم وتتعب نفسك... لا أستطيع تخيُّل سبب واحد لكي تحتفظ برأس مقطوع في خزانتك! فما بالك باثنين؟".

ردَّت بوليكروم: "يمكنني فهم سبب اهتمام الجندي الصفيح بالبحث عن رأسه"، بينما هي تكمل حركاتها الراقصة التي لم تتوقف

منـذ دخولهـم ورشـة السـمكري القاتمـة وأكملـت: "لأسـباب عاطفيـة، قـد يرغـب الرجـل فـي رؤيـة رأسـه القديـم مـرة أخـرى، تمامًـا كمـا يحـب المـرء العـودة إلـى منـزل قديـم".

أكمل خيال المآتة: "... مثلما يلقي عليها قبلة الوداع".

امتعـض الـرأس السـابق للحطـاب الصفيـح وقـال: "أتمنـى ألَّا يقـوم ذلك الرجـل مـن الصفيـح بتقبيلـي قبلـة الـوداع، فأنـا لا أرى أن لكـم الحـقَّ فـي إزعاجـي وتهديـد سـلامي الداخلـي وراحتـي".

قال الحطاب الصفيح: "أنت تنتمي لي".

"لا".

"أنا وأنتَ واحد".

"لقـد افترقنـا منـذ زمـن. بـل أنـا أجـد غرابـة فـي الاهتمـام بإقامـة صِلـةٍ أو علاقـة مـع رجـل مـن صفيـح. مـن فضلـك أغلـق البـاب ودعنـي لشـأني".

"لـم أكـن أعتقـد أن رأسـي القديـم يمكـن أن يكـون بغيضًـا هكـذا، أنـا... أنـا أشـعر بالخجـل مـن نفسـي؛ أقصـد منـك".

"ينبغـي لـك أن تكـون مَبسُـوطًا لأنـي أعـرف حقوقـي. فـي هـذه الخزانـة أعيـش حيـاة بسـيطة، هادئـة ومسـالمة، وحينمـا تقتحـم عصبـة مـن النـاس مسـاحتي الخاصـة ويزعجوننـي، فهـم إذن البغيضـون ولسـتُ أنـا".

بتنهيـدة، أغلـق الحطـاب الصفيـح بـاب الخزانـة وتربـس المـزلاج واسـتدار بعيـدًا.

قـال الجنـدي الصفيـح: "حسـنًا... لـو عاملنـي رأسـي القديـم ببـرود وبطريقـة غيـر وديـة مثلمـا عامَلَـكَ رأسـك القديـم، يـا صديقـي، فأنـا سـعيد لأننـي لـم أعثـر عليـه".

أجـاب الحطـاب الصفيـح بتمعُّـن: "نعـم... أنـا مندهـش مـن تصرُّفـات رأسـي... ظننـت أننـي كنـتُ أكثـر تهذيبًـا عندمـا كنـتُ مصنوعًـا مـن لحـم ودم".

همَّت الصحبة بالخروج كما كانوا مُخطِّطين، وحينها قابلوا كليب يصل حالًا للمنزل، فوجئ بالزُّوَّار الكثيرين داخل ورشته. يمكن أن تصف كليب بأنه رجل ضخم الجثة، قوي، ذو صحة جيدة، لكن لا يسعك ألَّا تلاحظ أنه رجل قصير القامة، شمَّر أكمامه إلى أعلى مرفقيه؛ لهذا ظهرت عضلات ذراعيه، يرتدي مئزرًا من الجلد طويلًا، يُغطِّي كلَّ الجزء الأمامي منه، لدرجة أن واتي توقَّع أنه سيدوس عليه ويتعثر كلما مشى.

يمتلك كليب لحية رمادية طويلة، تقريبًا في طول المئزر، لكن رأسه صلعاء من الأمام، وأذناه تبرزان عاليًا، كأنهما ريش مروحة. يلبس نظارة كبيرة على عينيه الساطعتين والبراقتين. بكل هذا المظهر، كان من السهل على المرء أن يطمئنَّ أن السمكري طيب القلب فعلًا، فضلًا عن كونه مَرِحًا ومقبولًا.

فقد قال في صوت فَرِح: "آه... ها هما الرَّجُلان من صفيح أتيا ليزوراني أخيرًا، وأصدقاؤهم أيضًا، يا له من يوم! مرحبًا بكم. أنا فخور بكما حقًّا، أؤكِّد لكما ذلك. فأنتما مُتقَنان للغاية، وبرهان على أنني سمكري ماهر بلا جدال. تعالوا... اجلسوا... كلكم... تفضلوا. هيا أخبروني لماذا أنتم هنا؟".

عثر كل واحد على مقعد، وحكى كل واحد منهم طرفًا من المغامرات التي قابلوها حتى وصولهم إلى هنا. فرح كليب عندما عرف أن أول رجل صفيح صنعه هو الآن إمبراطور الوينكلز، وصديق للأميرة أوزما حاكمة أرض أوز، كما استمع باهتمام أيضًا للجنِّيَّة بوليكروم وخيال المآتة.

نظر وتفحَّص خيال المآتة بفضول وربَّت بقوَّة على جانبيه، وقال: "أنت مخلوق رائع حقًّا. لكن أعتقد أنك ستكون أكثر متانة وثباتًا على ساقيك إذا كنتَ مصنوعًا من الصفيح. هل تريد مني.."، قاطعه بفزع وقال: "لا... شكرًا... أنا أحب نفسي أكثر على ما أنا عليه حاليًّا".

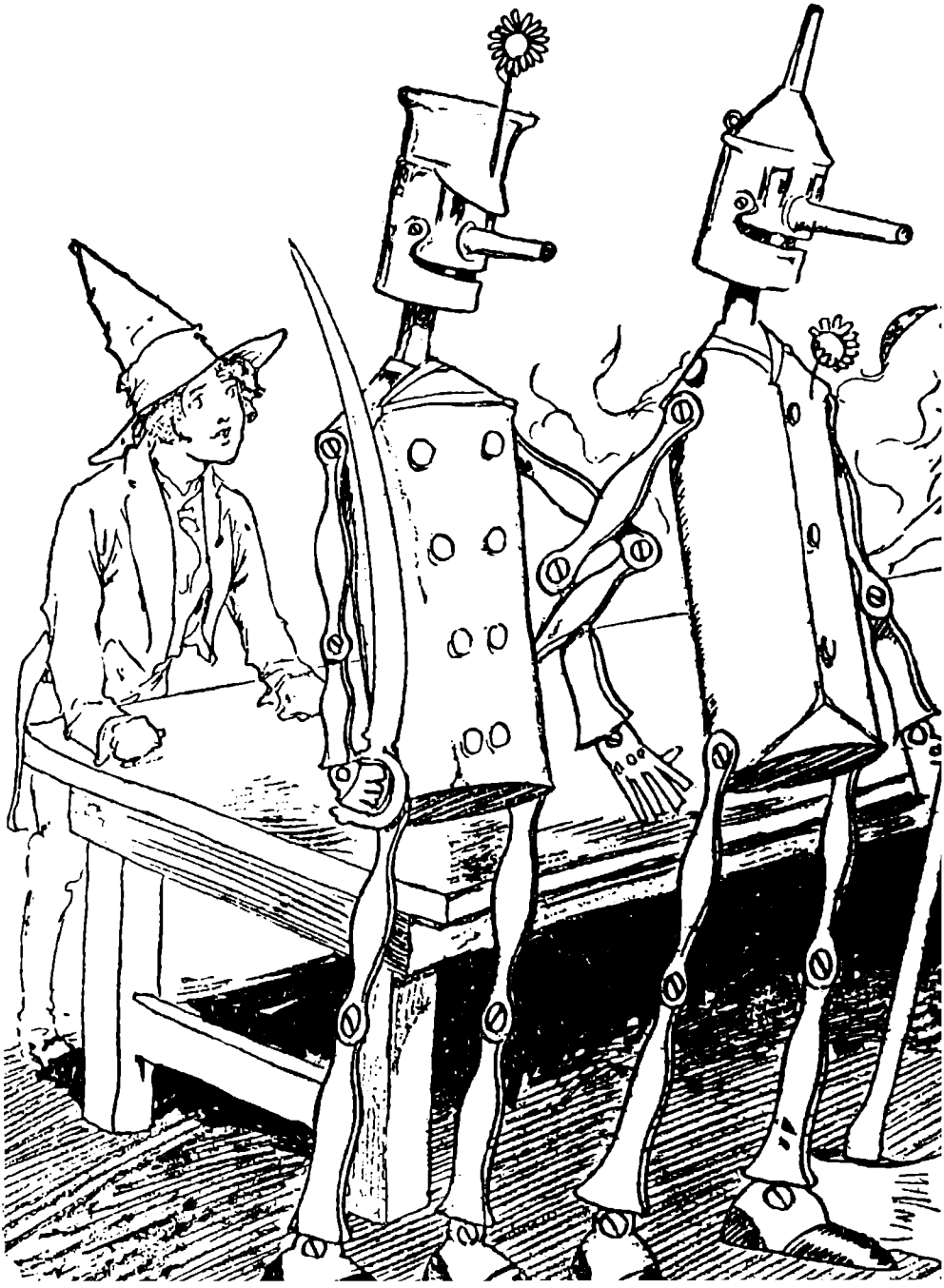

ثـم اسـتدار إلـى بوليكـروم: "أمَّـا أنـتِ يـا جميلـة... فـلا تحتاجيـن للتطويـر أو التحسـين... فأنـتِ أجمـل فتـاة أراهـا علـى الإطـلاق... إن مجـرَّد النظـر إليـك متعـة وسـعادة"، ردَّت: "هـذا مديـح وإشـادة، بالتأكيـد، مـن فنـان ماهـر فـي عملـه مثلـك".

ثـم اسـتدار إلـى واتـي: "إذن هـو أنـت... أنـت مَـن تريـد المسـاعدة... أليـس كذلـك؟"، ردَّ: "لا... نحـن لسـنا هنـا لنطلـب مهارتـك وحرفتـك... نحـن هنـا للبحـث عـن معلومـات... لا أكثـر".

وحينهـا بـدأ واتـي فـي حكـي كل مـا يخـصُّ مسـعاهم للبحـث عـن نامـي نـام منـذ قلعـة الإمبراطـور فـي مقاطعـة الوينكلـز حتـى هـذه اللحظـة، ثـم سـأل كليـب إذا كان يعـرف مـا حـدث لهـا.

ردَّ كليـب: "ليـس بالضبـط. كل مـا أعرفـه أنـه عندمـا لـم يحضـر الجنـدي الصفيـح ليتزوجهـا، كمـا وعـد، غرقـت فـي نوبـة بـكاء ونحيـب وبـؤس؛ ممَّـا أزعـج السـاحرة الشـريرة، وتوعَّـدَت الفتـاة بـأن تجعلهـا عجـوزًا شـمطاء، لا أحـد يريـد خطـب ودِّهـا أو الـزواج بهـا. ذهبـت إلـى مـكان بعيـد متطـرِّف تجمـع بعـض الأعشـاب السـحرية، لتقيـم تعويـذة سـحرية لتحويـل الفتـاة الشـابة إلـى عجـوز متهالكـة. أثنـاء حصدهـا الأعشـاب وقـع عليهـا منـزل دورثـي الطائـر، وعرفنـا كلنـا أنهـا تحوَّلَـت إلـى تـراب تناثَـرَ فـي الهـواء؛ ممَّـا يعنـي أنهـا هلكـت. حينمـا سـمعت تلـك الأخبـار السـعيدة. أرسـلت نامـي نـام لتبحـث عـن الحـذاء الفضـي الـذي ترتديـه السـاحرة الشـريرة، لكـن دورثـي أخذتـه قبلهـا وذهبـت إلـى مدينـة الزمـرد".

قاطعـه خيـال المآتـة: "نعـم، نحـن نعـرف كل شـيء عـن الحـذاء الفضـي".

أكمـل كليـب: "حسـنًا... حينهـا قـرَّرَت نامـي نـام أن تغـادر الغابـة وتعيش مـع نـاس تعرَّفَـت عليهـم، يمتلكـون منـزلًا فـي قمـة مونـش. مـن يومهـا ولـم أرَ تلك الفتاة مرة ثانية أبدًا".

سأل الحطاب الصفيح: "هل تعرف أسماء هؤلاء الأشخاص الذين ذهَبَت إليهم؟".

"لا... نامي نام لم تذكر لي أسماءهم، كما أنني لم أسأل. لقد أخذت كل ما تقدر على حمله من متاع من منزل الساحرة الشريرة. وأخبرتني أنه يمكنني الحصول على الباقي. ولكن عندما ذهبت إلى هناك، لم أجد شيئًا يستحق تناوله باستثناء بعض المساحيق السحرية التي لم أكن أعرف كيفية استخدامها، وزجاجة من الصمغ السحري".

سأل واتي: "ما هذا الصمغ السحري؟".

"إنه مزيج سحري يمكنه إصلاح الناس الذين يقطعون أنفسهم بالخطأ. ذات مرَّة، قطعت أصبعي أثناء عملي في لحام بعض الآلات. وذهبت للساحرة لتعالجني. فأخذت شيئًا من الصمغ السحري ووضعته على أصبعي المقطوعة، ثم ركَّبَتها مكانها. شوف... بُصْ... إنها سليمة كالجديدة تمامًا... لم يسمع أيُّ شخص بوجود ذلك المزيج السحري من قبل. بالطبع كان من الممكن أن يذهب الحطاب أو الجندي لها لتصلح أطرافهم المبتورة، ولكنها كانت سترفض لأنها هي التي سحرت البلطة والسيف من الأساس. وربما كانت ستُسبِّب لهم ضررًا وأذية أكبر. لكن لحسن الحظ أن معدن الصفيح أصلح الطرف المبتور جيِّدًا. وأعتقد أن أجسادهم الصفيح أفضل حالًا من أجسادهم من لحم ودم".

أجاب الجندي الصفيح: "هذا صحيح".

أضاف الحطاب الصفيح: "أنا أوافق على ذلك بالكامل. لقد صادَفتُ رأسي القديم في واحدة من تلك الخزائن الخشبية في نهاية ورشتك، وهو بالتأكيد لم يكن رأسًا مُهذَّبًا محترمًا مثل الرأس الصفيح التي أرتديه فوق كتفي حاليًّا".

قال الجندي الصفيح: "بالمناسبة... ألم تَرَ رأسي القديم؟".

وأضاف الحطاب الصفيح: "وبقية أطرافنا المبتورة... أين هي؟".

ردَّ كليب: "دعوني أفكر دقيقة واحدة... آه... تذكَّرتُ... أنتما الاثنان عندما كنتما تحضران لي، لم تجلبا معكما كل أطرافكما المبتورة، لقد اعتمدتما أن لديَّ القدرة على صناعة طرف تعويضي بديل من الصفيح. الأطراف التي جلبتماها معكما كنت أضعها في البرميل في ركن الورشة هناك؛ لهذا عندما صنعت فلانيك وجدتُ صعوبةً في تجميع الأطراف المناسبة لإكمال المهمة. كنتُ مُضطرًّا إلى إنهاء العمل بذراع واحدة".

استفسر واتي: "مَن هو فلانيك؟".

قال كليب: "أوه... ألم أخبركم عن فلانيك؟ بالطبع لم أفعل... نسيت... في غمرة كلامنا وحديثنا... ولكن ستجدون الحديث عنه مثيرًا للاهتمام لكما أنتما الاثنين... وإليكم ما حدث:

ذات يوم، بعد هلاك الساحرة ورحيل نامي نام للعيش مع أصدقائها على قمة مونش. كنت أبحث في الورشة عن شيء ما، ووجدت زجاجة الصمغ السحري التي أحضرتها من منزل الساحرة القديم. خطر لي أن أجمع بين أطراف شخصين أجزاؤهما في برميل داخل ورشتي، والتي كانت بالطبع جيدة، ومحفوظة كما كانت دائمًا، وأرى ما إذا كنتُ لا أستطيع تكوين رَجُلٍ منها. إذا نجحت، فسيكون لديَّ مساعدٌ يساعدني في عملي، واعتقدت أنه سيكون أمرًا عمليًّا أن أستخدم ما هو متروك ومُهمَل في البرميل.

كان هناك رأس واحد في خزانتي، والكثير من الأقدام والسيقان، وأجزاء من أجساد في البرميل؛ لذا شرعت في العمل لمعرفة ما يمكنني فعله... أوَّلًا، قمت بتجميع جسم معًا، ولصقه بالصمغ السحري، والذي كان يعمل بشكل مثالي. كان هذا أصعبَ جُزءٍ من المهمَّة؛ لأن الأطراف لم تتطابق جيدًا وكانت بعض الأجزاء مفقودة. جمعت أخيرًا جسمًا لائقًا للغاية، بقلب كامل".

سأل الحطاب الصفيح بقلق: "قلب مَن استعمَلتَ في صنع الجسد؟".

"لا يمكنني الجزم بذلك؛ لأن الأجزاء لم يكن بها أيُّ علامات تدلُّ على انتمائها لأيٍّ منكما، والقلب يشبه إلى حدٍّ كبير القلب الآخر. بعد الانتهاء من الجسد، قمت بلصق ساقين وقدمين عليه. كانت إحدى الساقين تخصُّ نيك الساطور، والأخرى تخصُّ كابتن فلاير. عثرت على ساق واحدة أطول من الأخرى، قُمتُ بقَصِّها لأجعلهما متطابقتين. شعرت بخيبة أمل كبيرة لأنني لم يكن لديَّ سوى ذراع واحدة. كان لديَّ في البرميل ساق إضافية، لكن لم أجد سوى ذراع واحدة.

بعد أن ألصقتها على الجسد، جاء دور لصق الرأس. في ذلك الوقت كان هناك رأس واحد، فلم تكن مشكلة على الإطلاق، مثلما حدث مع باقي الأطراف".

هتف الجندي الصفيح بكآبة: "هذا الرأس ملكي".

قال كليب مُصِرًّا ومعانِدًا: "لا... هو ملكي أنا... لقد أعطيتك رأس صفيح بدلًا منه، ذلك الرأس الصفيح الذي ترتديه حاليًّا. عندما جفَّ الصمغ. كان الرجل الذي صنعته رَجُلًا مُثيرًا للإعجاب. أترون... لقد استخدمت جزءًا من اسم الجندي الصفيح الأصلي: كابتن فلاير، وجزءًا من اسم الحطاب الصفيح الأصلي: نيك الساطور... لأنه مُشكَّل من

أجـزاء مختلفـة منهـم. فلانيـك رَجُـلٌ مُثيـرٌ للإعجـاب حقًّـا كمـا قلـت، لكنـه لـم يكـن رفيقًـا مُطيعًـا".

قاطعـه الحطـاب الصفيـح: "إذن كيـف وصَـلَ رأسـي لخزانـك؟ فأنـا لا أذكـر أنـي أحضـرت رأسـي، فقـد خبَّأتهـا السـاحرة الشـريرة؟".

أجـاب كليـب: "يومًـا مـا، أرسـلت فلانيـك لتقطيـع بعـض الحطـب مـن الغابـة، وهـو الـذي عثـر عليـه فـي مخبـأ مُظلِـم. لـم يتعـرَّف عليـه؛ لهـذا أخذتـه منـه ووضعتـه فـي الخزانـة بـدون نقـاش... فقـد كان يشـتكي دائمًـا مـن أننـي أعطيتـه ذراعًـا واحـدة -كأن ذلـك خطئـي- وكان دائـم التَّذمُّـر لأن بدلـة ملابـس الموشـكين الزرقـاء، التـي حصلـتُ عليهـا لـه مـن أحـد الجيـران، لـم تكـن لائقـةً عليـه..".

قاطعـه الجنـدي الصفيـح مُصحِّحًـا: "لـم يتعـرَّف عليهـا... لأن ذلـك الجسـد يرتـدي رأسـي أنـا، رأس الجنـدي. وأشـتكي مـن ملابـس الموشـكين... لأننـي أهتـمُّ للغايـة بمظهـري وبملابسـي، خصوصًـا الـزي العسـكري".

أكمـل السـمكري كلامـه: "... لـم تكـن لائقـة عليـه... كمسـاعد سـمكري؛ فهـو لـم يَعُـد جنديًّـا. فلانيـك لـم يكـن مشـروعًا ناجحًـا. كان أخـرقَ فيمـا يخـصُّ تعاملـه مـع الأدوات وشـغل الحـدادة، كمـا أنـه كان دائـمَ الجـوع، فيطلـب شـيئًا ليأكلـه سِـتَّ أو ثمانـي مـرات فـي اليـوم. هـذا جعلنـي أتسـاءل هـل رتَّبـتُ أعضـاءه الداخليـة بشـكل صحيـح. بالطبـع، كان فلانيـك يـأكل كثيـرًا، حتـى إنـه لا يتبقَّـى إلَّا القليـل لأتناولـه؛ لـذا عندمـا اقتـرح، ذات يـوم، أن يخـرج ويستكشـف العالـم ويبحـث عـن المغامـرات؛ كنـتُ سـعيدًا للتَّخلُّـص منـه، حتـى إننـي صنعـتُ لـه ذراع صفيـح بـدلًا مـن تلـك المفقـودة، سـعد بهـا للغايـة. وهكـذا يـا أصدقـاء افترقنـا".

استفسر خيال المآتة: "ماذا صار له بعد ذلك؟".

"لـم أسـمع عنـه خبـرًا بعـد فراقنـا أبـدًا. لقـد اتَّخَـذ طريـق الشـرق ناحيـة سـهول الموشـكين. هـذه هـي آخـر مـرة أراه فيهـا".

تأمَّل الحطاب الصفيح قليلًا، ثم قال: "أعتقد أن صناعتك له من أطرافنا المتروكة لم تكن فكرة مُوفَّقة يا كليب؛ فهذا يعطيه الحق، ولنكُن منصفين، ليدَّعي علاقة بكلينا".

"لا تقلق بشأن ذلك. ليس من المرجَّح أن تقابله. وإذا حدث وقابلته يومًا ما، فهو لا يعرف مَن هو؛ لأني لم أخبره بسِرِّ تصنيعه. بالطبع أنتم الوحيدون الذين تعرفون سِرَّ صناعته، وبإمكانكم الاحتفاظ بالسر لأنفسكم ولا تخبروه إذا رغبتم في ذلك".

قال خيال المآتة: "نحن لا نهتمُّ به... مَهمَّتنا هي العثور على نامي نام المسكينة، وأن نتيح لها الاختيار بين رجلين من صفيح. وفي سبيل ذلك، بناء على المعلومات التي عرفناها من كليب، أعتقد أننا يجب أن نتوجه إلى الشرق، إلى قمة مونش".

قال واتي: "إذا كان هذا هو الترتيب، فالأفضل الشروع في تنفيذه بلا إبطاء".

خرج الجميع من الورشة، حيث وجدوا بوليكروم ترقص بين الأشجار وتتحدَّث مع الطيور وتضحك بمرح كما لو أنها لم تفقد قوس قزح، وبالتالي فارَقَت جميع أخواتها الجنيات. أخبروها أنهم ذاهبون إلى قمة مونش، فأجابت: "جيِّد جدًّا؛ من المحتمل أن أجد قوس قزح هناك مثل هنا أو أي مكان آخر. إممم... محتمل. كل هذا يتوقَّف على الطقس. هل تعتقد أن الطقس يُنذِر بالمطر؟".

هزُّوا رؤوسهم، وضحكت بوليكروم مرة أخرى، وأكملت رقصها، بينما استأنفوا رحلتهم.

الفصل التاسع عشر

البلد المحجوب

بعد أكثر من نصف نهار من مغادرتهم ورشة كليب في خطٍّ مستقيم تجاه الشرق، استمرَّت الصحبة في التقدُّم بكل يُسر وسهولة على السهول الموشكينية. قال واتي في نبرة كئيبة: "أنا قَلِق من أن يحدث شيء ما لنا؟"، فسألته بوليكروم، التي لم تتوقف عن المشي بخطوات راقصة إيقاعية: "لماذا؟".

قال الصبي: "لأن... لأني لاحظت أنه حينما لا نتوقَّع شيئًا ضارًّا، نقع مباشرة في المشاكل. والآن، الطقس جميل وهادئ، والعشب تحت أقدامنا طري

ومريـح، وقمـة مونـش التـي نسـعى لهـا تظهـر فـي مجـال رؤيتنـا حاليًّـا. ولا يوجـد سـبب يؤخِّـر وصولنـا إلـى هنـاك. مشـاكلنا تبـدو كمـا لـو كانـت انتهـت، و... حسنًا. لهـذا أنـا خائـف وقَلِـق". قـال تلـك الجملـة الأخيـرة بعـد تنهيـدة طويلـة حـارة.

قـال خيـال المآتـة متعجِّبًـا: "يـا إلهـي... مـا الـذي أدخـل فـي رأسـك تلـك الأفـكار السـوداوية؟ بالتأكيـد هـذا يـدلُّ علـى أن العقـول فـي الـرؤوس العاديـة مـن لحـم ودم مختلفـة عـن العقـول فـي الـرؤوس المصنوعـة. عقلـي دائمًـا مـا يحمـل الحقائـق ولا يُزعـج نفسـه بالقلـق مـن المشـاكل. إنهـا هواجـس يـا صديقـي، لا مـكان لهـا فـي عقولنـا، حيـن تحيـن الفرصـة للتفكيـر، أشـغل عقلـي بالتفكيـر فقـط، وكُـن متأكِّـدًا، إنـي سـأخجل مـن عقلـي إذا اسـتمرَّ فـي إطـلاق الأفـكار حـول أشـياء هـي مجـرد مخـاوف وتخيُّـلات مثـل عقلـك".

قـال الحطـاب الصفيـح متأمِّـلًا: "بالنسـبة لـي، أنـا لا أفكـر، بـل أدع قلبـي المخملـي يقودنـي ويدلُّنـي علـى الطريـق الصحيـح دائمًـا، وفـي كل الأوقات".

أمـا الجنـدي الصفيـح فصـرَّح بمعلومـة جديـدة عن عقلـه: "السـمكري ملأ عقلـي بقصاصـات الصفيـح المتبقيـة مـن شـغل الحـدادة والسـمكرة، وقـال إنهـا سـتعمل جيـدًا كدمـاغ داخـل رأسـي. ولكنـي عندمـا شـرعت فـي التفكيـر، جلجلـت وشـخللت القصاصـات واختلطـت ببعـض، عندئـذ أصابتنـي الحيرة. فتوقفـت عـن التفكيـر، ووجـدت أنـه لا جـدوى منـه. كمـا أن قلبـي الصفيـح لا نفـع منـه أيضًـا لأنـه صلـب وبـارد... لـذا أنـا واثـق مـن أن القلـب المخملـي لصديقـي الحطـاب الصفيـح هـو دليـل جيـد فـي الحيـاة".

قـال خيـال المآتـة: "الأشـخاص الذيـن لا يفكـرون ليسـوا متميزيـن فـي الحيـاة، ولكنـي أعتبرهـم أكثـر حظًّـا مـن هـؤلاء الذيـن تصيبهـم أفـكار ضـارَّة أو شـريرة، ويبذلـون جهـدًا لكبـح جماحهـا"، ثـم وجَّـه كلامـه لصديقه الحطـاب الصفيـح: "خُـذ مثـالًا يـا صديقـي الحطـاب الصفيـح، علبـة المزيتة الخاصـة بـك المليئـة بالزيـت... أنـت تسـتخدمها فـي تزييـت مفاصلـك، لتمنـع الصـدأ عنـك، ينبغـي عليـك لتزييـت المفصـل وضـع قطـرة واحـدة فـي كل مـرة، بقـدر مـا تحتـاج، ولـو سـكبتَ منهـا أكثـر ممَّـا تحتـاج، سـيكون

ذلك مضيعة للزيت والمجهود. يجب معاملة الأفكار بنفس الطريقة التي تعامل بها الزيت. ينبغي تطبيقها عند الضرورة، ولهدف جيد وصالح. التفكير زيادة عن اللزوم يصبح ضارًّا. وإذا استعملت تفكيرك بشكل جيد، ستمتلك الأفكار رائعة حقًّا".

ابتسمت بوليكروم؛ لأن الجنِّيَّة ابنة قوس قزح تعرف عن الأفكار أكثر ممَّا يعرف، بينما لزم الآخرون الصمت، فقد شعروا أن كلامًا مهيبًا نزل على مسامعهم، وكأنهم تعرَّضوا للتوبيخ.

فجأة نظر واتي -الذي كان في المقدمة- يمينًا ويسارًا وفي كل اتجاه حوله، يبحث عن رفقائه، الذين اختفوا في ظروف غامضة. لكن أين يمكنهم الذهاب؟ المساحات العشبية شاسعة ممتدَّة من حوله، ولم تكن هناك أشجار أو شجيرات على امتداد البصر، لا شيء يصلح لأن تختبئ خلفه، حتى لو كنت أرنبًا صغيرًا، ولا حتى حفرة من الممكن أن تقع فيها. ورغم ذلك وقف مكانه وحيدًا فجأة.

دهشة وغرابة الموقف جعلتاه يتجمَّد وبَقِيَ مُسَمَّرًا في مكانه. ارتسمت على وجهه أمارات الذهول والعجب حين نظر إلى قدميه فلم يجدهما، تحوَّلَت الملامح على وجهه للفزع حين لم يَرَ يديه أيضًا، بالطبع هو يشعر بهما وبجسده. داس على الأرض بقدميه، وخبط بقوة ليتيقَّن من وجودهما، بالطبع هما موجودتان ولكن هناك شيء غريب حدث جعل جسده كله غير مرئي.

بينما هو واقف، سمع صوت خبط ورنين صفيح وكأن برميلين من صفيح اصطدما ببعض، ثم تدحرجا على الأرض بجانبه، لم يَرَ الحادثة، ولكنه سمعها، وسمع صوت الحطاب الصفيح يصيح: "احترِسْ... ماذا حدث؟"، أمَّا صوت الجندي الصفيح: "رحماك يا رب؟"، ردَّ صوت الحطاب الصفيح: "لماذا لا تنظر أمامك أيها الجندي؟"، ردَّ صوت الجندي الصفيح: "لقد فعلتُ... أنا أنظر أمامي جيدًا... أنت لست موجودًا أمامي... شيء ما حدث لعيوني الصفيح... أنا لا أراك... أنا حتى لا أراني"، تنهَّد صوت الحطاب الصفيح: "وأنا أيضًا".

لـم يـرَ واتـي أي شـي مـن تلـك المحادثـة، ولكـن عقلـه تصـوَّر مـا حدث، وفـي الثانيـة التاليـة أحـسَّ بخبطـة قويـة لكـن غيـر مؤذيـة لجسـدٍ مَحشـوٍّ بالقـش، كأن أحدهـم ألقـى عليـه وسـادة منتفخـة، توقَّـع، كمـا حـدث مـع الرجليـن مـن الصفيـح، أن خيـال المآتـة هـو مَـن اصطـدم بـه، وتاليًـا، بدون أي إنـذار، شـعر بلفحـة هـواء قويـة أكملـت علـى توازنـه المتأرجـح بفعـل خبطـة خيـال المآتـة، ووقـع جالِسًـا علـى الأرض.

كانـت لفحـة الهـواء تلـك هـي تفـادي الجنيـة بوليكـروم الاصطـدام بهم فـي آخـر لحظـة، وكأن هنـاك حاسـة للخطـر بزغـت عنـد الجنِّيَّـة، واسـتدارت حولهـم ولم تلمسـهم.

هتـف واتـي سـائلًا: "ألا تريننـا يـا بوليكـروم؟"، أجابـت ابنـة قـوس قـزح: "لا... بالطبـع لا... أنتـم أصبحتـم غيـر مرئييـن"، صـدر صـوت خيـال المآتـة مـن جانبـه، فقـد اسـتلقى علـى الأرض حيـن وقـع، وقـال: "كيـف حـدث ذلـك؟ هـل لديـك فكـرة؟!".

أجابـت بوليكـروم: "نحـن لـم نقابـل أعـداء. إذًا أعتقـد أن هـذه المنطقـة هـي مـا تجعلنـا غيـر مرئييـن، ربمـا تكـون فيهـا خاصيَّـة سـحرية، إنهـا تؤثـر حتـى علـى الجنِّيَّـات. نحـن نـرى العشـب والأزهـار، والمسـاحات الزرقـاء الممتـدة أمامنـا، كمـا أننـا نـرى قمـة مونـش هنـاك واضحـة، لكننـا لا نـرى أنفسـنا أو أي واحـد فينـا".

قـال واتـي متحيِّـرًا: "حسـنًا... مـاذا يمكننـا أن نفعـل فـي هـذا الوضـع السـحري الغريـب؟"، ردَّت بوليكـروم: "أعتقـد أن التأثيـر السـحري لا يؤثـر إلَّا علـى جـزء صغيـر مـن ذلـك السـهل الموشـكيني، بمعنـى هـذه المنطقـة فقـط. ربمـا تعدَّينـا خطًّـا مـا ودخلنـا فـي بلـد مسـحور يجعـل النـاس فيهـا محجوبيـن وغيـر مرئييـن لبعضهـم البعـض، إذًا مـن الممكـن أن نعبـر خطًّـا مـا ونخـرج مـن هـذه البلـد ونرجـع كمـا كنَّـا. هيـا... إذا أمسـكنا بعضنـا البعـض وأكملنـا سـفرنا مجتمعيـن إلـى قمـة مونـش، فاحتمـال كبيـر أن نعبر خطًّا سحريًّا آخر وينكسر السحر".

نهض واتي ووقف على قدميه التي لا يراهما، وصاح: "حسنًا... هيا... هاتِ يدك يا بوليكروم... أين أنتِ؟"، أجابت: "هنا... صفِّر يا واتي... استمر بالصَّفير حتى أعثر عليك"، استمرَّ واتي في إصدار صوتٍ مُميَّز كالصفير حتى عثرت عليه بوليكروم وقبضت على يده.

صاح خيال المآتة: "على أحدكم أن يساعدني!"، لحسن الحظ كان مُمدَّدًا على الأرض بجانب واتي؛ فعثروا عليه بسهولة وساعدوه على الوقوف.

أمَّا الحطاب الصفيح والجندي الصفيح، فكان من السهل أن يعثرا على بعضهما البعض؛ فقد كانا ملتصقَيْن ببعضهما جرَّاء الاصطدام، ولكن يبدو أن الأمر كان مُحرِجًا لهما، فقد قال الحطاب الصفيح: "لا يبدو أنني أقف منتصبًا بشكل صحيح، لحسن الحظ مفاصلي تعمل كلها؛ لذا أعتقد أنه بإمكاني المشي".

سمع واتي صوت خيال المآتة يقول للجندي الصفيح: "أتمنى ألَّا تكون حركتك متذبذبة مثلي أيها الجندي، وإلا لن نستطيع المشي بثبات وسنقع نحن الاثنان"، فردَّ الجندي الصفيح: "أنا لستُ مُتذَبذِبًا، كل ما في الأمر أن رِجلي ليست متوازِنةً مع رِجلي الأخرى. لا أعرف كيف. للأسف لا أستطيع رؤية قدمي حاليًّا. فاسمح لي بأن أسند عليك حتى نخرج من هذا البلد المحجوب المسحور".

استرشدت مجموعة بوليكروم وخيال المآتة وواتي بصوت الحطَّاب الصفيح، وتمكَّن واتي بصعوبة من الوصول للذراع الصفيح، وأخيرًا تمكَّن من الإمساك باليد الصفيح. رتَّب الأصدقاء أنفسهم على شكل صف بالعرض، مشبكين أيديهم في أيدي بعض، موجِّهين نظرهم ناحية قمة جبل مونش ليستكملوا رحلتهم، متقدمين للأمام.

لم تمضِ دقائق حتى تناهى إلى مسامعهم صوت هدير حيواني قوي، وبدا كأن الصوت يأتي من أمامهم مباشرة، فتوقَّفوا وأنصتوا للصوت ليتبينوا ملامح مصدره.

صاح الصوت الأجش المبحوح قائلًا بمزيد من أصوات الهدير والزمجرة: "أشمُّ رائحة قش، إنه قش من النوع الجيد. وأنا هيب هوب جراف يعشق القشَّ، وبإماكني أكل كل ما أعثر عليه. أنا أريد هذا القش... أين هو؟ أين هو؟"، حينما سمع خيال المآتة ذلك الكلام ارتجف، ولكنه ظلَّ صامتًا واقفًا. كل الآخرين ظلُّوا صامتين واقفين مكانهم، آملين ألَّا يتمكن هذا المخلوق غير المرئي من العثور عليهم.

لكن ما لا تستطيع فعله بالرؤية، عليك أن تجرِّب الشَّمَّ. تتبع المخلوق هيب هوب جراف رائحة القش حتى اقترب من صف الأصدقاء حتى وصل إلى أول شخص في الصف، وهو الحطاب الصفيح، الذي بالطبع لم يتمكن من رؤية المخلوق نظرًا لطبيعة البلد المحجوب.

أحسَّ الحطاب الصفيح بالحجم الهائل للمخلوق عندما شمَّه، وسمعه يقول: "بوه... هذا ليس قشًّا"، ثم انتقل للشخص التالي في الصف. كان بالطبع واتي الرَّجَّال كما توقَّعتم، الذي أحسَّ بلفحة هواء ساخن من صفَّين من الأسنان الهائلة، وسمع الصوت الأجش الحيواني يقول: "لحم... راحة لحم طازج حي... ليس ذا نفع... أنا لا آكل اللحم". ثم انتقل للشخص التالي، وقال: "حلويات وعطر... رائحة زهور الفل والندى... ليس بي حاجة للاهتمام بطعمك أيَّتها الجنِّيَّة".

كما توقَّعتم يا أصدقاء، بالرغم من أن المخلوق لا يهتمُّ بأيٍّ منهم سوى برجل القش، إلا أن جميعهم ظل صامتًا ساكنًا، مستغلين ميزة أنهم غير مرئيين، بالإضافة إلى حماية رفيقهم.

كان الشخص التالي بعد بوليكروم هو خيال المآتة، الذي عرف أنه لو التهم هذا المخلوق قشَّه، فلن يجد قشًّا آخر، فسيصبح عاجزًا غير ذي نفع لفترة طويلة، على الأقل حتى يعثروا له على قشٍّ خارج نطاق تلك السهول الموشكينية الواسعة الممتدة التي يسيرون فيها، أضف لذلك أن العثور على أجزائه المهلهلة بعد نزع القشِّ منها ستكون عمليَّةً غاية في الصعوبة في ظل أنه أساسًا حاليًّا غير مرئي.

فكَّر خيال المآتة في كل ذلك أثناء عملية شمٍّ مخلوق هيب هوب جراف للأصدقاء في الصف، فانسلَّ من يد بوليكروم بخفَّةٍ ووضع في يدها اليد المعدنية للجندي الصفيح ليكتمل الصف، وتراجع للخلف خطواتٍ، وانتقل إلى الطرف الأول ليمسك اليد المعدنية للحطاب الصفيح.

انتقل الوحش إلى الجندي الصفيح الذي كان يعرف أنه لا يهتم بالصفيح وسيتركه لحاله، فوقف صامتًا حتى انصرف. شمَّ هيب هوب جراف رائحة الصفيح كما في أول الصف، ولم يشمَّ رائحة شيء ما ثانية... فعرف أنه آخر الصف.

قال: "كم هذا غريب... أنا واثق أني شمَمتُ رائحة قش، لكني لم أعثر عليه. حسنًا، هو بالتأكيد في مكان ما هنا، يجب أن أطارد آثار تلك الرائحة حتى أجدها وأعثر على القش".

سمعت الصحبة الصوت يخفت على يسارها، فتوقَّعوا أنه يبتعد عنهم قليلًا من ناحية اليسار؛ لذلك في حركة واحدة انطلقوا عبر السهول مُتَّجِهين ناحية قمة مونش، ليتجنَّبوا ذلك المخلوق الذي لا يرونه، والذي لا يراهم.

قال واتي وهو ينهج ويرتجف: "لا أحب هذه البلد المحجوب. نحن لا نعرف كم عدد الأشياء المميتة، أو الوحوش غير المرئية التي تصول وتجول في هذه الأنحاء دون أن نراها. ما الخطر القادم الذي يُهدِّدنا؟".

قال خيال المآتة محذِّرًا: "كُفَّ عن الحديث عن الأخطار، لو سمحت". سأل الصبي: "لماذا"، أجاب: "إذا فكرت في شيء مرعب، على الأغلب سيحدث. لكن إذا لم تفكر في أي شيء، ولا أحد منَّا أيضًا فكَّر فيه، فلا يمكنه الحدوث. ألا تفهم؟"، أجاب واتي بإصرار: "لا... لا أفهم ولا أرى أي شيء طالما لم نخرج من هذا البلد المحجوب".

فجأة خرجت الصحبة من البلد المحجوب كما دخلت فيها فجأة، وفي اللحظة التي خرجوا فيها توقَّفوا لبرهة، ليس لأنهم عادوا ليروا

بعضهم البعض ثانية، بل لأن أمامهم خندقًا عميقًا، يمتدُّ في زوايا عمودية إلى أقصى مسافة تصل إليه أعينهم، وتمنعهم عن مزيد من التَّقدُّم تجاه قمة مونش.

نظر واتي مَليًّا للخندق، وقال: "إنه ليس عريضًا للغاية... لكني لست متأكدًا إذا كان أحد منَّا يستطيع القفز عليه؟". بدلًا من توقُّع ردٍّ ما، فوجئ بالجنِّيَّة ابنة قوس قزح تضحك بصوت عالٍ، فالتفت إليها وسأل: "ماذا حدث؟"، قالت وهي تشير للحطاب الصفيح والجندي الصفيح: "انظر لهذين الرجلين من الصفيح".

نظر واتي وخيال المآتة لهما، و"فطسوا" على روحهم من الضحك على المنظر الطريف.

ثم نظر الرجلان الصفيح لأنفسهما، واكتشفا أن أحدهما معوج والثاني مخبوط، وحينها قال الحطاب الصفيح خجلان من مظهره المعوج: "لقد كان اصطدامًا عنيفًا... لقد شعرت وقتها بشيء غير طبيعي، ولكني لم أرَ الاعوجاج في جانب جسدي. صحيح يجعلني أمشي كالأحدب قليلًا، ولكني أمشي بثبات. إنها غلطة الجندي الصفيح، يجب أن يحتاط ويحترس أكثر من ذلك. أليس هو جنديًّا في الأصل؟". احتجَّ الجندي الصفيح: "وغلطتك أيضًا أن خبطت رجلي بقوة حتى انثنت، وجعلتني أمشي مترنِّحًا كالأعرج الذي يحتاج آخر ليسند عليه. ما كان ينبغي عليك التوقُّف أثناء سيرى. ألستَ أنت حطَّابًا في الأصل؟".

ردَّ الحطاب الصفيح بتعجُّب وسخرية، وقال: "ماذا تعني بأني لا أتوقف أثناء سيرك؟ هل أنت الإمبراطور أم أنا؟"، واستمرَّ الشجار بينهما على هذا المنوال، حتى قالت بوليكروم بنعومة وهدوء: "اهدؤوا يا أصدقاء. فور أن ننتهي من المشكلة أمامنا، سنجد الوقت الكافي لإصلاح اعوجاج الحطاب الصفيح وتقويم ساق الجندي الصفيح. خيال المآتة يحتاج لقليل من التنجيد أيضًا، فهو متكتِّل بشكل سيئ، لكن أولى مشاكلنا هي هذا الخندق يا سادة".

وافقها واتي: "نعم، هذا الخندق من أولوياتنا حاليًّا".

كانوا ما يزالون مُرتَّبين في صفٍّ، ينظرون لهاوية الخندق، يفكرون كيف يمكنهم اجتياز ذلك العائق غير المتوَقَّع، حين هدر من خلفهم صوت أجش حيواني، جعلهم يديرون رؤوسهم وينظرون للخلف.

من البلد المحجوب برز وحش هائل الحجم، ببشرة جلدية سميكة وعنق مفرط في الطول. الرأس على قمة العنق عريض ومسطَّح، والعينان والفم كبيرة جدًّا، والأنف والأذنان صغيرة جدًّا، عندما أرجع المخلوق رأسه نحو أكتافه، انكمش العنق وتَقَلَّص، لكن الرأس يمكنه الارتفاع عاليًا، إذا رغب المخلوق في ذلك.

صاح خيال المآتة بفزع: "يا إلهي... هذا بالتأكيد هيب هوب جراف!"، ردَّ الوحش: "نعم، صحيح، هو أنا. وأنت القش الذي أبحث عنه وأتمنَّى أكله في عشائي. أوه... كم أحب القش! آمل ألَّا تستاء من شهيتي الرهيفة"، بأربع أرجُل كبيرة، تقدَّم بجسارة مباشرة نحو خيال المآتة، لكن الحطاب الصفيح والجندي الصفيح قفزا أمام صديقهما وأشهرا أسلحتهما في وجه عدوِّه بشجاعة.

قال الحطاب الصفيح محذِّرًا: "تراجَعْ. ابتعِدْ! وإلا سأقطعك بفأسي"، وردَّد الجندي الصفيح متوعِّدًا: "تراجع. ابتعد! وإلا سأقطعك بسيفي"، سأل هيب هوب جراف بخيبة أمل: "هل ستفعلون ذلك حقًّا"، أجاب كلاهما: "نعم. سنفعل"، وأضاف الحطاب الصفيح: "خيال المآتة صديقنا، وسيكون عديم الفائدة بدون حشو القش؛ لذلك، بما أننا رفاق مخلصون وصادقون، سندافع عن حشوة صديقنا بكل قوة وضد كل الأعداء".

تراجع هيب هوب جراف ونظر لهم بأسف وقال: "حينما يتعشَّم المرء في وجبة لذيذة من القش، فهو بالتأكيد حظ سيئ أن يكتشف أنه لا يمكنه الحصول عليها. ثم ما يفيدكم رجُلٌ من قشٍّ لكم ولنفسه، حين لا تستطيعون عبور الخندق؟".

أجاب واتي: "حسنًا. بإمكاننا أن نرجع"، ردَّ: "صحيح. إذا فعلتم ستكونون مُحبَطين مثلي، وهو ليس وضعًا مريحًا على الإطلاق".

حوَّل المسافرون أنظارهم بين وحش هيب هوب جراف والخندق. على الجانب الآخر من الخندق امتدَّت حقول من الأعشاب الطويلة، التي جفَّفتها الشمس، وحوَّلتها إلى تبن يحتاج فقط إلى الحصاد والتكديس.

سأل واتي الوحش: "لماذا لا تعبر الخندق وتأكل التبن الملقى هناك؟"، أجاب: "لست مُغرَمًا بالتبن. القش أكثر لذاذة[1] من وجهة نظري، كما أنه نادر في هذه الأنحاء. بالإضافة إلى أنني ينبغي أن أعترف لكم أني لا أستطيع عبور الخندق؛ فجسدي ثقيل، ولا أستطيع القفز كل هذه المسافة. من الممكن أن أمد عنقي للحافة الأخرى وأقضم التبن هناك، ليس لأنني أحبه، ولكن لأنه يجب على المرء أن يأكل، وإذا لم يتمكن من الحصول على نوع الطعام الذي يرغب، يجب أن يأخذ ما يُعرض عليه أو يجوع".

قال خيال المآتة: "آه... إذن أنت فيلسوف"، ردَّ: "لا... أنا مجرد هيب هوب جراف".

لم تخف بوليكروم من الوحش، بل خطت بخطوات راقصة بالقرب منه، وقالت: "بما أنك تستطيع مدَّ رقبتك عبر الخندق. لماذا لا تساعدنا؟ يمكننا الجلوس على رأسك الكبير المفلطح وتنقلنا للجانب الآخر".

---

(1) قد يبدو أن لا فرق بين التبن hay والقش straw، والكثيرون يستخدمونه بنفس المعنى. لكن التبن هو محصول يُزرع خصيصًا لصنع التبن، في حين أن القش هو منتج ثانوي لأنواع مختلفة من المحاصيل. تمَّ تصميم التبن ليكون علفًا غنيًا بالمغذيات للماشية، عندما يزرع المزارعون حقلًا للتبن، يتم حصاد الحقل قبل أن تصبح الحبوب جاهزة للبذر، ليحافظ على العناصر الغذائية القيمة في السيقان. لكن عندما يتم حصاد نباتات مثل القمح والشعير والشوفان لبذورها، تُترك السيقان وأغلفة البذور. هذه المخلَّفات، التي حُرِمَت من معظم عناصرها الغذائية أثناء إنتاج البذور، يتم ضغطها في القش. يدخل القش في مجموعة متنوعة من الاستخدامات، من أكوام السماد إلى مصادر الطاقة، ويُستخدَم القش بشكل أكثر شيوعًا كفراش بدلًا من العلف.

أجـاب هيـب هـوب جـراف: "نعـم، أسـتطيع... لكنـي أرفـض القيـام بذلـك. إلَّا... إلَّا إذا..".

استعجبت بوليكروم: "إلا إذا ماذا...؟".

أكمـل الوحـش: "إلا إذا سـمحتم لـي أوَّلًا بـأكل قـش مـن القـش المحشـو بـه خيـال المآتـة".

أجابـت ابنـة قـوس قـزح بصرامـة وجديـة: "لا... بالطبـع لا.. إنـه ثمـن باهـظ لـن ندفعـه. حشـوة صديقنـا مـن القـش طازجـة وجديـدة، فهـو محشـوٌّ بهـا منـذ فتـرة قليلـة".

وافـق هيـب هـوب جـراف: "أعـرف. لهـذا السـبب أرغـب فيهـا... فلـو كانـت قديمـة عطنـة مـا اهتممـت بهـا".

قدمـت بوليكـروم عرضًـا: "حسـنًا يـا هيـب هـوب جـراف... كمـا تعـرف أنـا جنِّيَّـة... بإمكانـي صنـع طعـام سـحري مغـذٍّ لـك".

قـال هيـب هـوب جـراف باسـتخفاف: "طعـام سـحري! أنـا أعـرف الطعـام السـحري، ورغـم أنـه مُغـذٍّ لكنـه غيـر لذيـذ. أنسـيتم أننـا خرجنـا للتَّـوِّ مـن بلـد سـحري، بلـد المحجـوب... أنـا لسـت جوعـان، أنـا أريـد تـذوُّق طَعـم قـشٍّ جديـد طـازج... هـا هـو عرضـي لكـم".

توسَّلَت بوليكروم: "أرجوكَ... انقلنا للبر الثاني... من فضلك".

أصـرَّ هيـب هـوب جـراف وقـال: "لا... بمـا أنكـم رفضتـم عرضـي الكريـم... بإمكانـي أن أكـون عنيـدًا مثلكـم".

سـاد الصمـت بينهـم لفتـرة، حتـى تقـدَّم خيـال المآتـة بشـجاعة وقـال: "أصدقائي. دعونـا نوافـق علـى شـروط الوحـش. أعطـوه مـن قشِّـي، واحملـوا بقيَّتـي معكـم عبـر الخنـدق. بمجـرد وصولنـا للجانـب الآخـر، يقطـع الجنـدي الصفيـح بسـيفة الحـاد بعضًـا مـن العشـب الجـاف، وتحشـونني بـه حتـى نصـل إلـى مـكان نجـد فيـه وفـرةً مـن القـش، فنسـتبدل التبـن بالقـش. صحيـح أنـي كنـتُ -ومـا زلـت- طـوال حياتـي محشـوًا بالقـش، وسـيكون مهينًـا أن تكـون حشـوتي مجـرَّد تبـنٍ عـادي، إلا أننـي مسـتعدٌّ

للتضحية بكبريائي مؤقَّتًا للصالح العام. علاوة على ذلك، فإن التخلِّي عن مهمتنا وحرمان إمبراطور الوينكلز العظيم -أو هذا الجندي النبيل- من عروسه، سيكون مهينًا بنفس القدر، إن لم يكن أكثر".

أعرب هيب هوب جراف عن امتنانه وقال: "أنت شخص أمين ونزيه. حينما آكل رأسك، ربما أحصل على بعضٍ من أمانتك ونزاهتك".

أسرع خيال المآتة بالرد: "أنت لن تأكل رأسي. يجب أن يكون ذلك في معلومك. رأسي ليس محشوًّا بالقش ولا يمكنني فراقه أبدًا. حينما يفقد المرء رأسه، فهو يفقد عقله".

قال الوحش: "آه... إذن أنت فيلسوف... حسنًا... بإمكانك الاحتفاظ برأسك".

شكر الأصدقاء خيال المآتة بحرارة لتضحيته المخلصة للصالح العام. تمدَّد على الأرض وسمح لهم بسحب ونزع القش من جسده. كل القش الذي يخرجونه منه قام الوحش بالتهامه بدون إبطاء. وحين انتهت العملية، طبَّقَت بوليكروم ملابس خيال المآتة في حزمة أنيقة مرتَّبة، وضعت عليها حذاءه الموشكيني المميز وقفازاته وقبعته الشهيرة، وقالت إنها ستتولَّى مَهمَّة حمل تلك الأشياء. بينما حمل واتي رأس خيال المآتة تحت إبطه ووعد بحمايته بأمان.

قال الحطاب الصفيح: "الآن، أيها الوحش، أوفِ بوعدك واحملنا إلى الناحية الأخرى عبر الخندق". مصمص الوحش أصابعه في رضى وقال: "أمممم، هذا عشاء لذيذ حقًّا. وأنا هيب هوب جراف وعدي كالسيف. هيا... اجلس فوق رأسي، واحد منكم في كل مرة، وسوف أهبط بكم بأمان هناك".

اقترب من حافة الخندق وجثم وثبَّت نفسه على الأرض، ثم تسلَّقَت بوليكروم على جسده وجلست على الرأس المفلطح، ممسِكةً حزمة وربطة ملابس خيال المآتة. ببطء تمدَّدَت رقبته المرنة حتى وصلت للجانب الآخر من الخندق. أنزل الوحش رقبته بالقرب من الأرض، للحدِّ الذي أتاح لابنة قوس قزح القفز على البر بجانب الأعشاب الجافة.

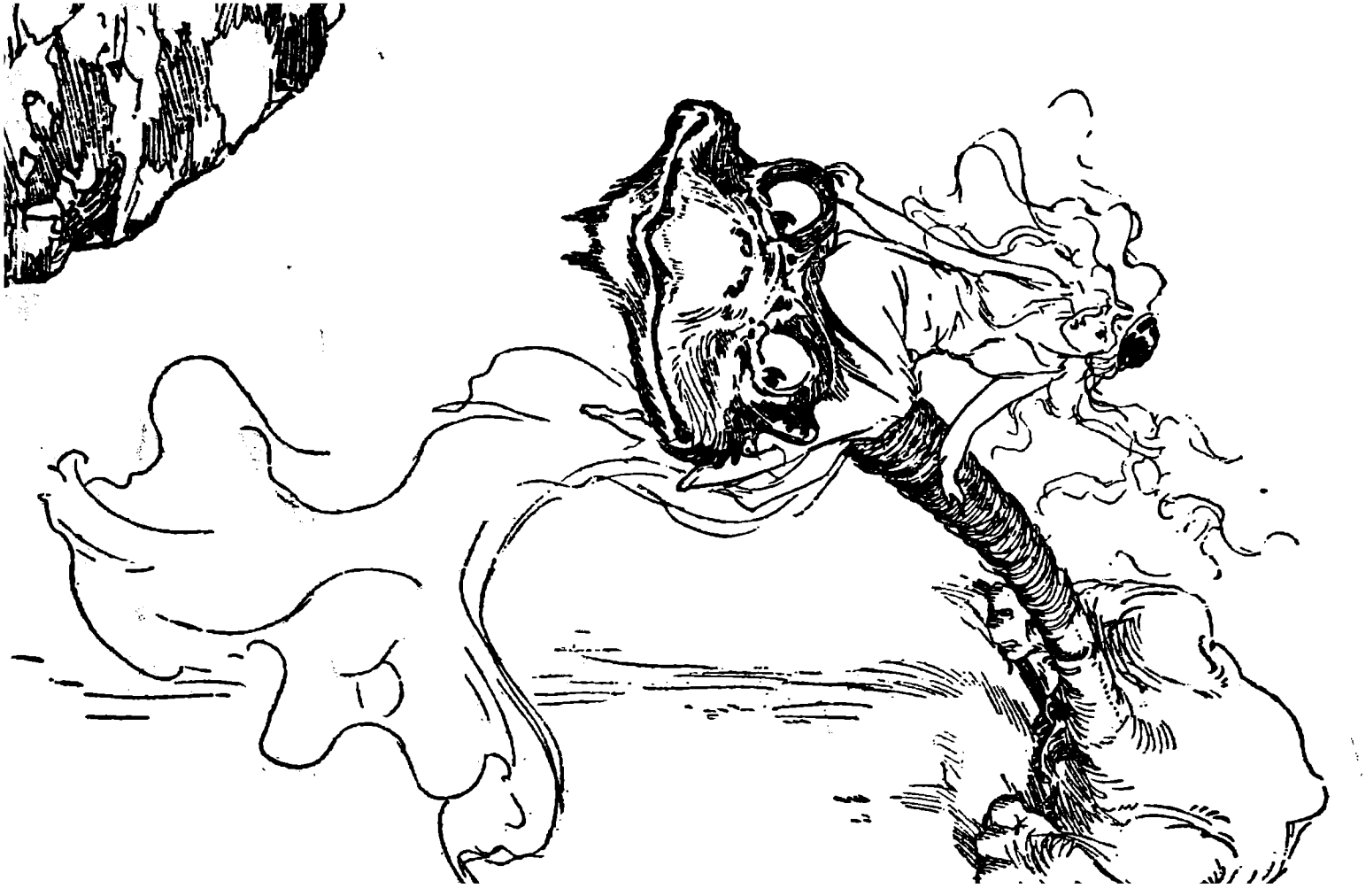

قـام واتـي بتلـك الرحلـة العجيبـة بعدهـا مباشـرة، ثـم جـاء دور الحطـاب الصفيـح والجنـدي الصفيـح. تنهَّـد واتـي الرحـال لاكتمـال المهمـة بسـلام وأمـان، وسـمع صـوت خيـال المآتـة يصـدر مـن رأسـه التـي يحملهـا يرشـد الجنـدي الصفيـح لمـا يجـب عملـه: "الآن، أيهـا الجنـدي، احصـد ذلك التبـن". حـاول وفشـل، ثـم قـال: "كنـتُ أودُّ ذلـك مـن كل قلبـي، لكنـي لا أسـتطيع الانحنـاء لأقـوم بحصـاد ذلـك التبـن ورجلـي معوجَّـة. إذا انحنيـت سـأقع أرضًـا".

التفت واتي إلى بوليكروم يستنجد النصيحة منها: "ما العمل؟".

ظلَّـت ترقـص فـي دوائـر بـدون أن تـردَّ، قلـق الصبـيُّ قليـلًا مـن عـدم ردِّهـا، لكنهـا كانـت تفكـر فـي حـلٍّ لتلـك المشـكلة، اقتربـت مـن الجنـدي الصفيـح وقالـت بهـدوء: "لقـد تعلَّمـتُ القليـل مـن سـحر الجنيـات؛ لـذا تجدنـي لسـت خبيـرةً فيـه مثـل أوزمـا، لـذا لـم يسـبق لـي معالجـة سـاق، ناهيـك أنهـا سـاق مـن صفيـح. لسـت واثقـةً أنـي أسـتطيع مسـاعدتك. إن الأمـر يعتمـد علـى الطيبـة المسـتمدَّة مـن قـوى كبـار الجنيـات غيـر المرئيـات. حسـنًا... سـأحاول... لكـن إذا فشـلت، لـن يكـون حالـك أسـوأ ممَّـا هـو عليـه الآن".

دارت بخطـوات مدروسـة رشـيقة خفيفـة فـي دوائـر، ثـم شـبكت يديهـا علـى السـاق الصفيـح المنحنيـة وغنَّـت بصـوت حلـو رقيـق:

"يا قوى الجنيات، تعالي لمساعدتي،

هذه الساق المنحنية من الصفيح تحتاج للمعالجة وتستقيم كما كانت دائمًا،

لأنها ساق رشيقة وقوية لرَجُل نبيل ومخلص.

وسأقدِّم لكم الشكر والعرفان على الدوام".

"آه"، تمتـم الجنـدي الصفيـح بفـرح وعجـب، لأنهـا عندمـا فكـت يدهـا مـن علـى سـاقة المنحنيـة، وجدهـا رجعـت مسـتقيمة وقويـة كمـا كانـت قبل حادثـة الاصطـدام المؤسـفة فـي البلـد المحجـوب مـع الحطـاب الصفيـح.

شاهد الحطاب الصفيح تلك المعالجة السحرية باهتمام بالغ، وفور نجاحها ناشد الجنية ابنة قوس قزح أن تعالج اعوجاجه كما فعلت مع الجندي الصفيح. فشبكت يدها ولمست مكان الاعوجاج في جسده وغنَّت بصوت ملائكي:

"يا قوى الجنيات.

هذا الانبعاج هو حادثة مؤسفة،

شيء كهذا حدث بسبب خطأ غير مقصود،

أمِدِّينا بالمساعدة يا جنيات.

وساعدي الحطاب الصفيح أن يقف مستقيمًا كما كان دائمًا".

صاح الإمبراطور بسعادة وهو يصلب طوله واقفًا بشموخ: "ممتاز يا بوليكروم. براڤو. قد يكون سحرك غير قادر على فعل كل شيء، لكنه قادر على القيام بأشياء مدهشة في إصلاح الصفيح. شكرًا لكِ كثيرًا".

عندها هتف رأس خيال المآتة بتوسُّل: "التبن... التبن أيها الجندي"، تنبَّه الجندي لمهمته العاجلة وهرع فورًا لحصاد التبن بسيفه الحاد كالمنجل، وفي بضع دقائق كدَّس ما يكفي لحشو جسد خيال المآتة ثانية.

حشا واتي وبوليكروم ملابس خيال المآتة، ولم تكن مَهمَّةً سهلة عليهما؛ لأن التبن تراكم وتكدَّس أكثر ممَّا يحدث مع القش الخفيف الهائش. كما أنهم ليس لديهم خبرة بهذه الأمور من قبل. حينما انتهوا من عملهم، وقف خيال المآتة واكتشف أن ذراعة اليمني منفوخة أكثر من ذراعه اليمنى، بالإضافة إلى أن قُبَّةً ظهرت في ظهره، جعلت واتي يضحك لأنه يُذكِّره بالجمل على حدٍّ قوله.

كان هذا أفضل ما يمكنهم فعله، وعندما ثبَّت واتي الرأس على الجسد سألوا خيال المآتة عن شعوره.

أجاب بمرح: "قليل من الثقل، وكثير من المتانة"، ثم أكمل بلهجة بائسة: "لكنني سأتعايش بطريقة ما حتى نصل إلى كومة قش. أرجوكم لا تضحكوا عليَّ، من فضلكم، فأنا خجلان من نفسي، ولا أريد أن أندم على ما فعلت".

شرعوا على الفور في السير تجاه قمة مونش، وبما أن خيال المآتة أثبت أنه يتحرَّك في ارتباكٍ مُبالَغ فيه، فقد أخذ واتي إحدى ذراعيه والحطاب الصفيح الذراع الأخرى وساعدا صديقهما على المشي في خط مستقيم.

أما ابنة قوس قزح، فقد ظلَّت كما هي دائمًا؛ ترقص أمامهم وخلفهم ومن حولهم، ولم يهتمُّوا بطرقها الغريبة؛ لأنها كانت بالنسبة لهم خفيفة دافئة مثل شعاع الشمس.

الفصل العشرون

الليلة الأخيرة

أرض الموشكين أرض مليئة بالمفاجئات، هذا ما يعرفه مسافرونا جيِّدًا، فبالرغم من أن قمة مونش تظهر جليَّةً أمامهم ويزداد منظرها حجمًا كلَّما تقدموا، إلَّا أنهم يعرفون جيِّدًا أن الطريق ما زال طويلًا، وبكل تأكيد، وبكل الوسائل، لم يفلتوا من كل مخاطره، أو أنهم خاضوا آخر مغامرتهم فيه.

على امتداد أبصارهم أرض ممتدَّة منبسطة واسعة عريضة، وعلى ما يبدو لأعينهم كان يظهر اتساع من الريف بينهم وبين الجبل. مع اقتراب المساء وصلوا إلى وادٍ صغير غائر

في الأرض، يقبع فيه منزل موشكيني أزرق صغير تحاوطه حديقة من كل جانب، ثم يتمدد حقل من البقوليات يملأ المساحة الباقية من الوادي.

لم يكتشف مسافرونا هذا المكان إلا عندما اقتربوا من حافته، وأدهشهم منظره لأنهم تصوَّروا أن هذا الجزء من السهل ليس به سكان. قال واتي: "إنه منزل صغير للغاية. أتعجَّب، مَن يعيش هناك؟"، أجاب الحطاب الصفيح: "هناك طريقة لمعرفة ذلك؛ هي أن تطرق الباب وتسأل"، ثم أكمل بعد تردُّد: "ربما هو منزل نامي نام". تعجَّب الصبي وسأل: "هل هي قزم؟"، أجاب: "لا بالطبع... هي امرأة بالغة".

قال واتي مؤكِّدًا: "إذًا... أنا متأكِّد أنها لا يمكن لها العيش في هذا المنزل الصغير". اقترح وتحمَّس خيال المآتة: "هيا بنا... أنا أثق أني رأيت كومة من القش في الفناء الخلفي".

هبطوا الوادي الصغير، الذي كان شديد الانحدار في جوانبه، وسرعان ما وصلوا للمنزل، الذي كان صغيرًا حقًّا، فحينما طرق واتي الباب، لم يكن أعلى من خصره. لم يتلقَّ ردًّا، فطرق مرة ثانية، لكنه لم يسمع أي صوت.

قالت بوليكروم: "هناك دخان يخرج من المدخنة"، ثم استمرَّت في خطواتها الإيقاعية الراقصة في الحديقة، المزروع فيها لفت وكرنب وبنجر وخضار من كل الأنواع.

طرق واتي الباب مرة ثالثة وهو يقول: "إذًا... هناك شخص ما بالتأكيد يعيش هنا".

فجأة، انفتحت نافذة في أحد جوانب المنزل، وأطلَّ منها رأس غريب، بيضاء ومُشعِرٌ وله أنف عريض وممتد وعينان واسعتان، أمَّا الأذنان فهم مخفيَّتان تحت قبَّعة شمسية عريضة مربوطة بخيط تحت ذقنه. هتف واتي: "آه... أنتِ خنزيرة".

قالت الخنزيرة التي أطلَّت من النافذة: "عفوًا... أنا السيدة كويلينا خنزور، زوجة البروفيسور خزونتر خنزور، وهذا منزلنا. ماذا تريد؟".

استفسر الحطاب الصفيح بفضول: "أهو خنزير مثقَّف! ما هي دراسة البروفيسور، زوجك؟".

قالت السيدة كويلينا بصوت نصف فخور ونصف مزعج: "إنه أستاذ في ثقافة الملفوف وإتقان زراعة الذرة. إنه مشهور جدًّا في عائلته، وسيكون أعجوبة علميَّة معملية إذا سافر إلى الخارج. يجب أن أبلغكم أيضًا أيها الدُّخَلاء أن الأستاذ شخص خطير، لأنه يقوم شحذ وصقل أسنانه كل صباح حتى تصبح حادَّةً مثل شفرات الموسى. إذا كنتم جزارين، فمن الأفضل أن تهربوا وتتجنَّبوا المتاعب".

أكَّد الحطاب الصفيح: "نحن لسنا جزارين". قالت: "إذًا... ماذا تفعل بهذا الفأس؟ ولماذا الرجل الصفيح الآخر يحمل سيفًا؟"، أوضح قائلًا: "إنها الأسلحة الوحيدة التي نملكها للدفاع عن أصدقائنا من أعدائهم"، وأضاف واتي: "لا تخافي منَّا، يا سيدة كويلينا، لأننا مسافرون غير مؤذيين. فالحطاب الصفيح والجندي الصفيح وخيال المآتة لا يأكلون، والجنية ابنة قوس قزح تقتات فقط على قطرات الندى. أمَّا بالنسبة لي، فأنا جائع إلى حدٍّ ما، ولكن هناك الكثير من الطعام في حديقتك ليكفيني".

انضمَّ البروفيسور خزونتر إلى زوجته عند النافذة، بدا خائفًا إلى حدٍّ ما، على الرغم من كلام الصبي المطمئن. كان يرتدي قبعة موشكين زرقاء، ذات تاج مدبَّب وحافة عريضة، ونظارات كبيرة تغطي عينيه.

ألقى نظرة خاطفة من وراء زوجته وبعد أن نظر بتمعُّن إلى الغرباء، قال: "رؤيتي لكم ومظهركم يؤكد أنكم مسافرون مسالمون، كما تقولون، ولستم جزارين. الجزارون ينبغي أن يخافوا مني، لكنكم في أمان. مُرحَّبٌ بالصبي ليتناول ما يشاء من حديقتنا، هناك جزر وكرنب طازج. للأسف لن نستطيع دعوتكم لداخل المنزل، فأنتم ترون كم هو صغير. المنزل على قدر أحجامنا فقط. بإمكانكم قضاء الليل في الحديقة، لو رغبتم. لكن في الصباح عليكم بالمغادرة، فنحن نحبُّ الهدوء ولا نحب الصحبة".

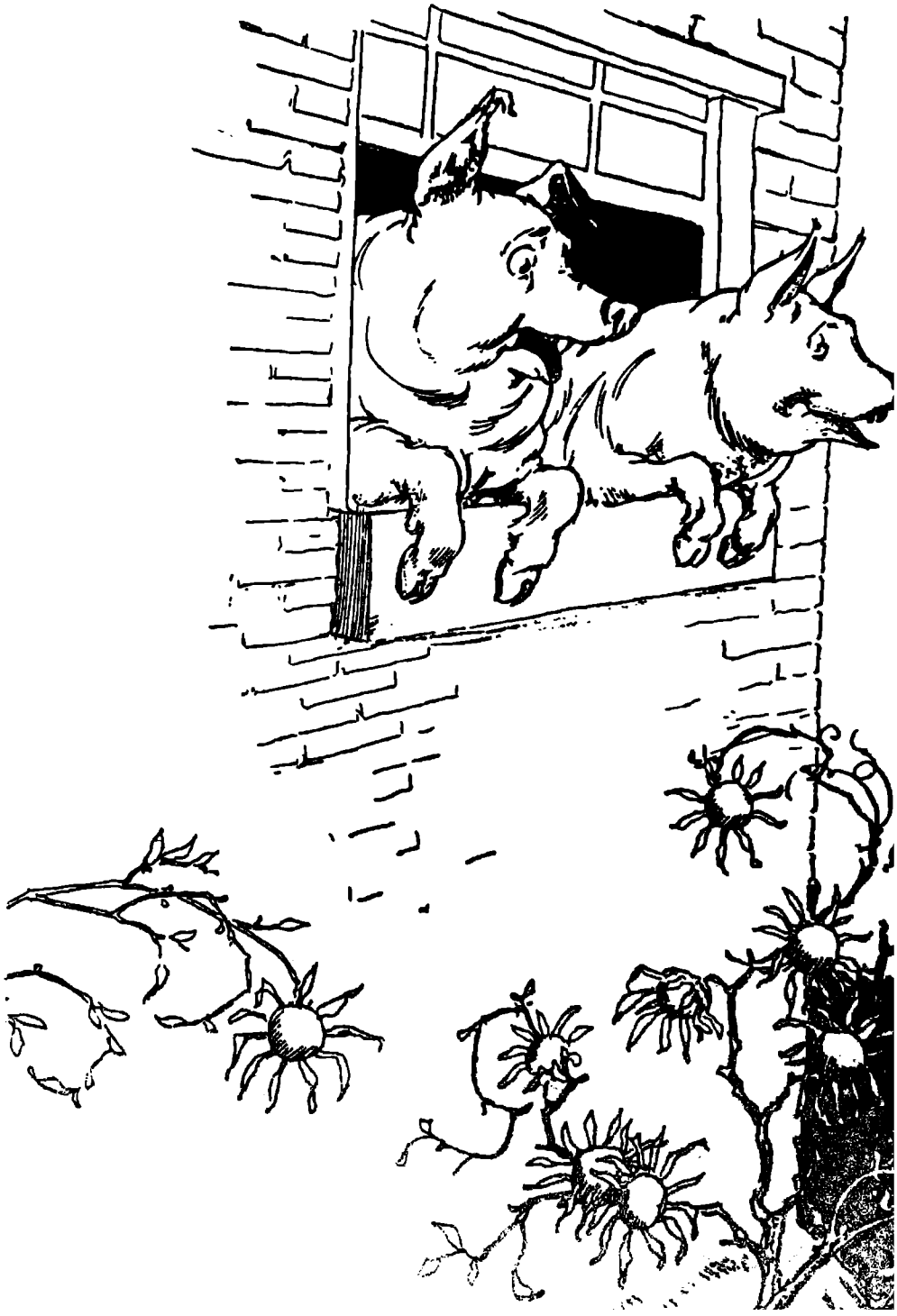

سأل خيال المآتة: "هل يمكن أخذ بعض من القش؟"، ردَّ البروفيسور خزونتر: "تفضَّل"، ثم دخل الخنزير وزوجته إلى داخل المنزل.

رافق واتي خيال المآتة لكومة القش في الفناء الخلفي وقال أثناء مشيهم: "بالنسبة لخنازير، فهم محترمون جدًّا"، وأضاف الجندي الصفيح: "أنا سعيد أنهم لم يدعونا للداخل. صحيح أني لست انتقائيًّا في رفقائي وزملائي، لكن عند الخنازير أضع حدًّا لصحبتهم".

فرح خيال المآتة حينما تخلَّص من التبن، فأثناء المشي الطويل السابق من عند الخندق إلى هنا، تكدَّس التبن وجعل هيئته كالبدين بكرش، وترهَّلَت أطرافه وتهدَّلَت.

انشغل واتي وبوليكروم في نزع التبن من خيال المآتة، ثم حشوه بأفضل أنواع القش، الهش والذهبي. أصبح لديهما خبرة ما في حشو جسد خيال المآتة، فقاما بعملهما بدرجة من الإتقان. أحس حين انتهت عملية الإحلال بالبهجة والسعادة، حتى إنه حاول الرقص، وكاد ينجح.

قال خيال المآتة: "ليس من عاداتي التفاخُر، لكني أحبُّ هيئتي الطبيعية، والتي لا يمكن أن تكون ملائمةً إلَّا بالقش. لم أكن أشعر بنفسي منذ أكل هيب هوب جراف الجائع قشِّي".

قرَّر واتي: "سأنام على كومة القش هنا"، بعد أن تناول خضروات متنوعة من حديقة الخنازير. في الواقع كانت كومة القش فراشًا وثيرًا، فنام عليه نومًا هانئًا. بينما جلس رجلا الصفيح وخيال المآتة بجانبه صامتين، واستمتعت بوليكروم برقص إيقاعي على ضوء القمر.

مع طلوع النهار، انشغل الحطاب الصفيح والجندي الصفيح في تلميع جسديهما وتزييت مفاصلهما؛ لأنهما حريصان للغاية على مظهرهما الشخصي. لقد نسِيَا الشجار بسبب اصطدامهما العرضي ببعضهما البعض في البلد المحجوب. وكونهما الآن صديقين مقرَّبَيْن،

قام الحطاب الصفيح بتلميع ظهر الجندي الصفيح، ثم قام الجندي الصفيح بتلميع ظهر الحطاب الصفيح.

للإفطار، تناول واتي الرَّحَّال بعضًا من الخس والفجل، وارتشفت بوليكروم قليلًا من الندى من على الزهور البرية على أطراف الحديقة. استعدَّ الجميع لاستكمال رحلتهم تجاه قمة مونش، وقبل مغادرتهم الحديقة وأثناء مرورهم بمنزل الخنازير، صاح واتي: "وداعًا يا مدام خنزور ويا بروفسير خنزور"، انفتحت النافذة وأطلَّ منها رأس البروفسير وزوجته وقالا في نفس واحد: "رحلة سعيدة".

خطر على بال خيال المآتة سؤال، فهتف: "هل لديكم أطفال؟"، أجاب البروفيسور: "نعم، كان لدينا تسع أطفال. لكنهم لا يعيشون معنا هنا. عندما كانوا خنازير صغيرة، جاءنا ساحر أوز العجيب وعرض علينا الاعتناء بهم وتعليمهم، سمحنا له بالحصول عليهم؛ لأنه ساحر جيد، ويمكن الاعتماد عليه للوفاء بوعوده".

قال الحطاب الصفيح: "أنا أعرف التسع خنازير الصغار"[1]، وردَّد خيال المآتة بنفس الحماس والنبرة: "وأنا أيضًا، إنهم يعيشون في القصر الملكي بمدينة الزمرد. وساحر أوز العجيب يهتمُّ بهم ويرعاهم جيِّدًا ويعلمهم كثيرًا من الحيل والأكروبات".

استفسرت السيدة كويلينا بقلق: "هل كبروا؟"، أجاب خيال المآتة: "لا... مثل كل الأطفال في أرض أوز، يظلُّون أطفالًا، وفي حالتهم هذا

(1) قابلنا التسعة خنازير الصغيرة nine tiny piglets في الرواية الرابعة، دورثي والساحر في أوز. حينها قال الساحر: "إنهم من جزيرة تونتي وينت، وفيها كل شيء صغير؛ لأنها جزيرة صغيرة. بحَّار من لوس أنجلوس أعطاني تلك التسعة خنازير صغيرة في مقابل تسع تذاكر للسيرك". وبذلك من الممكن أن تعتبره خطأ استمرارية من المؤلف، أو أن هناك حكاية أخرى تفسِّر ذلك التضارب، نُشِرَت في مجلة أوز السنوية، مفادها أن البروفسير وزوجته كانا في زيارة لتلك الجزيرة، حيث قابلهم بحار (من الممكن أن يكون كابتن بيل أو والد تروت) وهناك حدث وعد ساحر أوز العجيب للزوجين.

شـيء جيـد؛ لأنهـم مـا زالـوا محتفظيـن بظُرفِهـم وجَمالهـم ويملـؤون القصـر بهجـة ومرحًـا".

سـألت الأم بلهفـة: "لكـن... هـل هـم أنفسـهم سـعداء؟"، قـال الحطاب الصفيـح: "كل شـخص فـي مدينـة الزمـرد يعيـش سـعيدًا فـي رغـد وهنـاء... لا تقلقـي".

ثـم ألقـى كلُّ واحـد مـن مسـافرينا تحيـة الـوداع، وانطلقـوا فـي طريقهـم، وتسـلقوا جانـب الـوادي صعـودًا تجـاه قمـة مونـش.

الفصل الحادي والعشرون

سحر بوليكروم

في صباح اليوم، الذي ينبغي أن يكون اليوم الأخير في هذه الرحلة المهمة[1]، بدأ أصدقاؤنا مسيرتهم مشرقين متفائلين، فبينما صفَّر واتي لحنًا موشكيًّا مميَّزًا، رقصت بوليكروم على الأنغام المرحة.

بعد خروجهم من الوادي، امتدَّ السهل مفروشًا بالعشب الأزرق والزهور البرية، السهل الممتد إلى قمة مونش، الذي بدا لهم أقربَ ممَّا كان في الليلة الماضية. حفَّزهم المنظر على التَّقدُّم بخطى سريعة، وبحلول الظهيرة،

(1) اليوم هو اليوم السابع والأخير منذ بداية الرواية بوصول واتي الرحال لقصر إمبراطور الوينكلز.

أصبحت القمة بالقرب منهم لدرجة أبهرهم منظرها الهائل. كانت السفوح مغطَّاة بشجيرات دائمة الخضرة متوسطة الطول، تحتها تمتدُّ أعشاب زرقاء مثل التي تفترش السهل وراءهم.

ولأول مرة، انتبهوا لوجود منزل عند سفح الجبل، بديع المنظر، ليس كبير الحجم، لكنه مطليٌّ بألوان مُبهِجة ومحاط بالزهور من كل جانب، والكرم يتسلَّق الباب والنوافذ حتى السقف.

توجَّه مسافرونا نحو المنزل البديع المنعزل، خطر لهم أن سكانه من الممكن أن يجيبوهم على استفساراتهم بشأن مكان تواجد نامي نام. لم يكن هناك ممرٌّ، لكن الطريق مفتوح وواضح.

وعلى مسافة من المسكن، توقَّف واتي الرَّحَّال فجأة، فقد كان في مقدِّمة الصحبة، وانتفض وتعثَّر للخلف ووقع على ظهره في المرج. حدَّق خيال المآتة فيه بدهشة وسأله: "لماذا فعلت ذلك؟"، نهض واتي وجلس على الأرض ونظر حوله في ذهول: "أنا... أنا لا أعرف". تقدَّم الرجلان من الصفيح، جنبًا إلى جنب، ليتجاوزا الصبي الجالس على الأرض، ثم فجأة، توقَّفا وانتفضا وتعثَّرا للخلف ووقَعَا مثل مع واتي بالضبط.

ضحكت بوليكروم على هذا المشهد الغريب، لم تتوقف عن خطواتها الراقصة، ولكنها حين توقَّفَت فجأة وكاد يحدث لها مثلما حدث لهم، استطاعت الحفاظ على توازنها في آخر لحظة؛ بسبب مهارتها رشاقتها.

اندهش الجميع، وقال خيال المآتة متحيِّرًا: "أنا لا أرى شيئًا"، تابع واتي: "ولا أنا... لكن هناك شيء ما خبطني... أو أن شيئًا كهذا حدث لي"، أضاف الحطاب الصفيح: "شخص ما غير مرئي ضربني ضربة شديدة"، وهو يكافح لتخليص نفسه من التشابك مع الجندي الصفيح.

قالت بوليكروم: "لست متأكِّدةً من أنه شخص ما"، وأمعَنَت النظر، وبدت ملامحها أكثر جدية من المعتاد وأكملت: "يبدو لي أني اصطدمت بمادة صلبة هي التي أعاقت طريقي. لأتأكَّد. سأختبر ما حدث في مكان آخر". تراجعت وجرَّبَت التقدم نحو المنزل من جانب آخر بحذر شديد، لكن عندما وصلت لمكان على نفس الخط مع موقعهم، توقَّفَت ومدَّت ذراعيها أمامها تتحسَّس شيئًا ما.

قالت: "أحسُّ بشيء صلب، شيء أملس كأنه زجاج... لكني لست متأكِّدةً من أنه زجاج"، بادر واتي: "دعني أحاول"، نهض واقفًا وتقدَّم مرة ثانية، لكنه واجه نفس العائق وحينها تحسَّسه، وقال: "لا... إنه ليس زجاجًا... ما هذا يا ترى؟".

ردَّ صوت خافت من مصدر ما بجانبه: "هواء... إنه هواء صلب. هذا كل ما في الأمر"، التفت الجميع لمصدر الصوت، فشاهدوا أرنبًا بلون أزرق سماوي يخرج رأسه من جحر في الأرض، لاحظت واتي أن لون عيني الأرنب أغمق قليلًا من فرائه؛ ممَّا جعل منظره ودودًا ولطيفًا.

استغرب واتي وهو يحدِّق في عيني الأرنب: "هواء... لم أسمع من قبل عن هواء جامد لدرجة أن المرء لا يمكنه دفعه"، ردَّ الأرنب: "لا يمكنك دفع أو إزاحة هذا الهواء؛ لأنه مصنوع بواسطة مشعوذة قوية، وهو يُشكِّل حائلًا يهدف إلى منع الناس من الوصول إلى ذلك المنزل هناك".

هتف الحطاب الصفيح: "أوه، إذًا هو جدار، أليس كذلك؟".

أجاب الأرنب: "نعم، إنه جدار حقًّا، ويبلغ سُمكه ستَّ أقدام".

استفسر الجندي الصفيح: "ما هو ارتفاعه؟".

أجاب الأرنب: "أوه، عالٍ للغاية؛ ربما ميل".

سأل واتي: "ألا يمكننا الالتفاف حوله؟".

أوضح الأرنب: "بالطبع، فالجدار عبارة عن دائرة. وفي وسط الدائرة يقف المنزل؛ لذا يمكنك المشي حول جدار الهواء الصلب، لكن لا يمكنك الوصول إلى المنزل".

سأل خيال المآتة: "مَن وضع جدار الهواء حول المنزل؟".

"نامي نام".

نزلت تلك الإجابة عليهم كالصاعقة وهتفوا كلهم في دهشة بالغة: "نامي نام".

أجاب الأرنب الذي دُهِشَ من تعبير دهشتهم: "نعم... إنها فتاة كانت تعيش مع ساحرة عجوز. وذات يوم تلك الساحرة هلكت، حينها هربت الفتاة من منزل الساحرة العجوز، وأخذت معها تعويذة سحرية، مكَّنَتها من بناء جدار الهواء الصلب حول ذلك المنزل. إنها فكرة ذكية، فهي لم تحجب جمال المنظر الطبيعي الذي يطَّلع عليه المنزل، بالإضافة طبعًا إلى أنه يمنع الغرباء من دخول المنزل".

سأل الحطاب الصفيح في قلق بالغ: "هل نامي نام تعيش هناك؟"، أجاب الأرنب: "نعم. بالطبع"، أكمل الإمبراطور: "وهل تقضي وقتها في النحيب والبكاء من الصباح حتى المساء"، أجاب الأرنب باستنكار: "لا. بالطبع. هي سعيدة طوال الوقت".

شعر الحطاب الصفيح بخيبة أمل حينما سمع هذه الأخبار عن حبيبته القديمة، لكن خيال المآتة أسرع يقول لصديقة ورفيقه عندما رأى حاله: "لا تهتم يا سعادتك. مهما كانت نامي نام سعيدة، فأنا متأكِّد أنها ستكون أسعد عندما تلقاك يا جلالة الإمبراطور الوينكلز".

قال الجندي الصفيح بنبرة متحدية: "أو ربما ستكون أكثر سعادة حينما تصبح عروس الجندي الصفيح"، تجاهل الحطاب الصفيح تلك النبرة وقال بأمانة: "أنا وافقت على أن أدعها تختار فيما بيننا. لكن هل شرعنا في الوصول إلى تلك الفتاة المسكينة أوَّلًا؟".

لـم تتوقـف بوليكـروم عـن الرقـص، لكنهـا اسـتمعت وأنصَتَـت لـكل كلمة مـن الحـوار الدائـر أمامهـا، وحيـن سـمعت الجملـة الأخيـرة مـن الحطـاب الصفيـح، تقدَّمَـت ناحيـة الأرنـب السـماوي وجلسـت علـى الأرض أمامـه بالضبـط. لـم يجفـل الأرنـب ولـم يتراجـع ونظـر لابنـة قـوس قـزح بإعجـاب.

سألته بوليكروم: "هل نفقك يمتدُّ تحت جدار الهواء الصلب؟".

"بالتأكيـد... لقـد حفرتـه بتلـك الطريقـة حتـى أسـتطيع التجـوُّل فـي تلـك الحقـول الواسـعة، بالخـروج للسـطح وقتمـا وأينمـا أرغـب، فـي بعـض الأحيـان آكل الكرنـب مـن حديقـة نامـي نـام، بـأن صنعـت مخرجًـا هنـاك. لا أعتقـد أن نامـي نـام تمانـع فـي فقـدان قليـل مـن الكرنـب المـزروع فـي حديقتهـا، أو حفـر نفـق أسـفل جدارهـا السـحري. الأرانـب ينبغـي لهـا أن تتجـوَّل بحريـة فـي أي مـكان تريـد. لكـن لا أحـد أكبـر مـن حجمـي يمكنـه الدخـول فـي نفقـي".

"هل ستسمح لنا بالمرور في النفق، إذا استطعنا ذلك".

"نعـم. بالطبـع. نامـي نـام لـم تكـن يومًـا صديقـة لـي. يومًـا مـا قذفتنـي بالحجـارة، لأنـي فقـط قضمـت قليـلًا مـن الخـس، وأمـس صاحـت فـيَّ 'هششـش' حينمـا أكلـت بعـض الجَـزَر مـن حديقتهـا؛ ممَّـا جعلنـي عصبيًّـا؛ لـذا مرحبًـا بكـم لاسـتخدام نفقـي كمـا تشـاؤون".

اعترض واتي: "هذا غير معقول... حجمنا ضخم للغاية، ولن يمكننا العبور من نفق الأرنب هذا"، قال خيال المآتة بهدوء: "نحن حجمنا كبير حاليًّا. لكن لا تنسَ أن بوليكروم جنِّيَّة، والجنِّيَّات لديهن قوى سحرية"، ابتهج واتي والتفت إلى ابنة قوس قزح وسألها بلهفة: "هل بإماكنك تصغيرنا ليصبح حجمنا صغيرًا مثل الأرنب".

أجابت بابتسامة: "يمكنني المحاولة". لم تحاول، بل فعلت ذلك بمنتهى السهولة، لدرجة أن واتي لم يكن الوحيد المتعجِّب لسهولة وسرعة ما حدث، ففي أقل من نصف دقيقة بَدَت لهم حفرة الأرنب نفقًا كبيرًا عميقًا واسعًا.

هتفت بهم بوليكروم: "سأدخل أوَّلًا"، فقد صغَّرَت حجمها مثل الآخرين، وإلى داخل النفق دخلت دون تردُّد. دخل بعدها خيال المآتة المصغَّر، وبعده رَجُلَا الصفيح المصغَّران.

قال الأرنب السماوي للصبي المصغَّر واتي الرَّحَّال: "هيا تقدَّم، إنه دورك. سأتقدَّم بعدك لأرى كيف تمشون في نفقي. فهي ستكون مفاجأة ظريفة وكبيرة لتلك المشعوذة نامي نام".

دخل واتي النفق، وتعجَّب أن جدران النفق ليست خشنة أو ذات نتوءات، وعلى الرغم من الظلام، فالنفق ينزل بميلٍ لطيف للأسفل قبل أن يستقيم لمسافة معتبرة للداخل، فلم يحس بالرهبة أو الغرابة، سار قليلًا حتى ظهر نور النهار مرة أخرى، فعرف أن الرحلة انتهت، فكَّر أنه لو كان محافظًا على حجمه الطبيعي، لم تكن الرحلة استغرقت ثلاث خطوات، لكنها بالنسبة للصبي واتي عقلة الإصبع، فهي بمثابة تريُّض وتمشية.

حينما خرج من الطرف الثاني من جحر الأرنب، اكتشف أنه يقف مع صحبة أصدقائه على مسافة قريبة للغاية من المسكن، في منتصف حديقة خضروات، حيث أوراق الكرنب والخس عريضة كأنها أشجار نخيل عملاقة.

قال خيال المآتة بابتهاج: "حتى الآن، كل شيء على ما يرام"، ردَّ الحطاب الصفيح بنبرة حزينة ومضطربة: "نعم، حتى الآن، ولكن ليس أبعد من ذلك"، وأكمل في نبرة غلبت عليها الكآبة: "أنا الآن بالقرب من نامي نام. ووصلت إلى أقصى قُربٍ في سعيي للبحث عليها. لكن كيف سأطلب منها أن تتزوَّج رَجُلًا ضئيلًا مثلي حاليًّا"، ردَّد الجندي الصفيح بنفس النبرة الحزينة: "وأنا لست أكبر من جندي لعبة لطفل، إلا لو أعادتنا بوليكروم لأحجامنا الطبيعية. فلا فائدة من زيارتنا للمحبوبة نامي نام. أنا واثق أنها لن تهتمَّ بزوج من الممكن أن تدوس عليه وتفعصه".

ضحكت بوليكروم بمرح وقالت: "إذا أعدتكم لحجمكم الطبيعي. قد لا تستطيعان الخروج من هناك مرَّة ثانية. أمَّا إذا ظللتم على حجمكم الصغير هذا فستضحك عليكم نامي نام. ها... عليكم بالاختيار؟".

قال واتي بجدية: "أظن أن علينا العودة".

قال الحطاب الصفيح بشجاعة: "لا... لقد قرَّرتُ منذ بداية الرحلة أن واجبي الأول هو أن أجعل نامي نام سعيدة، في حال لو رغبت في الزواج مني"، ردَّد الجندي الصفيح بنفس نبرة الشجاعة: "أنا أيضًا... الجندي الجيد لا يتوانى عن أداء واجبه".

قال خيال المآتة: "طالما الصفيح لن ينكص عن عهده أبدًا، فإن القش لن يتخلَّف تحت أي ظرف من الظروف. إذًا، أنا وواتي نعتزم دعم رفقائنا، مهما كان قرارهم؛ لذا سنطلب من الجنِّيَّة بوليكروم أن تعيدنا لحجمنا الطبيعي كما كنَّا من قبل".

وافقت بوليكروم على طلبهم، وفي أقل من نصف دقيقة عاد الجميع، بما فيهم هي، إلى حجمهم الطبيعي مرة ثانية. شكروا الأرنب السماوي على لُطفه ومساعدته لهم، وانطلقوا يقتربون من مسكن نامي نام.

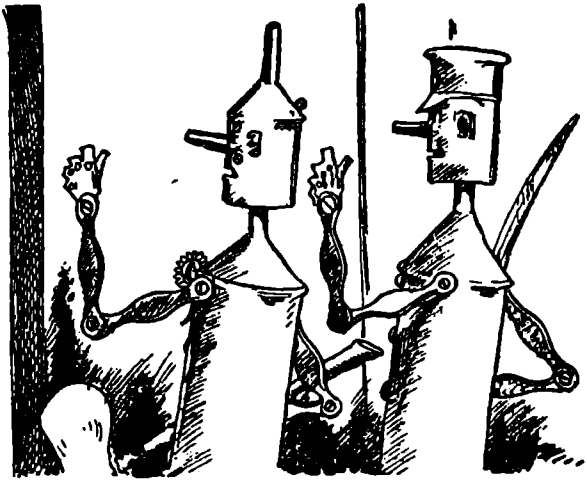

الفصل الثاني والعشرون

نامي نام

يجب أن نكون على يقين أنه في هذا التوقيت كان أصدقاؤنا متلهِّفين لمعرفة مصير المغامرة التي سبَّبَت كثيرًا من المحن والمصاعب، مثلكم أنتم أيها القراء. ربما قلب الحطاب الصفيح لا ينبض أسرع لأنه مصنوع من المخمل الأحمر المحشو بنشارة الخشب، وربما قلب الجندي الصفيح لا ينبض بقوة لأنه مصنوع من الصفيح وموضوع داخل صدرة الصفيح بدون أي لمحة مشاعر، إلا أنه لم يكن هناك شكٌّ أن كليهما يعرف أن اللحظة المصيرية في حياتهم على وشك الوصول، وأن قرار نامي نام مُقدَّر له التأثير على مستقبل حياة كل واحد فيهما.

أوراق الخس التي كانت تظلِّل رؤوسهم أصبحت الآن بالكاد تغطِّي أقدامهم؛ ممَّا جعلهم ينتبهون أنهم استعادوا أحجامهم الطبيعية في الحديقة، لم يكن هناك أي شخص سواهم فيها، كما لم يكن هناك صوت أي نشاط يصدر من داخل المنزل، لكن التوأم الصفيح تقدَّما للباب الأمامي على نفس الخطوة، ووقفا جنبًا إلى جنب في الرواق المفضي للباب وطرَقَا عليه بقبضاتهما الصفيح.

لم يسمعا ردًّا. لهفتهما لسماع إجابة جعلتهما يطرقان مرة ثانية، وثالثة. أخيرًا سمعا نحنحة من الداخل وسعالًا، وصاح صوت فتاة: "مَن هناك؟"، أجاب التوأم الصفيح في نفس واحد: "إنه أنا"، سأل الصوت الأنثوي: "كيف دخلت إلى هنا؟"، تردَّد الرجلان الصفيح في الرد، فأسرع واتي ليجيب عنهما: "عن طريق السحر"، قال صوت الفتاة: "آه... هل أنتم أصدقاء أم أعداء؟"، أجاب جميعهم في أصوات متداخلة: "أصدقاء".

سمع الأصدقاء خطوات تقترب من الباب، الذي انفتح ببطء كاشفًا عن فتاة موشكينية جميلة تقف على عتبة الباب. عند رؤيتها هتف التوأم الصفيح: "نامي نام".

نظرت الفتاة لهما بدهشة باردة وردَّت: "نعم... هذا اسمي. لكن مَن أنتما؟".

قال الحطاب الصفيح: "ألا تعرفينني يا نامي... أنا حبيبك القديم، نيك الساطور".

قال الجندي الصفيح: "ألا تعرفينني يا عزيزتي... أنا حبيبك القديم، كابتن فلاير".

ابتسمت نامي نام لكلاهما، ثم تطلَّعَت ببصرها لبقية الصحبة الواقفين خلفهما وابتسمت مرة ثانية. ومع ذلك، بدت مستمتعة أكثر منها سعيدة.

أفسحت الطريق إلى داخل المسكن لهم وقالت مرحِّبةً: "هيا تفضَّلوا... حتى الأحبَّة يمكن أن يُنسوا بعد طول زمن... لكن أنتم مع أصدقائكم مُرحَّب بكم على الدوام".

الغرفة التي دخلوها دافئة ومريحة، مؤثَّثة بشكل بديع، ونظيفة، وليس بها ذَرَّة غبار، لكنهم وجدوا رجُلًا آخر في المنزل، يلبس زيًّا موشكينيًّا جذَّابًا، ويتكئ على كرسي مريح. أدار عينيه للزائرين بنظرة باردة وغير مبالية وشبه وقحة. لم ينهض من مقعده ليحيِّي الغرباء، ولكن نظرته إليهم كما لو كانوا أقل أهمية من أن يثيروا اهتمامه.

بادل توأم الصفيح النظر للموشكيني باهتمام، لكن كل من الحطاب الصفيح أو الجندي الصفيح أشاح نظره عنه، فقد لاحظا أنه يمتلك ذراعًا يسرى من الصفيح، تمامًا مثل أذرعهم الصفيح.

بدون أي مقدمات، صاح كابتن فلاير، في نبرة قاسية وساخطة: "يبدو لي أنك محتال حقير"، أسرع خيال المآتة لتهدئة جندي الصفيح: "برفق... برفق... لا داعي أن تكون وقِحًا مع الغرباء"، وكأن الجندي الصفيح استُفِزَّ أكثر فصاح صاخبًا: "وقِحًا! هل تقول إنني وقِحٌ! هو الوقح، وهو لصٌّ أيضًا! هذا الوغد يرتدي رأسي"، أضاف الحطاب الصفيح: "نعم... هو وقح ولصٌّ... إنه يرتدي ذراعي اليمنى! أستطيع التعرُّف عليها من الكالو المميَّز في أصبعي الصغرى".

هنا أدرك واتي الموقف وهتف: "رحماك يا رب... يجب أن يكون هذا الرجل هو مَن أخبرنا به السمكري كليب وسمَّاه فلانيك"، التفت الرجل إليهم وما زالت على وجه أمارات العبوس: "نعم... هذا هو اسمي"، وأكمل بلهجة تحدٍّ واستخفاف: "ومن السخف أن اثنين من مخلوقات الصفيح، أو حتى من أي شخص، المطالبة برأس أو بذراع، أو حتى أي جزء مني؛ فهذه ممتلكات شخصية".

صاح كابتن فلاير بعصبية: "أنت! أنت لست سوى لا أحد!"، وصاح الإمبراطور بنفس العصبية: "أنت! أنت لست سوى شخص مُجمَّع"، قاطعتهم نامي نام: "مهلًا. مهلًا. أيها السادة. يجب أن أطلب منكما أن تكونا أكثر احترامًا مع المسكين فلانيك. بما أنكم ضيوفي، ليس من الأدب إهانة زوجي"، صرخ التوأم في فزع: "زوجك!"، قالت نامي نام بهدوء: "نعم. لقد تزوَّجتُ فلانيك منذ وقت طويل. فأحبائي القدامى هجروني".

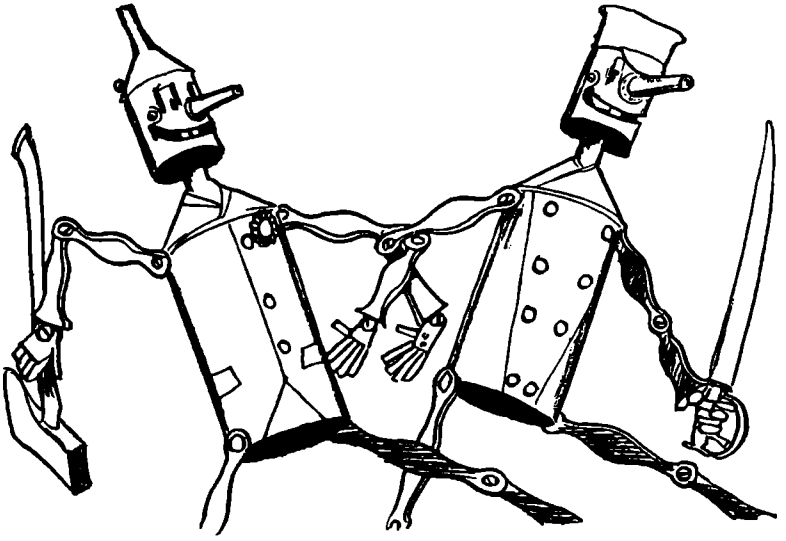

هـذا التوبيـخ أحـرج كلًّا مـن الحطـاب الصفيـح والجنـدي الصفيـح، فنظـرا لـلأرض خجـلًا، ومـرَّت لحظـة صمـت، ثـم قـال الحطـاب الصفيـح شـارِحًا موقفـه بصراحـة: "أنـا صدئـت"، وكـرَّر الجنـدي الصفيـح شـارحًا موقفـه: "وأنـا أيضًـا".

"لـم أعـرف ذلـك بالطبـع، كل مـا عرفتـه أن أيًّـا منكمـا لـم يـأتِ ليتزوجني كمـا وعـد. وأنتـم تعرفـون بالطبـع أن الرجـال ليسـوا نادريـن فـي أوز. بعـد أن جئـت إلـى هنـا لأستكمل بقيـة حياتـي وحيـدة، قابلـت الأستاذ فلانيـك. ووجدتـه رجُـلًا مثيـرًا للاهتمـام علـى نحـوٍ غيـر عـادي؛ فقـد ذكَّرنـي بكمـا أنتـم الاثنيـن، قبـل أن تصبحـا مـن صفيـح. بالإضافـة أنـه يملـك ذراعًـا مـن الصفيـح. وهـذا ذكَّرنـي بكمـا أكثـر".

قـال خيـال المآتـة: "لديـك حـق"، لكـن واتـي اعتـرض: "لكـن، اسـمعي، يا نامي نـام. هـو حقًّـا كلاهما، فهـو مكـوَّن مـن أجزائهمـا المهملـة والمتروكة"، جادَلَـت بوليكـروم ضاحكـةً بينمـا تسـتمتع كثيـرًا بارتبـاك الآخريـن: "آه... فـي الحقيقـة هـذا ليـس صحيحًـا يـا واتـي. الرجـلان مـن الصفيـح مـا زالا همـا

أنفسهما، كما يمكن أن يقولا ذلك لك بأنفسهما. أما بالنسبة للأستاذ فلانيك فهو شخص آخر".

خيَّمَت الحيرة على الأصدقاء، ففي تصريح بوليكروم كثير من الحقائق التي تحتاج كثيرًا من الوقت ليستوعبوها. غمغم الحطاب الصفيح: "هذا كله خطأ السمكري كليب، لم يكن لديه الحق في استخدام أجزائنا المهملة لصنع رَجُلٍ آخر".

قالت نامي نام بهدوء: "لكنه فعل، بالرغم من كل شيء، صنع رجُلًا جديدًا من أجزائكما المهملة، وبالرغم من كل شيء، تزوَّجتُه؛ لأنه يُمثِّل كليكما. لن أقول إنه زوج أفتخر به، لأنه يمتلك طبيعة مختلطة منكما أنتما الاثنين، وهو ليس دائمًا رفيقًا لطيفًا مثلما كنتما سابقًا... هناك أوقات يتعيَّن فيها تأنيبه بلطف، سواء بلساني أو بعصا المكنسة. لكنه زوجي، ويجب أن أستفيد منه بأفضل ما يكون".

اقترح الحطاب الصفيح: "إذا كنتِ لا تحبينه، يمكنني أنا والكابتن فلاير أن نقطعه بفأسي وسيفه، وكل واحد يأخذ أجزاءه. ثم نحن على استعداد لكي تختاري واحدًا منَّا ليكون زوجك". وافق الجندي الصفيح شاهِرًا سيفه وقال: "هذه فكرة جيدة".

قالت نامي نام: "لا... سأحتفظ بالزوج الذي بحوزتي حاليًّا. لقد درَّبته على سحب المياه من البئر، وقطع الخشب من الغابة، وزرع الخس والكرنب في الحديقة، ونفض وترتيب الأثاث داخل المنزل، والعديد من المهام ذات الطابع المنزلي. الزوج الجديد يجب أن يتمَّ تعنيفه -بلطف بالطبع- حتى يتعلَّم عاداتي وأساليبي؛ لذا أظن أن من الأفضل الاحتفاظ بزوجي القديم، الذي اعتدت عليه. أنا لا أرى أي سبب يجعلكم تعارضونه. لقد رميتم أيها السيدان أجزاءكما القديمة المنبوذة والمهملة والمتروكة حين استبدلتماها بأطراف تعويضية من الصفيح؛ لأنكما لم تعودا بحاجة إليها، فليس لديكما الحق في المطالبة بها الآن. أنصحكما أن تعودا إلى بيتَيْكما وأن تنسياني، كما نسيتكما".

ابتسمت بوليكروم وقالت: "نصيحة جيدة"، فسألها الجندي الصفيح: هل أنتِ سعيدة؟"، قالت: "بالطبع أنا سعيدة. أنا ملكة في مملكتي الصغيرة. أنا الآمِرة الناهية في منزلي"، سألها الحطاب الصفيح: "ألا تريدين أن تكوني إمبراطورة الوينكلز؟"، ردَّت: "شكرًا. لا. هذا سيكون فيه كثير من الإزعاج. أنا لا أهتم بالاجتماعيات والمناسبات والاستعراضات. كل ما أرغب فيه أن تتركوني وحدي وألَّا يزعجني الزُّوَّار".

لَكزَ خيال المآتة واتي الرَّحَّال وقال له: "يبدو وكأنها تُلمِّح لشيء ما"، فقال واتي، الذي اعتراه قليل من الخجل والإحباط، لأنه هو مَن اقترح الرحلة من الأساس: "يبدو أن رحلتنا انتهت بدون أي نتيجة"، لكنه فوجئ أن الحطاب الصفيح يقول: "برغم كل شيء. أنا سعيد، فقد عثرت على نامي نام، واكتشفت أنها متزوجة وسعيدة. ومن الآن سوف أتحرَّر من أي قلق بشأنها"، وتابع الجندي الصفيح بقول: "أمَّا بالنسبة لي. أنا سعيد أني تحرَّرتُ من الصدأ. الشيء الوحيد الذي يزعجني أن رأسي يمتلكها هذا الرجل"، تابع الحطاب الصفيح: "بالنسبة لهذا الموضوع، فلديك حق، أنا متأكِّد أن جسده هو جسدي، أو على الأقل أجزاء كثيرة منه. على أي حال، لا تشغل بالك يا صديقي الجندي، دعنا نهب أعضاءنا المتروكة لتأمين سعادة لحبنا القديم نامي نام. ويجب أن نكون شاكرين أن مصيرنا لا ينتهي بملء الدِّلاء بالماء أو زراعة الخضراوات -حتى ولو بلطف- كمصير ذلك المخلوق المسكين فلانيك"، وافق الجندي الصفيح: "نعم. لدينا الكثير لنكون شاكرين من أجله".

خطوات بوليكروم الراقصة قادتها لخارج المنزل، وبانتهاء لقائهم مع نامي نام، أطلَّت من نافذة الدور الأرضي عليهم وقالت في صوت حلو: "لقد بدأ الجو يغيم الآن. ربما ستمطر".

الفصل الثالث والعشرون

عبر النفق

لـم تمطـر فـي الحـال، بالرغـم مـن أن الغيـوم ازدادت سُمكًا وهـدَّدَت أنها ستمطر في أي وقـت قريبًا. بوليكروم تمنَّـت هبـوب عاصفـة رعديـة، يعقبهـا قـوس قـزح، لكـن التـوأم الصفيـح لـم تكـن فكـرة البَلَـل فكـرة لطيفـة بالنسـبة لهمـا، حتـى إنهمـا فكَّـرَا فـي البقـاء فـي منـزل نامـي نـام حتـى انتهـاء المطـر، بالرغـم مـن إحساسـهما أنهمـا غيـر مُرحَّـب بهمـا، بـدلًا مـن الخـروج ومواجهـة خطـر الصـدأ، لكـن خيال المآتـة، صاحـب التفكيـر المـدروس والمرتَّـب، قـال لهـم: "إذا ظللنـا هنـا حتـى انتهـاء العاصفـة، فعلـى الأغلـب سـتذهب بوليكـروم بعيـدًا مـع قـوس قـزح وسـنبقى سـجناء هنـا

داخل حائط الهواء الصلب؛ لذا من الأفضل أن نشرع في رحلة العودة على الفور. لو أصابنا البَلَل، صحيح قشّي سيفسَد، وهذان الرجلان من الصفيح سيُصابان بالصدأ، لكن هذا سيكون أفضل من البقاء هنا سجناء. بمجرد اجتيازنا عائق حائط الهواء الصلب، بإمكان واتي الرَّحَّال مساعدتنا، يمكنه تزييت مفاصلكما وتنجيد حشوتي، إذا دعت الضرورة؛ فهو صبي من لحم ودم، ولن يؤثر فيه البَلَل كما يؤثِّر فينا، فلن يصدأ أو يتكتَّل".

أطلَّت بوليكروم من النافذة مرة ثانية تستعجلهم: "هيا إذًا، هلمُّوا"، مع ندائها ثانية أدركت الصحبة حكمة منطق خيال المآتة، وغادروا منزل نامي نام، التي كانت سعيدة بالتَّخلُّص منهم، وقبل خروجهم لم ينسوا أن يقولوا "وداعًا" للزوج، الذي عبس لهم ولم يَردَّ الوداع، إلَّا أن هذا لم يعطلهم عن الإسراع بمغادرة المنزل.

في الحديقة، قال خيال المآتة: "اعذروني حينما أقول إن أجزاءكم القديمة ليست ودودة على الإطلاق"، عقَّب واتي: "لا أعتقد. فلانيك دائمًا عابس. احتمال أنه يرغب في توديعنا، لكن هذا هو منظره"، قال الحطاب الصفيح بنبرة استعطاف: "أرجو ألَّا تحمِّلونا مسؤولية هذا المخلوق. لقد انتهت علاقتنا به ولا يوجد شيء آخر يمكننا فعله له".

قادت بوليكروم الصحبة إلى جحر الأرنب السماوي، الذي ربما كانوا سيجدون صعوبة في العثور عليه لولا إرشاد الجنية ابنة قوس قزح، التي لم تضيع وقتًا في تصغيرهم مرة ثانية لتناسب أحجامهم حجم الأرنب السماوي، الذي كان مشغولًا بأكل الخس من حديقة نامي نام، فلم يجدوا وقتًا لاستئذانه لدخول النفق، لكنهم كانوا واثقين أنه لن يمانع.

في هذه اللحظات، بدأت قطرات المطر في التساقط، ولحسن الحظ، كان النفق ما يزال جافًّا من الداخل، وبحلول الوقت الذي وصلوا فيه للطرف الآخر، خارج الجدار الدائري للهواء الصلب، كانت العاصفة في أوجها، والمطر يتساقط في سيول.

أطلَّت بوليكروم من فتحة النفق الخارجية وتراجَعَت سريعًا واقترحت عليهم: "من الأفضل أن ننتظر هنا قليلًا. قوس قزح لن يظهر إلا بعد انتهاء العاصفة، ويمكنني إعادتكم لأحجامكم الطبيعية في لمح البصر، لا تقلقوا، وبعدها يمكنني اللحاق بأخواتي الجنيات على القوس".

أبدى خيال المآتة موافقته وقال: "هذه خطه جيدة. بهذه الطريقة سأحافظ على نفسي من الرطوبة والبَلَل". تابع الجندي الصفيح: "وستنقذني من خطر الصدأ". تابع الحطاب الصفيح، الذي استعاد شخصية الإمبراطور: "وستبقيني مصقولًا مُزيَّنًا كما أنا دائمًا".

قالت ابنة قوس قزح: "بينما ننتظر هنا. أحب أن أقدم لكم وداعًا حارًّا. يجب أيضًا أن أقدِّم لكم شكري العميق لإنقاذي من تلك العملاقة الرهيبة، السيدة يووب. أنتم كنتم رفقاء طيبين، واستمتعت كثيرًا بمغامراتنا معًا، لكني لن أكون بمثل سعادتي حين أعود إلى قوس قزح بين أخواتي".

سأل واتي: "هل سيوبِّخكِ والدك على بقائك في الأرض؟"، قالت بوليكروم بمرح: "على الأغلب سيفعل، أنا دائمًا ما أتعرَّض للتوبيخ بسبب مقالبي المجنونة، كما يسميها. أخواتي لطيفات وخفيفات ورهيفات، حتى إنهنَّ لا يرقصن على قوس قزح، وبالتالي لا يَخُضن أي مغامرات أبدًا. المغامرات بالنسبة لي هي مُتَع شَيِّقة. أنا فقط لا أحب أن أبقى طويلًا على الأرض، لأنني حقًّا لا أنتمي إلى هنا. سأخبر أبي قوس قزح أني سأحاول ألَّا أكون مُهمِلةً مرة أخرى، وسوف يغفر لي؛ لأن قصور السماء دائمًا ما تمتلئ فرحًا وسعادة".

شعروا بالأسف فعلًا على مفارقة رفيقتهم الجميلة بوليكروم وأكَّدوا لها أنهم سيشتاقون لمقابلتها مرة ثانية. صافحت خيال المآتة والحطاب الصفيح والجندي الصفيح، وقبَّلَت واتي الرَّجَّال قُبلةً خفيفة رقيقة على جبهته.

توقَّف المطر فجأة، وغادر الأصدقاء المصغَّرون جُحر الأرنب السماوي. وفور خروجهم شهدوا ظهور قوس قزح مبهج مُشِعٍّ في السماء، يرسل طرفه إلى الأرض، ويلمس المكان الذي يقفون فيه.

انبهر واتي بمشاهدة مجموعة من الجنيات العذراوات الجميلات، أخوات بوليكروم، يتصايحن ويتمايلن فوق حافة القوس، بينما مجموعة أخرى يرقصن بمرح وسط إشراق الألوان المتعددة، لدرجة أنه لم ينتبه أنه فعلًا استعادة حجمه الطبيعي.

استمتع بمشاهدة رفيقته بوليكروم تنضمُّ لأخواتها الجنيات، ولم تمُرَّ لحظات حتى ذاب قوس قزح في أشعة الشمس المشرقة، التي أضاءت المروج.

هتف الصبي: "لقد رحَلَت"، واستدار ليرى أصدقاءه ما زالوا يلوِّحون بأيديهم وداعًا للجنِّيَّة التي اختفت في قصور السماء.

الفصل الرابع والعشرون

وانسدل الستار

حسنًا، بقية الحكاية يمكن حكيها في كلمات قليلة؛ لأن رحلة العودة لم يكن بها حوادث مهمَّة تستحقُّ الذِّكر. خشي خيال المآتة من مقابلة هيب هوب جراف مرة ثانية، والذي بالتأكيد سيطالب بأكل حشوه القش، التي حصل عليها بعد معاناة مع حشوة التبن. حثَّ خيال المآتة رفقاءه على اختيار طريق آخر لمدينة الزمرد، ووافقوا لخاطر عيونه طبعًا، وبهذا تجنَّبَت الصحبة البلد المحجوب، وأكملت رحلتها بدون حوادث يمكن حكيها.

بالطبع، عندما وصلت الصحبة إلى مدينة الزمرد، كانت مهمتهم الأولى هي زيارة القصر الملكي، حيث تم استقبالهم بضيافة ملكية مميزة. استمتع الجندي الصفيح وواتي الرَّحَّال باستقبال فخم يليق بغرباء رفقاء سفر لصديقَيْ الأميرة أوزما القديمين: خيال المآتة والحطاب الصفيح.

في المساء، على مأدبة العشاء، حكى كل واحد طرفًا من قصة عثورهم على نامي نام بالتتابع، وأخيرًا جاء الدور على الحطاب الصفيح، فحكى كيف وجدوها سعيدة ومتزوِّجةً من فلانيك، الذي كانت علاقته مع نيك الساطور وكابتن فلاير مُعقَّدة ومحيِّرة، لدرجة أنه طلب نصيحة أوزما فيما ينبغي أن يفعلوه.

قالت أوزما: "لا داعي للتفكير في فلانيك على الإطلاق. إذا رضيت نامي نام بهذا الشخص المكوَّن من أجزائكما المهملة ليكون زوجًا لها، فليس لنا حقٌّ في لوم السمكري كليب على غراء ولصق أطرافكما المتروكة له".

قالت دورثي: "أعتقد أنها فكرة رائعة وجيدة. إذا لم يستخدم الأطراف المبتورة التي تركتماها، فبالتأكيد ستكون قد ضاعت، لو لم يستخدمها بحكمة. ليس من حسن الخلق أن تكون مُسرِفًا وتضيِّع الأشياء. أليس كذلك؟".

قال واتي: "حسنًا، عمومًا، فلانيك، بما أن زوجته تحتجزه، فقد أصبح بعيدًا جدًّا عن أي شخص منكما، يا أيُّها الحطاب الصفيح، ويا أيُّها الجندي الصفيح. لن يكون عليكم القلق منه، إلَّا إذا ذهبتم له وفتشتم عنه".

سألت بيتسي بوبين الحطاب الصفيح: "لماذا تهتم به أو تقلق بشأنه، طالما نامي نام سعيدة وراضية؟"، وقالت تروت: "كيف لفتاة أن تُفضِّل العيش مع إنسان مجمَّع مثل فلانيك، في مكان ناءٍ بعيد مثل قمة مونش، عن العيش كإمبراطورة الوينكلز؟".

قال الحطاب الصفيح باقتدار: "إنه اختيارها. ثم إنني لست واثقًا من أن الوينكلز سيهتمُّون بتنصيب إمبراطورة عليهم".

تحيَّرَت أوزما قليلًا للوصول لقرار بشأن الجندي الصفيح. توقَّعَت الأميرة الحاكمة أن الرَّجُلَيْن الصفيح لن يعيشا في وفاق ووئام طوال الوقت، إذا ذهب مع الحطاب الصفيح إلى قلعة الامبراطور في مقاطعة الوينكلز. وأكثر من ذلك، لن يتمكن الإمبراطور من الحُكم الرشيد طالما لديه توأم بجانبه على الدوام.

لذا سألته إذا كان لديه استعداد لخدمتها كجندي، وعلى الفور أجاب أن لا شيء سيسعده أكثر من أن يكون في خدمتها. وهكذا انتهت حكاية الجندي الصفيح بالخدمة ضمن حاشيتها الملكية، إلا أنها أرسلته إلى مقاطعة الجليجان بعد فترة، مع تعليمات للحفاظ على النظام بين الناس المتوحِّشين الذين يسكنون بعض أجزاء من ذلك البلد المجهول من أوز.

بالنسبة للصبي الرَّحَّال واتي، كونه يهوى التجوال والترحال والأسفار، فقد منحته الإذن أن يسافر ويرتحل كما يشاء وأينما يشاء، مع وعدٍ ملكي أنها سوف ترعاه في رحلاته المستقبلية، وتسبغ عليه حمايتها الملكية، طالما تواجد في أرض أوز، من أي مشاكل أو متاعب أو مصاعب.

انطلق الحطاب الصفيح، مساء ذلك اليوم، مع رفيقه المخلص المختار، خيال المآتة، إلى قلعة الإمبراطور في مقاطعة الوينكلز، فهما لا ينامان، ويسعدهما قضاء الليل يتمشَّيان تحت ضوء القمر يتسامران ويستكملان مناقشاتهما حول هويَّتهما وطبيعتهما المختلفة عن البشر.

الخاتمة

حقَّقَت الرواية التي بين يديك نجاحًا ساحقًا حطَّم الأرقام القياسية لمجموع مبيعات الروايات السابقة جميعها، وأعاد الانتباه وتسليط الضوء على الرواية السابقة "أميرة أوز المفقودة"، فرفَعَت مبيعاتها، بعد حوالي سنة من صدورها، وسيظل الاهتمام وعودة أوز لأضواء الشهرة لبقية الروايات التالية حتى وفاة المؤلف بعد عام من صدور "الحطاب الصفيح في أوز".

كما أن هناك شيئًا عميقًا في رواية "ساحر أوز العجيب"، شيئًا لا يدركه إلا قارئ محبٌّ ومتحمِّس، وهو أن الحطاب الصفيح يسعى للقلب، رغم أنه أكثر الشخصيات حُنوًّا وطيبة في الصحبة، وسعى خيال المآتة للعقل رغم أنه أكثر الشخصيات قدرة على التفكير المنطقي وحلِّ المشاكل.

هنا، في رواية الحطاب الصفيح في أوز، هناك شيء عميق أيضًا، فيما آل إليه الحطاب الصفيح وخيال المآتة. هنا لا تستكشف الروايةُ القلبَ أو العقل، بل تستكشف الجسد، هل الجسد القشِّيُّ أو المعدني، البشري أم الجني، يلبِّي حاجاتهم للحياة في أرض أوز. مناقشات الرفيقين لم تَعُد حول قيمة القلب أو قيمة العقل، فمنذ نهاية الرواية

السابقة، تدور مناقشاتهم حول هيئاتهم وأشكالهم وأجسادهم. وهنا نتوسَّع أكثر من خلال حبكة فريدة بين روايات السلسلة، فالكاتب يفاجئنا بتحوُّلات في مسار الرحلة، وكيف تؤثِّر قراراتهم نفسها على مسار الطريق.

إنها رواية عن هشاشة الجسد، دعنا لا نغفل أن فرانك كتبها في أوقات مرض وضعف جسده. كما أنها ليست رواية عن الحطاب الصفيح فقط، تذكَّر أنه لم يأتمن أحدًا على رُفقة هذه المهمة الحساسة غير خيال المآتة، لا دورثي ولا أي شخص من الأصدقاء في مدينة الزمرد.

أعتقد أن ذلك له علاقة بنجاحها الساحق، وتَقبُّل القُرَّاء لها، بالإضافة أنها تلقي أضواء على نشأه أرض أوز، وكيف هلَكَت الساحرة الشريرة في الرواية الأولى التي مرَّ عليها ما يقرب من ثمانية عشر عامًا.

أحدث سيرة للمؤلف الأمريكي تدَّعي أن رواية "الحطاب الصفيح في أوز" هي آخر ما كتب باوم، الوعكة الصحية التي عانى بها في كتابة الرواية السابقة، تفاقَمَت، إلى أن وقع في غيبوبة لمدة 24 ساعة أثناء كتابته هذه الرواية، وتم تشخيص السبب بالتهاب المرارة.

على الأغلب عانى باوم من قلب عليل منذ ولادته، لم يكن الطب متقدِّمًا كفاية في تشخيص أمراض القلب، لمعرفة أنه مريض بالقلب حقًّا، فاستطاع التعايش مع المرض بدون معرفة ماهيته. أمَّا التهاب المرارة فقد استلزم إجراء عملية جراحية، خرج منها ونهض يستكمل كتابة تلك الرواية، لتكون آخرَ ما كتب. للأسف، مضاعفات العملية ستجعله ملازمًا للفراش آخر عام من حياته، وتلاشت قدرته على إنتاج المزيد من روايات أوز، وتوفي على فراش المرض قبل أيام من عيد ميلاده الثالث والستين.

الروايتان التاليتان في النشر كتبهما قبل هذه الرواية، كنوع من التأمين أو ضمانة للأسرة إذا حدث له مكروه، هذا الاستنتاج يرجع إلى وجود مخطوطات الروايات الثلاثة. ونستنتج أيضًا أن الروايات الثلاث

كُتِبَت في وقت متقارب من بعض الإشارات التي تربط الروايات ببعض، مثل ذكره أن أوزما بعثت الجندي الصفيح في مَهمَّة فصل نزاع في مقاطعة الجليجان، وهو ما سيحدث في الرواية القادمة.

نقابل هنا نوعًا آخر من الساحرات؛ السيدة يووب، ونوعًا آخر من السحر؛ سحر اليوكوهوتو. دعنا لا نغفل أنها أول مرة نرى أوزما أو بوليكروم تمارسان السحر؛ سحر الجنيات. بالإضافة إلى أنني شخصيًّا كقارئ نَهِم لعالم أوز، أستشفُّ أن نامي نام قد تكون مشعوذة، وصف الأرنب السماوي لها ليس سوءَ فهم، فهي استولت على الأدوات السحرية للساحرة الشريرة من الشرق، ولم تترك سوى الصَّمغ السحري للسمكري كليب. ما المانع أنها أصبحت مثل الحاوي أكوه، الذي سرق أوزما من قصرها، في الرواية السابقة، لكن طموحها قليل، منزل هادئ مع زوج طالما تمنَّته. بقليل من سوء النِّيَّة، أعتقد أن فلانيك ليس فقط زوجها، بل يلعب نفس الدور التي لعبته هي شخصيًّا عند الساحرة الشريرة من الشرق.

هي أيضًا تعاملَه كما عامَلَت چينچر زوجها. صحيح لم نَرَ زوج چينچر هنا، لكنها أخبرت أوزما عنه في الرواية الثالثة، وأقتبس ردَّها حين سألتها أوزما عنه: "في البيت، يعاني من كدمة سوداء في عينه، هذا الرجل الأحمق أصرَّ على حلب البقرة الحمراء، وأنا أردت أن يحلب البقرة البيضاء، لكنه سيتعلم الدرس المرة المقبلة، أنا متأكِّدة".

بهذه المناسبة دعونا نستكشف حركة النشر مع السلسلة، فقرار نشر روايات في سلسلة لم يُتَّخَذ أبدًا بهذا الحجم إلا مع عالم أوز. نشر باوم رواية ساحر أوز العجيب مع George M. Hill Company في مايو 1900، ورغم النجاح الكبير والساحق، انتهت أعمال الشركة في مارس 1902 بالإفلاس. عندها قرَّر اثنان من العاملين بها، الأول هو مدير التسويق Sumner Charles Britton ومدير الإنتاج Frank Kennicott Reilly الاستمرارَ في مهنة صناعة الكتب، وأنشآ شركتهما الخاصة باسم Madison Book Company في شيكاغو.

في 1904 قرَّرا الاندماج ليصبحا دار نشر باسميهما الخاصَّين: Reilly And Britton (وليس مجرد شركة). وكان أول اختياراتهما هو فرانك باوم؛ صديقهم القديم، وحثَّاه على إصدار Sequel لروايته الناجحة السابقة، فكانت "أرض أوز المدهشة" أوَّلَ كتاب تنشره الدار، وتوالت بعدها السلسلة.

في عام 1919 اضطرَّ Britton لبيع حصته في دار النشر إلى Wil-liam F. Lee، وحينها أصبحت دار النشر باسم Reilly & Lee، واستمرَّ الحال، ولم تتوقَّف دار النشر حتى بعد وفاة Reilly في عام 1932، وأكملت رسالتها تجاه عالم أوز، فكان آخر كتاب تنشره الدار هو الرواية رقم أربعين، والمتمِّمة للسلسلة الرسمية بعنوان: Merry Go Round In Oz عام 1963.

وليس أخيرًا، اشترتها Henry Regnery Co بالكامل (بحقوق كتبها، بما فيهم سلسلة أوز) عام 1969، وتعاوَنَت مع نادي أوز الدولي The International Wizard Of Oz Club لإصدار مجلة سنوية باسم Oziana منذ 1971 حتى الآن، والتي لا تنشر مقالات وأخبارًا عن النادي فقط، بل قصصًا جديدة منتقاة، وبموافقة النادي، تغطي أحداثًا عن أرض أوز تتوافق مع الأحداث التي حدَثَت على مدار الأربعين رواية المعتمدة.

حدَّثتُكم في خاتمة الرواية العاشرة، عن روايات يضعها النقاد كقائمة تقليدات أوز، وقائمة ثانية بترجمات أوز. هناك قوائم أخرى بروايات تواريخ أوز المتوازية Parallel histories of Oz. ولكنها لا تُعتبر ضمن روايات أوز الأربعين المعتمدة Oz canon الذي يعتمدها نادي أوز الدولي، ولا تعتبر ذلك إجحافًا؛ فالكاتب فرانك باوم -وكل مؤلف خليفة له- نَصَّب نفسه المؤرِّخَ الملكي لأرض أوز؛ وعليه فإن الروايات هي تسجيل أمين للمغامرات التي حدثت فعلًا في هذا العالم.

حدثَّناكم أيضًا عن المسرحيات والأفلام عن عالم أوز، واليوم سأحدثكم عن الجرائد والمجلات والدوريات.

أصدرت دار نشر Reilly And Britton في عام 1904 منشورًا دعائيًّا من أربع صفحات بعنوان The Ozmapolitan الأوزمابوليتان للرواية الجديدة، الثانية في السلسلة، وأول إصدار لهم. كتب موادَّها فرانك باوم نفسه، على اعتبار أنها جريدة مطبوعة في أرض أوز، وتكاليف طباعتها من ميزانية الخزانة الملكية على، أن تُوزَّع يوميًّا على مواطني أوز، وترويستها تقول إن المحرِّر العام هو "م. ج. ووجي بق ت. ع." بها أخبار من أرض أوز، تقول الترويسة أيضًا إن تلك الجريدة تأسَّسَت في اليوم الرابع عشر من الدورة الأولى من حكم الأميرة أوزما.

أمَّا العدد نفسه فصدر في اليوم الخامس من الدورة الثالثة من حكم الأميرة أوزما. غير معروف بالضبط كم تبلغ مدة تلك الدورة، وهل تماثل التقويم الأرضي! عمومًا، كانت مثل تلك المنشورات شائعة للدعاية للأفلام، لكن المنشور اكتسب خصوصيَّةً جعلته تقليد يستمرُّ عشرة أعداد أخرى؛ أول عددين وآخر ستة أعداد مُخصَّصة لجمهور قرَّاء مواطني أوز بالأساس، والأعداد من 3 و4 و5 مكتوبة للقُرَّاء من خارج أرض أوز، ومطبوعة في أمريكا.

الرَّسَّام ديك مارتن Dick Martin، رسَّام الرواية الأربعين، التقط تفصيلة جريدة أوز، وكتب ورسم رواية نشرها نادي أوز الدولي عام 1986 بعنوان الأوزمابوليتان The Ozmapolitan of Oz عن مغامرة للمطبعجي المسؤول عن طباعة الجريدة.

أخبار طريفة كثيرة في تلك الجريدة، سأذكر منها -على سبيل المثال- أن الأميرة أوزما أنعَمَت على الرسام John R. Neill[1] برُتبة فارس

(1) وهو الرسام الذي ترى رسومه الداخلية في هذه الطبعات، وسيستمر رسام أوز حتى الرواية السادسة والثلاثين، وسيكتب ثلاث روايات من الأربعين المعتمدة، وسيتوفى قبل الانتهاء من تحرير ورسومات االرواية لرابعة (التي كان من المفترض أن تكون الرواية 37 من السلسلة) وستعجز دار النشر عن طبعها بسبب الحرب العالمية الثانية، وستظل في حوزة أسرته حتى نشرها بعد استكمال الرسومات في 1995.

في النظام الأوزيِّ من الحاشية الملكية Ozly Order of Okmoks of Oz؛ لجهوده في رسومات أرض أوز المدهشة.

ومقال بعنوان "تحية إلى چينچر" في الصفحة الأولى يخبرنا أن المتعاطفين مع قضيتها يشعرون أنه عندما تكتب مذكِّراتها وتُنشر على الملأ ستنكشف وجهة نظر أخرى لحركة التمرد التي قادتها. وفي الصفحة الأخيرة خبر عنها يقول إنها تستعد للسفر لمقاطعة الوينكلز قريبًا؛ بحثًا عن الهدوء؛ لتكتب عن قصة التَّمرُّد من وجهة نظرها.

الطريف أن العدد عام 2005 لمجلة أوزيانا Oziana نشر قصة بعنوان دفتر يوميات چينچر Jinjur's Journal، تحكي بعد مرور عام على أحداث "أرض أوز المدهشة"، فهي الآن متزوجة من السيد بوب Mr. Popp، الذي قابلته في مقاطعة الوينكلز بعد ستة أشهر من حركة التَّمرُّد، وتعيش معه في مقاطعة الموشكين، يديرون مزرعة حليب بها تسع أبقار، وهي المزرعة التي زارتها فيها الأميرة أوزما.

منذ دخول أوز المجال العام Public Doman، أصبح مشاعًا لأي شخص يستخدم الشخصيات والعالم في روايات على هواه، معظمها يدخل ضمن الخط الزمني Oz Timeline[1] لأرض أوز؛ لذا صدرت قصة منشورة على الإنترنت عام 2018 بعنوان "أربع وجهات نظر للچنرال چينچر Four Views of General Jinjur، تتبع رأي ووجهة نظر أربع شخصيات فيها؛ أمها، مُزارِعة في مزرعة مخلِّل موشكينية. ومهندسة من الوينكلز، كانت كابتن جيش المتمرِّدات. مومبي ساحرة من الجليجان، كانت مستشارة لجيش المتمرِّدات، وأخيرًا الأميرة أوزما. تكشف القصة أنها انفصلت عن زوجها.

في مجموعة قصصية صدرت عام 2018 بعنوان "حكايات أوز المنسية" The Lost Tales of Oz (20 قصة لعدد 18 مؤلِّفًا) نُشرت بها قصة بعنوان "تومي سريع الخطى وغراب العقعق" Tommy Kwikstep

(1) http://www.oztimeline.net/Oz%20Timeline.htm

and the Magpie نعرف منها، بطريق غير مباشر، أن في فترة الزواج التي امتدَّت حوالي أربع أو خمس سنوات أصبح لديها ابن اسمه بيري Perry (ذهب في مغامرة مع تومي)، وهي الآن تدير مزرعة كيك وشكولاتة التي قابلناها في هذه الرواية.

في نفس تلك المجموعة كتب مؤلف آخر قصة بعنوان Vaneeda in Oz، كشف فيها أن چينچر لديها أيضًا ابنة اسمها Winnie، التي اختارت أن تظلَّ في عمر عشر سنوات. إحدى قصص المجموعة تحكي عن مغامرات فرق البحث الأخرى التي انطلقت للبحث عن أميرة أوز في الرواية الحادية عشرة.

"معلش"؛ أَطَلت عليكم قليلًا، وتفرَّع حديثنا عن چينچر. سأستكمل الحديث عن جرائد ومجلات أوز في خاتمة الرواية القادمة.

مكتبة الطفل

t.me/book4kid

إحدى قنوات

مكتبة

سلسلة أوز

1. ساحر أوز العجيب
2. أرض أوز المدهشة
3. أوزما أميرة أوز
4. دورثى والساحر في أوز
5. الطريق الى أوز
6. مدينة الزمرد
7. فتاة قصاقيص القماش في اوز
8. تيك توك في أوز
9. خيال المآته في أوز
10. رينكيتينك في أوز
11. أميرة أوز المفقودة
12. الحطاب الصفيح في أوز
13. سحر أرض أوز
14. جليندا ساحرة أوز

مبنية على الخريطة الأصلية التي رسمها البروفيسور (م. ج. ووبي بق ت. ع) الملتقطة والمراجعة وفقا للمؤرخين الملكيين لأرض أوز.

تخطيط جيمس أي هاف

نشرها نادي ساحر أوز الدولي بموافقة ملكية من أميرة أرض أوز سمو جلالة الأميرة أوزما.

رسوم ديك مارتن

L.Frank Baum

The Tin Woodman of Oz

12

تحولت لأشهر الأفلام والمسرحيات

أهم ملحمة خيالية في تاريخ أمريكا وزعت أكثر من ٤ مليون نسخة

هل تساءلتَ يومًا ماذا حدث لحبيبة الحطَّاب الصفيح، الذي ذهب لمدينة الزُمرُّد من أجلها ليحصل على قلب؟ حسنًا، مرَّت سنوات طويلة، لكن آن الأوان للحطَّاب الصفيح، برُفقَته خيال المآتة، والصَّبيُّ واتي الرَّحَّال- لكي يبدأ البحث عنها في بلاد الموشكين. إنها رحلة طويلة، لكن يبقى السؤال: هل ستقبل تلك الفتاة الموشكينيَّة الجميلة الزِّواجَ من إمبراطور الوينكلز؟ ومَن هو منافِسُه في خَطب ودِّها؟

والأهم من هذا السؤال هو: كيف صارت بلاد أوز بلادًا سحريَّةً، خياليَّة، خرافيَّة؟

هذا ما سنعرفه في المغامرة التي بين دفَّتَيْ الرواية الثانية عشرة من سلسلة أوز. إنها مغامرة مليئة بالغموض والإثارة، مغامرةٌ لم تقرأ مثلها في عالم أوز السحري. إنه عالم من إبداع الكاتب الأمريكي فرانك باوم (مايو ١٨٦٥- مايو١٩١٩)، ومع كل رواية يحيكها، يبهر جميع الأعمار، ويطالبونه بالمزيد؛ فكتب أربع عشرة رواية، واستكمل تلاميذ وأحفاد فرانك روايات عالم أوز، حتى بلغت أربعين رواية. ومنذ بدايتها في عام ١٩٠٠ لم يتوقَّف العالَمُ عن الإعجاب بها، وترجمتها في ترجماتٍ وطبعاتٍ لا نهائية.

المحروسة

ISBN 978-977-313-971-1

الغلاف: عبد الرحمن الصواف